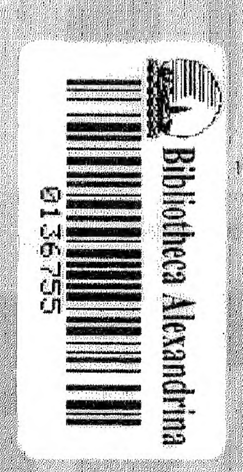
تاريخ أوعية المعرفة

دكتور

عبد التواب شرف الدين

تاريخ
أوعية المعرفة



الدار الدولية للنشر والتوزيع



تاريخ أوعية المعرفة

تأليف

دكتور / عبد التواب شرف الدين



الدار الدولية للنشر والتوزيع

القاهرة – ج. م. ع

الطبعة الأولى
1998م

تاريخ أوعية المعرفة
تأليف
د. عبد التواب شرف الدين

رقم الإيداع

98/2478

I.S.B.N
977-282-041-2

الدار الدولية للنشر والتوزيع

8 إبراهيم العرابى - النزهة الجديدة - مصر الجديدة - القاهرة - ج.م.ع.
ص.ب: 5599 هليوبلس غرب / القاهرة - تليفون: 2957655-2972344 فاكس : 2957655 (00202)

تم صف وإخراج وتجهيز هذا الكتاب بقسم الكمبيوتر بـ «الدار الدولية للنشر والتوزيع»

مقـــدمـــة

لا شك في أن العرب أصحاب حضارة، بفـضل الإسلام وحثه على تدوين المعرفة، أما العرب فـي الجاهلية فلم تكن لديهم استـعدادات لتدوين المعرفـة، وكانت الرواية وقص الحكايات والأشعار هي أساس الثقافة العربية .

ولذلك فإننا نجد صفحات مشرقة فى حضارتنا العربية يمكن عرضها فى الفصول التالية :

1- البحث عن الوثائق .

2- الكتابة العربية : نشأتها وتطورها .

3- التوثيق الإسلامي .

4- جمع القرآن الكريم وتدوينه .

5- جمع الحديث وتدوينه .

6- الوثائق النبوية .

7- الوثائق ومناهج البحوث .

8- تاريخ الكتاب الإسلامي .

9- تصنيف العلوم والمعارف في الإسلام .

10- روائع التراث الإسلامى : الفهرست لابن النديم .

11- دور العلماء العرب والمسلمين في كتابة الأرقام .

12- مكتبة الإسكندرية والفتح الإسلامي .

وأهم وعاء للمعرفة يحتاج منا الدراسة بعد كتاب الله وأحاديث الرسول ﷺ هو الوثائق ولذلك يجب البحث عنها وتبين أهميتها وعلاقتها بالعلوم المختلفة ، كما كانت الوثائق النبوية كذلك والتوثيق الإسلامي من الموضوعات الحيوية في دراستنا .

لقد احتلت الكتابة العربية من حيث نشأتها وتطورها موقعًا هامًا في هذه الدراسة على اعتبار أنها أداة تسجيل المعرفة. كما تعرضت للكتاب الإسلامي من عدة زوايا وعرضت لنموذج من نماذج هذه الأوعية وهو الفهرست لابن النديم .

ويهتم بأمر هذه الموضوعات كل مهتم بالثقافة العربية والإسلامية في كل مجالات المعرفة البشرية وخاصة الطلاب الذين يدرسون تاريخ أوعية المعرفة وتاريخ الكتابة والكتاب الإسلامي والتصنيف وطلاب الوثائق والمكتبات في الجامعات والمعاهد العليا .

والله أسأل أن يوفقنا لما فيه الخير لأمتنا العربية والإسلامية.

د. عبد التواب شرف الدين

الفصل الأول

البحث عن الوثائق



تمهيد :

على الباحث أن يتجه إلى البحث عن الوثائق والأصول التاريخية اللازمة لدراسته بما تشمله من المعاهدات أو المراسلات أو التعليمات أو الأوامر أو المذكرات أو القوانين . . . إلخ، والتي كانت تحفظ عادة عند الملوك أو الأمراء أو عند بعض رجال الدين، أو عند بعض الزعماء أو رجال السياسة أو رجال الحرب أو عند عامة الأفراد أو عند تجار الوثائق.

وليس من الضروري أن توجد وثائق وافية عن كل حوادث التاريخ، إذ تنطمس آثار كثير منها وتزول دلالتها، بتعرضها في ظروف مختلفة للتلف أو الضياع، مثل ظروف الثورات أو الحرائق أو الرغبة في التخلص منها وإتلافها عمدًا، حينما تكون في حوزة من لا يفهم قيمتها التاريخية، أو من يهمه منع الأفكار، أو أن الحوادث التي كانت تحملها في طياتها وثناياها لم تكن في الوجود، وعلى ذلك فكثيراً ما يجد المؤرخ فجوات في مجرى التاريخ، لا يمكنه أن يملأها، وستبقى حلقات كثيرة من التاريخ مجهولة إلى الأبد، وليس هناك ما يمكن أن يعوض عن ضياع تلك الوثائق[1] .

أولاً – البحث عن الوثائق قديمًا :

لاقى الباحثون والمؤرخون القدامى صعوبات جمة في سبيل الوصول إلى الوثائق التاريخية، وإذا كانت الحوادث التي قصدوا الكتابة عنها قريبة نسبيًا من العهد الذي عاشوا فيه فإنهم كانوا يرجعون إلى روايات بعض الأشخاص الذين شهدوا الحوادث، ويقارنون بينها، وينقدونها، ويستخلصون منها ما يمكن الوصول إليه من الحقائق التاريخية.

على أن هذه الطريقة لا تكون سليمة دائمًا لتعرض الروايات الشفوية للتحريف والتغيير، وإن كان تدوين الروايات الشفوية من شأنه أن يوقف، في الغالب، ما يكون قد دخل عليها من التغيير عند الحد الذي سجلت فيه [2].

---

(1) حسن عثمان : منهج البحث التاريخي ، القاهرة ، دار المعارف ، 1956 ، ص 68 .

(2) المرجع السابق ص - 68 ، 69 .

وقد حولت الفتـوحات الإسلامية مجرى الروايات المأثورة عن القبـيلة دون تغيير في خصوصيـاتها، بينما حافظت الروايات الجديدة محافظة واسـعة النطاق على الاتصال القديم بين الشعر والنـثر إلى جانب المبالغة وعـدم الدقة المعهودين في الكتـابات القديمة، وهذا من شأنه التأثير في التاريخ الإسلامي من حيث إن تلك الروايات المأثورة هيأت المواد التي استقى منها المؤرخون المحدثون في تدوين تاريخ الخلفاء الراشدين وخلفاء بني أمية .

لقد اعتمد هشام بن محمد الكلبي المتوفى في عام 204 هـ (819 م) في بحوثه على المصادر والوثـائق المكتوبة، وقدخطـا هذا العمل المنقول بـاستناده إلى الوثائق المحـفوظة في كنائس الحيرة والأسـانيد الفارسيـة التي ترجمت له خطوات واسعة نحو التـأليف التاريخي القائم على أساس العلم.

وفي صـدر الإسلام نجـد بداية تأليف التـاريخ العلمي باللغـة العربيـة، وهي ترتبط بالبحث في حيـاة النبيﷺ وأعماله وهو ما يسـتتبع رجوع أصل هذا التنظيم إلى مجـموعة الأحاديث النـبوية، وبخاصـة الأحاديث المتـصلة بغزوات النبيﷺ. وكـانت المدينة المنورة موطن الدراسة ومعهدها ولم يختص أحد بالتـأليف في المغازي قبل القرن الثاني للهجرة في مواطن أخـرى غيـر المدينة، وذاك الارتباط بالأحـاديث الذي ترك أثرًا لا يمحى في أسلوب التأليف التاريخي بالاعتـماد على الإسناد يفسر التغييـر البالغ الذي ظهر منذ ذلك الحين في الصفات المميزة لرواية حوادث التاريخ وتمحيصها عند العرب .

وقد اعـتمد محـمد بن سعـد المتوفي سنة 230 هـ (844 - 845 م) على الـوثائق والأسانيد التي وقعت تحت يده، في مصنفه: «كتـاب الطبقات» في سيرة النبي ﷺ وصحبه والتابعين .

وما برح في مجال الشك وجود وثائق محـفوظة في المدينة كانت في ذلك العهد من الدلائـل على وجـود وثـائـق فـي العـصر الأمـوي بدمـشق ، والعـراق مـعـًا، وفي أوائل القـرن الثالث اضطرد التـقدم مـن جديد في طريق التـأليف التـاريخي بفضل اتسـاع نطاق الحضـارة المادية، وبفضل ظهور استعمـال الورق الذي أسس أول مصنع له في بغـداد عام

178هـ (794 ــ 795 م) . ولكن هــذا الابتكار لم يــقض من فــوره على عــادة تــناقل مجموعات المواد، بوساطة الرواة، تلك الطريقة التي ظلت مرعية إلى نهاية القرن الثالث.

إن بداية التألـيف التاريخي بمعناه الأعم، أى التـوفيق بين المواد المستــمدة من السـيرة والرسائل ومصادر أخـرى، بغية إدماجها في رواية تاريخية واحـدة متماسكة إنما ترجع إلى منتصف القرن الثالث، وأقدم مؤلِّف سار على هذا النحو والنهج القديم هو أحمد بن يحيى البلاذري المتوفي عام 279 هـ (892 م)[1] .

ثانيًا . البحث عن الوثائق فى فهارس المكتبات :

رأينا كـيف أن طريق التـأليف التاريخـي اعتـمدت علـى الرواية وفي نفس الوقت، اعتمدت على ما أمكن الوصول إليه من وثائق، وبعد استخدام الورق، وما حدث من تقدم حضاري، ظهرت الفـهارس التي تشتمل على محتويات المكتـبات ودور الوثائق وبهذا سهّل على الباحثين تحديد الوثائق الخاصة بموضوعاتهم .

إن التاريخ يصنع من وثائق، والوثائق هي الآثار التي خلفتها أفكار السلف وأفعالهم، ومن الواضح أن أى فحص نقـدي، وأي تأويل للوثائق يسبقه الـتساؤل، عما إذا كـان ثمة وثائق، وما مـقدارها، وما مظانها، وقـد أطلق على موضوع البـحث عن الوثائق في ألمانيا اسم الهورسطيقا.

ولن تكون الهورسطيقا مـيسورة تمامًا إلا إذا وضعت أثبات وصفية لكـل مستودعات الوثائق الموجودة، وكانت هذه الأثـبات مشفوعة بلوحـات وفهارس أو كانت لها كـشافات عامـة، بيد أن العلماء المحصـلين والمؤرخين كثيرًا مـا يكونون في حاجة إلى مـعلومات عن الوثائق لا تُهيِّئها الأثبات والفهارس الوصفية عادة، مثل أن يعرفوا: هل هذه الوثيقة معروفة أو غير معروفة، وهل تناولها النقد والشرح وانتـفع بها، حيث تشير فهارس الوثائق أحيانًا، لا دائمًا، إلى كون هذه الوثيقة أو تلك قد نشرت ونقدت وانتفع بها. والقاعدة المتبعة عامة هي أن واضع الفهرس يشيـر إلى الأمور التي من هذا النوع إذا كان على علم بها، دون أن يكلف نفسه مؤونة التحري عنها .

---

(1) دائرة المعارف الإسلامية (الترجمة)، القاهرة، دار الشعب، مادة التاريخ.

وأمثال هذه المعلومـات هم لا يجدونها إلا في مؤلفات الـعلماء المحصلين والمؤرخين السـابقين . وللعلم بهذه المؤلفات لابد من الرجوع إلى مـا نشر عنها من «كشافات المراجع» المعتبـرة من كل الأنواع، والتي تتألف من وجهـات نظر واسعة التباين، فكـشافات المراجع للكتب التاريـخية يجب إذن أن ينظر إليـها، هي وكشـافات أثبات الوثـائق الأصلية، على آساس أنها أدوات لا غنى عنها للبحث عن الوثائق .

ولما كانت مـعظم وثائق تاريخ العـصور الوسطى في الدور المتـأخر، ووثائق العـصر الحديث غير منشورة، أو نشـرت نشرًا سيئًا، فيمكن أن نضع بمثابة مبـدأ: إنه ليتحقق فصل جديد حـقًا اليوم، من فصـول التاريخ الوسـيط والحديث، لابدّ من التـردد المتواصل على الخزائن الكبرى التي تحتوي على وثائق أصلية ولا بد من إنهاك الفهارس[1] .

ومن هنا يمكن أن تقـوم المكتبـات الكبرى في العـالم كمكتـبة الكونجرس الأمـريكي والمتحف البريطاني والمكتبة الأهلية في باريس، بل المكتـبات القومية في العالم بدور هام في تبادل فهارس كل مكتبـة على حدة، فيسهل بالتبادل في هذا المجال التـعرف على محتويات هذه المكتبات من الوثائـق والمخطوطات، هذا بالإضافة إلى خدمات التـصوير والإعارة التي أضـافتها تكنولوجيا العصر الحديث من تسهيلات في هذه المجالات .

ثالثًا- مثال تطبيقي لفهارس مكتبة دير سانت كاترين بسيناء (مصر):

ومن أهم فهارس المكتبات الخاصة بالوثائق العربية هي تلك الخاصة بمكتبة دير سانت كاترين في شبه جزيرة سيناء بجمهورية مصـر العربية، والدير غني عن التعريف، فهو يعتبر من الآثار الخالدة للإمبـراطور جستنيان (527 - 565 م) وزوجته الإمـبراطورة تيودورا، ولا يزال شاخصًا حتى اليوم، يروي قصة قرون عديدة خلت، ومن أهم ما يميز الدير ويجعل له أهميـة خاصة مـجموعـة المخلفات المقدسـة المسيحـية كالأيقـونات والصور والمخطوطات

---

(1) لانجلوا وسينوبوس : المدخل إلى الدراسات التاريخية . ترجمة عبد الرحمن بدوي ، ضمن مجموعة نصوص أجنبية تحت عنوان : «النقد التاريخي»، القاهرة ، دار النهضة العربية 1963 ، ص 4 ، 14 ، 23 ، 24 .

والوثائق العربية وغير العربية، إذ تتمتع مكتبته بأهمية بالغة لما تحويه من مستندات نادرة لم يكن العالم حتى وقت قريب يعرف عنها شيئًا، فقد ظلت قابعة بالدير لأجيال طويلة لقيت فيها الكثير من الإهمال، ولكنها نقلت أخيرًا إلى مخزن تتوفر فيه وسائل الإضاءة والنظافة، كما أصبحت موضع اهتمام المسؤولين بالدير وعنايتهم .

وهذه المجموعة من المخطوطات والوثائق دونت فيما بين القرن السادس والقرن التاسع عشر، ويبلغ عدد المخطوطات 3331 مخطوطة، مكتوبة بإحدى عشرة لغة : هي العربية والسريانية والحبشية والفارسية واليونانية والسلافونية والجورجيانية واللاتينية والبولونية والتركية والروسية .

والجانب الأكبر منها في اللاهوت والكتب الكنسية والدينية وقليل منها في الفلسفة والموسيقى والرياضة والفلك والتاريخ والجغرافيا والأجرومية والطب والقانون .

أما الوثائق فيبلغ عددها 1742 وثيقة ، منها 1072 وثيقة باللغة العربية و 670 باللغة التركية، وهي تتضمن عهوداً ومراسيم[1]، ومنشورات وفرمانات[2] ، ومعاهدات وفتاوي وحججا[3] ، ومحاضر وأوامر إدارية . وقد ظهرت عدة فهارس وكتالوجات لمحتويات مكتبة دير سانت كاترين في سيناء من وثائق ومخطوطات، وذلك في الفترة من عام 1886 إلى

---

(1) عبد اللطيف إبراهيم : فى مكتبة دير سانت كاترين - دراسة في الوثائق العامة في العصور الوسطي، مجلة جامعة أم درمان الإسلامية ، عدد (1) ، 1968 .

- وانظر أيضًا : زينب محفوظ: التطور الدبلوماتي لمراسيم ديوان الإنشاء بدير سانت كاترين من القرن الخامس إلى القرن العاشر الهجري. كلية الآداب، جامعة القاهرة ، 1970 (رسالة ماجستير، محفوظة بالمكتبة العامة لجامعة القاهرة رقم 840).

(2) حسن صبحي: من محفوظات دير سانت كاترين: مجلة كلية الآداب-جامعة الإسكندرية، 1964، مجلد (18) ص 48 - 62 .

(3) عبد اللطيف إبراهيم : ثلاث وثائق فقهية من وثائق دير سانت كاترين: مجلة كلية الآداب - جامعة القاهرة ، 1963 ، مجلد (25) عدد (1) .

- كما قام مؤلف هذا الكتاب بإعداد دراسة دكتوراه موضوعها «الوثائق العربية الخاصة في مكتبة دير سانت كاترين-دراسات ونشر» وذلك تحت إشراف الأستاذ الدكتور عبد اللطيف إبراهيم الأستاذ بقسم الوثائق والمكتبات بجامعة القاهرة .

عام 1952، وقد تضمن بعضها جانبًا من المخطوطات بينما كان البعض الآخر أكثر شمولاً فاحتوى بياناً بكافة المخطوطات والوثائق، ومن أهم هذه الفهارس :

1- فهرست «جارت هاوزن» الذي صدر سنة 1886 م.

2- فهرست «بتشفتسن» سنة 1911 - 1914 م.

3- فهرست «هافن» سنة 1923 م.

4- فهرست «مار» سنة 1940 م.

وقد تعرضت هذه الفهارس لبعض المخطوطات اليونانية .

5- فهرست «مس لويس» سنة 1894 م.

وقد تعرض لبعض المخطوطات السريانية .

6- فهرست «جبسن» سنة 1894 م.

وقد تعرض لبعض المخطوطات العربية .

7- فهرست «مراد كامل» وهو يقع في جزأين ، وقد صدر عام 1951 م، ويتضمن جميع مخطوطات ووثائق مكتبة سانت كاترين، وقد قام بإعداده بناء على طلب الجامعة العربية.

8- فهرست « البعثة الأمريكية» الذي ظهر عام 1952م، ويقتصر على المخطوطات والوثائق التي قامت البعثة الأمريكية بالاشتراك مع بعثة جامعة الإسكندرية بتصويرها عام 1950م.

9- فهرست «عزيز سوريال عطية» ، وهو مختصر ويشتمل على جميع المخطوطات والوثائق العربية بمكتبة الدير، وقد صدر بالإنجليزية عام 1954م ونشرته دار هوبكنز بالولايات المتحدة الأمريكية .

10- الفهرس «التحليلي للمخطوطات والوثائق العربية» صدر منه الجزء الأول ، وهو ترجمة للأصل الإنجليزي الذي ألفه عزيز سوريال عطية، وهو تحليل محتويات مكتبة دير سانت

كاترين من الوثائق والمخطوطات التي تشتمل عليها ومكتوب باللغة العربية[1] .

رابعًا – البحث عن الوثائق فى دور الوثائق الأخرى:

إن كثيرًا من الوثائق العربية التي يرجع تاريخها إلى العصور الوسطى قد فقد جميع نسخه الأصلية التي كانت محفوظة في دواوينها الأصلية، كما لم يصلنا من النسخ الأصلية لهذه الوثائق في البلاد الأجنبية سوى عدد بسيط جدًا، فعلى سبيل المثال لا الحصر، قدّر العلماء عدد الوثائق العربية الأصلية – التي صدرت عن الدواوين المصرية – والمحفوظة في دور الوثائق الأوربية بثلاث وعشرين وثيقة. وهذه الدور هي: دار البندقية وفلورنسة ، وبرشلونة .

ويعتبر هذا العدد من الوثائق التي حفظتها هذه الدور قليلا جدًا إذا ما قيس بالحجم الحقيقى للوثائق العربية الخاصة بتاريخ علاقات كل مدينة من هذه المدن مع مصر الإسلامية في عصورها المتعاقبة؛ الفاطمية والأيوبية والمملوكية، هذا فضلاً عن ضياع جميع الوثائق العربية التي كانت محفوظة في دور الوثائق الأوروبية الأخرى التي كانت تربطها بمصر علاقات تجارية، غير أنه يلاحظ في نفس الوقت أن معظم دور الأرشيف والوثائق في هذه المدن قد حفظت الجانب الأكبر من الترجمات الخاصة بهذه الوثائق العربية سواء باللغة اللاتينية أو باللغات المشتقة منها، هذا بالإضافة إلى الوثائق الأوروبية المرتبطة بهذه العلاقات والتي تعتبر مكملة للوثائق العربية في دراسة تاريخ هذه العلاقات[2] .

خامسًا – البحث عن الوثائق فى كتب مصطلح الوثائق :

إذا كانت الوثائق العربية الأصلية التي كانت محفوظة في ديوان الإنشاء في مصر، على سبيل المثال ـ وهو الديوان الذي كان يعتبر مسؤولاً عن إصدار وحفظ أصول وصور

---

(1) جوزيف نسيم يوسف: دراسة في وثائق العصرين الفاطمي والأيوبي المحفوظة في مكتبة دير سانت كاترين في سيناء . مجلة كلية الآداب – جامعة الإسكندرية، 1964 ، مجلد (18) ، ص 179 - 181 .

(2) أحمد دراج : (الوثائق العربية المحفوظة في دور الأرشيف الأوروبية – مصر الإسلامية)، بحث ضمن أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة، مارس – أبريل 1969، جزءان، دار الكتب المصرية ، 1970 ، 1971 ص131، 132 .

الوثائق ـ قد فقدت جميعها فإنه مما يعزينا عن ذلك أن صوراً من هذه الوثائق، وهي أكثر نسبيا مما حفظته لنا دور الوثائق قد ضمنها بعض مؤرخي مصر الإسلامية كتبهم[1] .

ويأتي على رأس هؤلاء المؤرخين من عمل منهم في ديوان الإنشاء مثل :

(أ) محيى الدين بن عبد الظاهر : «تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور»، القاهرة، 1961. انظر الصفحات 156 ، 163 ، 165 ، 169 .

(ب) شهاب الدين أحمد بن فضل الله العمري: «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» (لا يزال مخطوطًا) .

وقد أشار القلقشندي في أجزاء كثيرة من موسوعته (صبح الأعشى) إلى أنه ينقل عنه .

(ج) القلقشندي ، أبو العباس أحمد: «صبح الأعشى في صناعة الإنشاء»، القاهرة، دار الكتب المصرية، 1928، 14 جزءًا . انظر الجزء السادس ص 274، التاسع ص 251، الثالث عشر ص 290 ، 321 ، 340 الرابع عشر ص 73 - 109 .

فهؤلاء أتاح لهم عملهم في ديوان الإنشاء لفترات زمنية طويلة نقل نسخ عديدة مما كان تحت يد كل منهم من الوثائق المحفوظة في الديوان .

سادسًا – نموذج تطبيقي لمحاولات البحث عن الوثائق :

تحاول الدول جاهدة الرجوع إلى وثائقها الأصلية، لتصحيح تاريخها بالاستناد إلى هذه المصادر الهامة، وفيما يلي سنرى محاولات إحدى الدول العربية الفتية، وهي دولة الكويت، وهي دولة ناشئة أرادت كتابة تاريخها من واقع الوثائق فبحثت في كل المراجع، وفتشت عن الرواة المعاصرين والمؤرخين الموثوق في رواياتهم، وشكلت اللجان العلمية لهذا الغرض. وكان من اختصاص مركز التراث القومي بجامعة الكويت تجميع الوثائق القومية لتوضع تحت تصرف الباحثين عن تاريخ الكويت والخليج العربي.

---

(1) عبد التواب شرف الدين: دراسة لكتب المصطلح وطريقة إعداد الوثائق الديوانية، رسالة ماجستير، كلية الآداب- جامعة القاهرة، 1970 ، (محفوظة بمكتبة جامعة القاهرة العامة رقم 823).

سابعًا – وحدة الوثائق والمخطوطات :

وتقوم بالخدمات الوثائقية التالية :

(أ) البحث عن أماكن وجود الوثائق والمخطوطات التي تهم الكويت والخليج العربي سواء لدى الأفراد أو المكتبات الخاصة أو المكتبات العامة وغيرها بالبلاد العربية والأجنبية .

(ب) الحصول على هذه الوثائق والمخطوطات في صورتها الأصلية أو على هيئة ميكروفيلم أو ميكروفيش أو زيروكس أو غير ذلك من وسائل الاستنساخ الحديثة .

(ج) تنظيم هذه الوثائق والمخطوطات وفهرستها وتسجيلها والقيام بإجراءات حفظها وصيانتها.

(د) الخدمة المرجعية من هذه الوثائق والمخطوطات[1] . وقد قسم الباحثون[2] ، وثائق الكويت بما يشمل ذلك منطقة الخليج العربي إلى الأقسام التالية :

أولاً – سجلات وزارة الهند :

(أ) وثائق شركة الهند الشرقية البريطانية وسجلات البلاد التابعة لها .

(ب) وثائق المكتبة السياسية والسرية .

(ج) المذكرات السياسية السرية .

(د) وثائق القسم السياسي والسري لوزارة الهند .

(هـ) المراسلات والأوراق الخاصة .

---

(1) بهاء الإبراهيم · مركز التراث القومي بجامعة الكويت، مكتبة الجامعة (الكويت)، 1973، المجلد الثانى، ص56 .

(2) جامعة الكويت : مختارات من وثائق الكويت والخليج العربي المحفوظة في دور السجلات البريطانية، عرض وتعليق الدكتور. جمال زكريا قاسم، الكويت: جامعة الكويت،1972 .

– وانظر أيضًا : احمد مصطفي ابو حاكمة : تاريخ الكويت ، جزءان، الكويت: مطبعة حكومة الكويت ، 1973 . الفصل الأول من الجزء الثاني ، القسم الأول بعنوان مصادر تاريخ الكويت في القرن التاسع عشر، ص2-31 .

ثانيًا – مكتب السجلات البريطانية :

(أ) سجلات وزارة المستعمرات .

(ب) الأوراق السرية والخضراء .

(جـ) أوراق مجلس الوزراء البريطانى .

(د) الأوراق والمراسلات الخاصة .

(هـ) سجلات وزارة الخارجية البريطانية .

ثالثًا – المصادر الأولى الخاصة بالكويت والخليج العربى المحفوظة فى مكتبة المتحف البريطانى :

رابعًا – وثائق دار الوثائق القومية بالقاهرة .

خامسًا – ما دوّنه الرحّالة الأوروبيون فى هذه الفترة .

سادسًا – الرواية المحلية الكويتية .

سابعًا – الكتب العربية والإفرنجية .

وبعد . . . فالأمل كبير في الجهود الدولية التي تبذلها الهيئات الدولية ؛ مثل :

1- المجلس الدولي للوثائق .

2- الفرع الإقليمي العربي للوثائق – التابع للمجلس الدولي للوثائق .

3- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

4- المنظمة الدولية للتربية والثقافة والعلوم.

وذلك في سبيل البحث عن الوثائق وتجميعها والاستفادة منها وتيسير ما تشتمل عليه من معلومات علمية للباحثين. وقد ظهرت بوادر هذه الجهود في نتائج الاجتماعات التي عقدها الفرع الإقليمى للمجلس الدولي للوثائق (عربيكا) في روما، يوليو عام 1972 ، وفي بغداد، سبتمبر 1973 [1] .

---

(1) المؤتمر الثاني للمجلس الدولي للوثائق، الفرع الإقليمي العربي، مكتبة الجامعة (الكويت)، 1974، المجلد الثالث ، العدد الثاني والثالث.



الكتابة بالعربية
نشأتها وتطورها



تمهيد :

يهـدف هذا البحث عن «الكتـابة العـربية» من بين مـا يهدف إلى مناقـشة ودراسـة الموضوعات التي تعرضت لنشـأة الكتابة العربية وتطورها مع الاستعـانة بنماذج مصورة عن اللوحات التي جمعتها من المراجع العلمية التي درست هذا الموضوع .

ولا شك في أن الاهتـمام بهـذا الموضـوع يرجع في أساسـه إلى ضـرورة الاهتمـام بالتراث ومعرفته والبحث فيه، في عصـر نحن أحوج ما نكون إلى تثبيته في أذهان الأجيال القادمة، وخاصة بعدما أصبح مقرراً من مقررات مناهج علوم الوثائق والمكتبات في جامعاتنا اليوم[1] .

ومن ضرورات البـحث العلمي الإشارة إلى أدب الموضـوع، وذلك من أجل متـابعة جهود السابقين العلمية والاستفـادة من نتائجهم التي توصلوا إليها، وكذلك عدم تكرار هذه الجهود.

وقد ساعدني في الكتابة لهذا البحث الكثير من المراجع والدراسات العلمية الجامعية. من ذلك :

1- خليل يحيى نامي: أصل الخط العربي وتاريخ تطوره إلى مـا قبل الإسلام. رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، غير منشورة رقم 14842 .

2- إبراهيم جمـعة : دراسة في تطور الكتابات الكوفـية على الأحجار في مـصر في القرون الخمـسة الأولى للهجرة مع دراسة مـقارنة لهذه الكتابات في بقـاع أخرى من العالم الإسلامي. القاهرة: دار الفكر العربي، 1969، رسالة دكتوراه.

---

(1) وعلى سبيل المثـال تدرس جامعة القاهرة كليـة الآداب، قسم الوثائق والمكتبات، وجامعـة أم درمان بالسودان كليتا الآداب والبنات، قسم الوثائق والمكتبات، مادة الكتابة العربية. فأم درمان في هذا العام والأعوام السابقة تدرس في الفرقـة الأولى نشأة وتطور الكتابة العـربية قبل الإسـلام. أما الفرقة الثـانية فتـدرس تطور الكتابة العربية وانتـشارها بعد الإسلام وأثرها في انتـشار الفكر والثقافـة الإسلامية مع التركـيز على تدريب الطلاب والطالبات على قراءة الخطوط العربية .

هذا بجانب المصادر الأدبية العربية التي تذكر الخط أو الكتابة [1] ومن هذه المصادر :

1- البلاذري (أحمد بن يحيى): فتوح البلدان. القاهرة: المطبعة الأزهرية، 1933، (فصل أمر الخط، طريقة النقط).

2- ابن خلدون (أبو زيد عبد الرحمن): مقدمة ابن خلدون. القاهرة: المطبعة التجارية، 1934. (فصل الخط: المسند الحميري، خط التبابعة في اليمن، الخط البغدادي، تبعية جودة الخط للعمران، شهرة مصر بتعليم الخط).

3- السيوطي (جلال الدين): الإتقان في علوم القرآن، ج3 . القاهرة : المطبعة الأزهرية ، 1318 ، (باب رسوم الخط وآداب كتابته).

4- الصولي (أبو بكر محمد بن يحيى): أدب الكتاب. القاهرة: المطبعة السلفية، 1341هـ (الخط يُوصف بالجودة ، خطوط المشق[2] ، المقادير التي يكتب بها في القراطيس[3]).

5- ابن عبد ربه (شهاب الدين أحمد): العقد الفريد، الجزء الثاني. القاهرة: المطبعة الأزهرية، 1928. (نصائح لمن يريد تجويد الخط).

6- العسكري (ابن سعيد): التصحيف والتعريف. القاهرة: مطبعة الظاهر، 1908، (وضع النحو خشية التصحيف، وشيوع النقط).

7- ابن فارس (أبو حسين أحمد بن فارس): كتاب الصاحبي. القاهرة: المطبعة السلفية، 1910. (باب القول عن الخط العربي، ما يمط من الحروف وما لا يمط).

8- القلقشندي (أبو العباس أحمد): صبح الأعشي في صناعة الإنشاء، ج3 ، طبعة دار الكتب المصرية، 1938، المقالة الأولى من ص 1-218، (أنواع الخط من محرر محقق

---

(1) يمكن الاستفادة من القائمة التي ذكرها إبراهيم جمعة في بداية رسالته حول تطور الكتابات الكوفية، فهي تشتمل على المصادر الأدبية العربية حول الكتابة العربية، والمصادر الأخرى الأجنبية، فيمكن الرجوع إليه وذلك في الصفحات 5-13 .

(2) نوع من الخطوط ، انظر في ذلك الصولي .

(3) جمع قرطاس أى ورق الكتابة .

ومطلق مرسل- الخط الكوفي وتفصيله في إيجاز إلى تقوير وبسط - ألقاب الأقلام وهندسة الحروف وإجادة تحريرها - في صفة الخط الجيد - في معرفة المتبار صحة الحروف وهيئتها ونسبتها إلى الألف - كلام في الاستمداد وتناسب الحروف ومقاديرها في كل قلم - النسب الفاضلة في الخطوط - قلم الطومار، وقلم الثلث[1] - كلام في وجوه تجويد الكتابة وحسن التشكيل والوضع وحسن التدبير - لواحق الخط من نقط وشكل - علامات الشكل ومجال وضعها على طريقة المتقدمين وطريقة المتأخرين).

9- ابن النديم (محمد بن إسحق): الفهرست. ليبزج: طبعة فلوجل، 1872 . (يذكر أنواع الخط المدني، وبعض كتاب المصاحف المشهورين وأنواع خطوط المصاحف، ونخبة من المذهبين والمجلدين).

ومن المراجع الأجنبية الهامة كذلك حول الكتابة العربية :

1- Abbott. N., Rise of the North Arabic Script with Description of Qura Mansucripts in the Oriental Institute, University of Chicago Press. 1949.

(يعالج هذا المؤلف نشأة الخط العربي الشمالي، ويؤيد نظرية اشتقاقه من الخط النبطي، ويذكر أنواع الخطوط العربية القديمة).

2- Berchem. M.V., Materiaux pour un Corpus inscriptionum arabicarum (Mem. de la Miss. Archeology Franc. au Caire, Tome XIX,lere partie, Egypte Paaris 1894) [2]

3- Grohmann, A., Arabic Papyri in the Egyptian Library, Cairo 1934.

---

(1) أنواع من الخطوط التي عرفت فيما بعد ظهور الإسلام؛ فما كان يكتب بثماني شعرات من الأقلام يقال له قلم الثلث على اعتبار أن أكبر قلم يكتبون به يتكون من أربع وعشرين شعرة، وعلى ذلك فقلم الثلثين يتكون من16 شعرة، أما قلم الطومار فهو نوع من أنواع الكتابة التي ظهرت كذلك بعد الإسلام، انظر القلقشندي، صبح الأعشى، ج3.

(2) جامع الكتابات العربية (ترجمة العنوان).

4- Morits. B., Article "Arabi,a: Arabic Writing, Encycl. of Islam, London: Ed. Lyzac, 1913, Vol. 1.p. 381.

5- Moritz. B., Arabic Palaeography (Publications of the Khedinial Library, . Cairo 1905)

(وهذه المجموعة الغنية بنماذج من كتابات المصاحف وكتابات البردي كانت معينًا كبيرًا للباحثين).

6 - Wiet. G. Collab, & Sauvaget, Repertoire Chronologique d, Epigraphic Arabe (Imp. del' Inst, Franc. D, Orient. du Caire) 1931. [1]

كما كانت للمحاضرات التي ألقاها حفني ناصف، وطبعتها الجامعة وهي بعنوان: تاريخ الأدب أو حياة اللغة العربية: الكتاب الأول، القاهرة : مطبعة جامعة القاهرة، 1958؛ أثر طيب في نفوس الباحثين. فقد ألقى هذه المحاضرات في سنتي 1909- 1910م.

تلك كانت إشارة إلى أدب الموضوع، وهو أمر لا بد منه في مثل هذه البحوث العلمية، حتى يمكننا فتح الطريق إلى مزيد من الدراسات في هذه الجوانب المشرقة من تاريخ حضارتنا الزاهر .

وفيما يلي يمكننا دراسة الكتابة العربية من حيث نشأتها وتطورها قبل الإسلام وبعده مع التمثيل بنماذج مصورة من هذه الكتابات التي تبرز هذه النشأة وهذا التطور .

أولاً – نشأة وتطور الكتابة العربية قبل الإسلام :

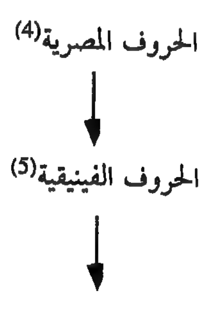
يحدد حفنى ناصف سلسلة تطور الخط بصفة عامة في كتابه «تاريخ الأدب»[2] وهو في نظري رأي قوي الحجة لأنه متكامل الفكرة حيث استطاع أن يبرهن على ذلك باللوحات

---

(1) السجل التاريخي للكتابات العربية (ترجمة العنوان).
(2) حفني ناصف: تاريخ الأدب، ص51 .

التي توضح ذلك : «أقدم حلقة معروفة في السلسلة أهل مصر وبعدهم الفينيقيون ويليهم الآراميون وأصحاب المسند، ولاشك في أن آرام بن سام المسمي عند العرب بآرام هو من أسلافنا العرب، فالخط الذي تلقاه أولاد آرام عن الفينيقيين في وقت اختلاطهم بهم وصل إلى اليمن بواسطة الخفلجان كاتب هود وغيره، وانتشر في اليمن ثم تعلمه النبط وكندة ومنهم تعلم أهل الحيرة والأنبار [1] . ومنهم تعلم أهل الحجاز، والخط الحيري هو بعينه الذي يسمى بالكوفي بعد بناء الكوفة وهو خط واحد، إلا أن أهل الكوفة اخترعوا فيه حلية وزخرفة تشبه الزخرفة التي استعملها السريانيون في خطهم المعروف السطرنجيلي . . وهذا الخط المزخرف يكتب به على المعابد وكتب الدين غالبًا ، أما الرقاع ونحوها فتكتب بالخط الحيري العادي المعروف بالنسخي ، وعلى رأينا هذا يكون الخط المسند من أصول الخط العربي، والسرياني ليس من حلقات تلك السلسلة»[2] .

وعلى ذلك يمكن لنا وضع هذا الرسم لتوضيح هذه السلسلة من تطور الخط بصفة عامة إلى أن وصل إلى بلاد العرب في الحجاز [3] .



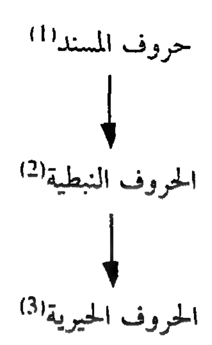
(1) انظر الخريطة التي أوردها إبراهيم جمعة في كتابه: «تطور الكتابات الكوفية» ص 27 ، حيث توضح المواقع التي انتشر فيها الخط الكوفي والخط بصفة عامة في أنحاء العالم الإسلامي . وعلى الخريطة نجد مواقع للأنبار والحيرة ودومة الجندل وأم الجمال والبطراء، وكلها في شمال الجزيرة العربية .

(2) حفني ناصف : المرجع السابق ذكره ، ص 51 .

(3) حفني ناصف : تاريخ الأدب، ص 57-60 .

(4) نفس المرجع شكل (2) ص 37 .

(5) نفس المرجع شكل (13) ص 57 .



وهكذا يثبت التمحيص العلمي كما يخبرنا «جمعة»[4] أن العرب أخذوا طريقتهم في الكتابة عن بني عمومتهم من الأنباط الذين كانوا قبل الإسلام ينزلون على تخوم المدينة في حوران، والبتراء، ومعان، والذين كانوا يجاورون العرب الحجازيين في تبوك، ومدائن صالح، والعلا في شمال الحجاز، وضح ذلك تمام الوضوح مما عثر عليه المنقبون في تلك الجهات من النقوش النبطية القريبة الشبه بأقدم النقوش العربية المعروفة مجموعة أشكال[5] .

كما انتفت بهذا التمحيص جميع النظريات التي كانت متداولة عن أصل الخط العربي من نظرية «التوقيف» التي تجعل من الكتابة العربية شيئًا من عند الله [6]، إلى النظرية الجنوبية « الحميرية» التي تذهب إلى اعتبار الخط العربي اشتقاقًا من الخط المسند الحميري،

(1) نفس المرجع شكل (14) ص 58

(2) نفس المرجع شكل (15) ص 59

(3) نفس المرجع شكل (16) ص 60

(4) إبراهيم جمعة : تطور الكتابات الكوفية ، ص 16 - 17 .

(5) انظر : خليل يحيي نامي : «أصل الخط العربي» ، ص 70 ، 71، 89 ، 90 ، 91 .وقد ألحقتها بنهاية هذا البحث مع ترجمتها إلى العربية حتى يستفيد منها الباحثون .

- انظر كذلك . إسرائيل ولفنسون « تاريخ اللغات السامية ص 190 نابيا أبوت : «نشأة الخط العربي الشمالي» .N Abbott. (R.N.A.S.) من مطبوعات جامعة شيكاغو، قسم الدراسات الشرقية ، 1938، ص 4 ، 5 .

(6) راجع ابن فارس : «كتاب الصاحبي» في فقه اللغة وسنن العرب في كلامهم، (باب القول على الخط العربي وأول من كتب به)، ص 7 .

- والقلقشندي : «صبح الأعشى» جـ3 ص 6 ، 7 .

- وخليل يحيي نامي : «أصل الخط العربي» ، ص 1 .

خط التبابعة في اليمن[1] إلى النظرية الشمالية « الحـيرية» التي تشير إلى أن ثلاثة من بولان من طيّئ قاموا بوضع هجاء العربية على هجـاء السريانية وعلموا الكتابة لأهل الأنبار، وعن هؤلاء تعلمها أهل «الحيرة ومن ثم انتقلت إلى مكة والطائف قبيل ظهور الإسلام على يدى « بشر بن عبد الملك الكندي» أخي الأكيدر صاحب دومة الجندل[2] .

واضح أن «جمعة» متأثر بما كتبه «نامي» في رسالته للدكتوراه فهو يلخص كلامه كما رأينا، وفي الحقيقة أن الكتـابة لا هي « توقيف» أى ليست منزلة من عند الله ولكنها ظاهرة من ظواهر الفنون تنتـقل كما تـنتقل تيارات الثـقافـات الأخرى من مكان إلى آخـر بطريقة طبيعـية يصعب أن تتميـز فيها أشخـاص الناقلين، وكذلك فإنها في نفس الوقت لا تعـتبر «اختراع»، قام به ثلاثة من طيّئ أو الثلاثة الطائيون وهم «مرامر بن مرة» و«أسلم بن سدرة» و «عامر بن جدرة» فأما مرامر فوضع الصور، وأما أسلم ففصل ووصل، وأما عامر فوضع الإعجام.

ولكن هذا الادعاء فاسد، كما يقول «نامي»[3] لأننا نلحظ أثر الصنعة والاختراع في الأسماء فهي موزونة ومقفـاة: «مرة»، «سدرة» ، «جدرة»، وهذا يدل على أنها قد وضعت وضعًا وليـست نتيجة الصـدفة والاتفاق. كـما أن الخط العربي في نشـأته كان يكتب بدون تنقيط، ولذلك فإن القول بأن عامر هو الذي وضع الإعجام قول يخالف الواقع.

ومهما يكن فإنه من الثابت والذي ليس عليـه خلاف بالمرة بين الباحثين أن العرب قد أخذت خطهـا من الأنحاء الشمـالية واقتطعـته من كتـابة شعب كان يسكن في مـدين وما يجاورها من الأنحاء الشمالية للبلاد العربية[4] .

---

(1) انظر القلقشندي : «صبح الأعشى» ج3 ص 9 .

- وابن خلدون : «المقدمة»، ص 418.

- ويحيي نامي : «أصل الخط العربي»، ص 3 ، 4 .

(2) البلاذري : «فتوح البلدان» ، طبعة المطبعة الأزهرية ، 1932 ، ص 456 - 460 .

(3) لقد ناقش يحي خليل نامي في كـتابه «أصل الخط العربي»ص 1 - 6 بشكل مفصل آراء العرب بالتفـصيل فيما يتعلق بأن الكتابة «توقيف» أو «اختراع» .

(4) نامي · نفس المرجع ، ص 5 .

فـمـا هو هذا الشـعب، ومـا هي هذه الكتـابة التي اشـتق العـرب منهـا هذا الخط الإسلامي؟ المـصادر العربيـة لا تذكر اسم هذا الـشعب[1] ولا اسم هذه الكتـــابة، ولكن المستـشرقين توصلوا إلى مـعرفـة ذلك في القرن التـاسع عشـر الميلادي وذلك أنهم قـاموا برحلات علمـية إلى تلك الأرجاء فعـثروا على نقوش وكتـابات تحمل اسم جماعـة تعرف «بالنبط» كانت تسكن في مـدين وما يجاورها من الأنحاء الشـمالية للبلاد العـربية وبعد أن قرأوا هذه النقوش[2] ودرسوها تبين لهم بالمقارنة أنها هي الأصل الذي تفرع منه الخط العربي الإسلامي[3] .

والخـلاصة أن الكتـابة العربيـة وصلت إلى العـرب عن طريق النبط، هذا ليس فيـه خلاف، ولكن الأمر الذي أثار ضجة بين البـاحثين قول بعض مؤرخي العرب[4] إن الكتابة «توقيف» أو «اختراع» .

إذا كنا درسنا الآن نشأة الكتابة العربية، وعرفـنا أن النبط كان لهم تأثير كبير في هذه النشأة وعرفنا كذلك اخـتلاف الباحثين والمؤرخين العرب حول هذه النشـأة، فما هو موطن الخط العربي؟ .

ثانيًا – موطن الخط العربي :

لقد درس «نامي»[5] هذا الموضوع دراسة وافيـة وتساءل: أين تطور الخط النبطي حتى صار يعرف باسم الخط العربي، وأين ولدت هذه الكتابة التي صارت فيما بعد كتابة المسلمين في جميع أنحاء العالم ؟.

وانتهى «نامي» بأن الخط العربي قد نشأ وولد في بلاد الحجاز لأن الكتابة من الأشياء

---

(1) هم جماعـة النبط، وتشير المراجع العربية بأسـماء عدة كما يذكر «جـمعة» ص 18 في كتابه «تطور الكتابات الكوفية»، فيـذكر منه الخط الأنباري والخط الحيري والخط المدني والخط المكي، وكلها خطوط حـذقها العرب قبل الإسـلام واشتـقوها من خط الأنبـاط، ثم الخط البصـري والخط الكوفي اللذين حـذقهـما العـرب بعد الإسلام.

(2) سأعرض في نهاية البحث بعضًا من هذه النقوش لتوضيح نشأة وتطور الكتابة العربية قبل الإسلام .

(3) يحيي خليل نامي «أصل الخط العربي» ص 5، 6 .

(4) نفس المرجع ، ص 1 - 6 .

(5) يحيي خليل نامي : «أصل الخط العربي» ، ص 102 - 106 .

الضرورية للتجارة وأهل الحجاز كما نعلم قوام حياتهم التجارة وهى مورد رزقهم الوحيد منها يتعيشون ويتكسبون لأن بلادهم أرض جدباء لا زرع فيها ولا ضرع، ومما ساعدهم على ذلك أن بلادهم في مكان وسط بين اليمن وبلاد الشام فأخذوا يتعاملون مع سكان هذين القطرين المتحضرين [رحلة الشتاء والصيف].

وكان الحجاز في القرن الخامس الميلادي – وهو القرن الذي انتقلت فيه الكتابة النبطية إلى الكتابة العربية – له سيادة روحية وأدبية على أنحاء الجزيرة العربية، فكانت القبائل تحج إلى مكة لتقوم بمراسيم عبادتها نحو الآلهة التي اختص أهلها دون غيرهم من العرب بسدانتها[1] وحمايتها .

وفي هذه المواسم المقدسة كانت تقام أسواق أدبية وتجارية تعرض فيها ضروب الأدب وفنونه بجانب السلع التجارية فنشأت حركة أدبية واسعة المدى شملت الجزيرة العربية وتغلغلت فيها .

لذلك نظن أن الكتابة العربية قد ولدت وترعرعت في هذه البلاد التجارية ومنها انتقلت إلى البلاد العربية الأخرى وانتشرت فيها وفرضت على أهلها كما فرضت عليهم اللهجة الحجازية وتغلبت على لهجاتهم العربية الأخرى وذلك عن طريق هذه الأسواق المقدسة ولمكانتها الدينية الممتازة .

ولكن هل كان أهل الحجاز يعرفون الخط النبطي، وهل كانوا يستعملونه في شؤونهم التجارية ؟ .

في الواقع أننا لا نجد أدلة تاريخية ثابتة تدل على أن الخط النبطي كان مستعملاً في بلاد الحجاز، وهذا قد نفسره بما يلي :

1- إن معظم النقوش القديمة قد ضاعت وأصابتها يد التلف لأن العرب القدماء كانوا لا يهتمون بالنقوش القديمة ولا يأبهون لها لدواع دينية وسياسية .

2- إن الحجاز مغلق أمام الباحثين لأنه مكان مقدس لا يدخله إلا المسلمون ولا يجوز فيه البحث والتنقيب .

(1) السدانة بكسر السين أى القيام بخدمتها .

ولكن فضلاً عن افتقارنا إلى هذه الأدلة التاريخية الواضحة فإن وجود الكتابة النبطية على أبواب الحجاز [العلا ومدائن صالح] في القرن الأول الميلادي يدل على أن بلاد الحجاز كانت تعرف هذه الكتابة وتستعملها في شؤونها العمرانية[1] .

فبلاد الحجاز كانت تعرف الكتابة النبطية كما نرجح، وكانت تستعملها في شؤونها التجارية ومنها انتقلت إلى جميع البلاد العربية وانتشرت فيها حتى صارت قلم الوثنيين وكتابة العرب القومية وذلك في نهاية القرن الثالث وأوائل القرن الرابع الميلادي، ثم أخذت هذه الكتابة تتطور في الحجاز تبعًا لحركة التجارة التي تحتاج إلى السرعة والاختصار ونتيجة لهذه النهضة الأدبية التي قامت في بلاد الحجاز حتي أصبحت الكتابة النبطية تعرف باسم الكتابة العربية وذلك في أوائل القرن الخامس الميلادي [2] .

ثالثًا – تطور الكتابة العربية بعد ظهور الإسلام :

وصل الخط الحيري الأنباري إلى الإسلام على شكلين : التقوير[3] ، والبسط[4] ، فالخط المقور (ويسمي باللين وبالنسخى) هو ما كانت[5] عراقاته منخسفة[6] إلى أسفل، وهو الذي كثر استعماله وعم تداوله في المراسلات والكتابات المعتادة.

---

(1) يحيي خليل نامي: «أصل الخط العربي»، ص 104 ، 105 .

(2) نفس المرجع السابق ، ص 105 ، 106 .

(3) التقوير : هو التدوير أو التقويس، وهو من أهم صفات الخط اللين .

(4) البسط : هو رسم أجزاء الحروف مستقيمة لا تقويس فيها، والخطوط المبسوطة عكس المقورة أو المدورة، وهذا البسط هو أهم صفات الخط الكوفي التذكاري (اليابس) ويعبر عن الخط المبسوط أحيانًا باليابس، وهو ما لا انخساف ولا انحطاط فيه (والانخساف هو الانحطاط أو التدوير أو النزول عن مستوى التسطيح بتقويس أو استدارة، ويكون عادة في الخطوط اللينة، في عراقاتها ، أما الانحطاط والانخساف بمعنى واحد في مصطلح الخط وهما النزول بتقويس عن مستوى التسطيح العام) والبسط أحيانًا هو الإرسال إلى النهاية .

- انظر : إبراهيم جمعة، نفس المصدر السابق، ص 104 .

(5) التعريق : وهو التقويس الذي يكمل رأس الجيم وأخواتها ورأس الفاء وأختها، ورأس العين وأختها، ورأس الواو، ورأس الياء ، ليجعل من كل منها حرف إفراد، والعراقة هي الجزء المدور من الحرف الهابط عن مستوى التسطيح .

- انظر : إبراهيم جمعة ، نفس المصدر، ص 105 .

(6) انظر الحاشية السابقة رقم (2) في نفس الصفحة .

والخط المبسوط (ويسمي باليـابس) ما كانت عراقاته مبسوطة، ولا يستعمل عادة إلا في النقش على المحاريب وأبواب المساجد وجدران المباني الكبيرة، وفي كتابة المصاحف الكبيرة، وما يقصد به الزينة والزخرف، وغلب عليه إطلاق لفظ «كوفي» بعد بناء الكوفة.

وكان كتّاب النبيﷺ يكتبون بالخط المقور وهو النسخي وبهذا الخط عينه كتب زيد بن ثابت صحف القرآن في خلافة أبي بكر بأمره رضي الله عنه بإشارة عمر بن الخطاب حين استحر القتل في القراء باليمامة .

كما أن الكتب التي أرسلها النبيﷺ للملوك كانت كلها بهذا الخط [1].

رابعًا – الشكل بطريق النقط :

لم يكن الخط الذي وصل إلى العرب مضبوطًا بالحركات والسكنات كما هو اليوم، بل كان خلوًا منها مما يدل على أشكال الحروف المكتوبة، فإذا رأيت كلمة «حمل» مثلاً فلا تدرى أفعل هي أم اسم، وإذا كانت فعلاً فلا تعرف أمبني للمعلوم أم للمجهول، وإذا كانت اسمًا فلا تفهم أمعناه الصغير من الضأن أم الثقل الذي يحمل على الدابة، وكان الناس مع ذلك يقرأون كل ما يكتب معتمدين على سياق الكلام وما يقتضيه المقام ودلالة السوابق واللواحق، ولا يلحنون في شيء مما يقرأونه لتعودهم على النطق الصحيح واقتفاء ألسنتهم لعقولهم، وعهدهم تلك الكلمات في جمل أخرى سبق الاطلاع عليها، ولكن لما انتشر الإسلام واختلط العرب بالعجم، ظهر اللحن في الكلام ودخل اللغة العربية بعض العجمة، وخشى العرب أن تفسد ألسنة أولادهم وذراريهم وتضعف لغتهم ويتطرق الخطأ إلى القرآن وهو حفاظ الدين وأساس الإسلام وجد من الضروري أن يدخل الشكل والإعجام على الكتابة العربية مخافة التصحيف والتحريف .

وقد قرر العلماء أن أبا الأسود الدؤلي هو الذي وضع الشكل بالنقط، وقال للكاتب: خذ المصحف وصبغًا يخالف لون المداد فإذا رأيتنى فتحت شفتي بالحرف فانقط واحدة فوقه

---

(1) حفني ناصف : تاريخ الأدب، ص 61.

وإذا كسرتها فانقط واحدة أسفله، وإذا ضممـتهما فاجعل النقطة بين يدي الحرف فإن تبعت شيئًا من هذه الحـركات غنة فانقط نقطتين حتى انتهى أبو الأسـود من إعراب القرآن وشكله بالطريقة السابقة [1] .

وكانوا يسمون هذه النقط شكلاً، لأنها تدل على شكل الحرف وصورته، ولولا ذلك لكان الحرف مادة قابلة لأن تتشكل بأي شكل .

وقد تفنن الناس بعد أبي الأسود في شكل النقط، فمنهم من جعلها مربعة ومنهم من جعلها مدورة مسدودة الوسط، ومنهم من جعلها مدورة خالية الوسط.

وأهل الأندلس استـعملوا أربعة ألوان في المصـاحف : السواد للحروف ، والحـمرة للشكل بطريقة النقط، والصفرة للهمزات، والخضرة لألفات الوصل.

أما لون نقاط أبي الأسود فكانت باللون الأحمر .

ولم تشـتهر طريـقة أبي الأسود إلا فـي المصاحف حـرصًا على إعراب القـرآن، أما الكتب العادية فكان شكلها نـادرًا، لأن المكتوب إليهم كانوا يعدون ذلك تجهـيلاً لهم، قال بعضهم: شكل الكتاب سوء ظن بالمكتوب إليه[2] .

خامسًا - الإعجام :

المراد بالإعجام تمييـز الحروف المتشابهة بوضع نقط لمنع اللبس، فالهـمزة في الإعجام للسلب، أي إزالة العجمة كما في قولك شكوت إليه فأشكانى، أى أزال شكواي.

والمشهور أن اختراع الإعجام كان في زمن عبد الملك بن مروان، وبيان ذلك أن الناس مكثوا يقرأون في مـصاحف عثمان نيفًا وأربعـين سنة ثم كثر التصحيف في العـراق، ففزع الحجاج إلى كتّابه في زمن عبد الملك، وسألهم أن يضعوا علامات لتمييز الحروف المشابهة،

(1) إبراهيم جمعة: دراسة في تطور الكتابات الكوفية، ص 273؛ العسكري، ابن سعيد: التصحيف والتحريف، باب قبح التصحيف وبشاعته، ص 8 ومـا بعدها، حـفني ناصف: تاريخ الأدب، ص 66 . 69 ؛ صبح الأعشى، جـ3 ، ص 156 . وانظر اللوحات المرفقة بنهاية البحث .

(2) حفني ناصف : تاريخ الأدب، ص 69 .

ودعا نصر بن عاصم الليثي ويحيي بن يعمر العدواني (تلميذي أبي الأسود) لهذا الأمر، وكانت عامة المسلمين تكره أن يزيد أحد شيئًا على ما في مصحف عثمان ،ولو للإصلاح، وبعد بحث وترو قرر نصر ويحيى إدخال الإصلاح الثاني، وهو أن توضع النقط أفرادًا وأزواجًا لتمييز الأحرف المتشابهة[1] .

ولما كان هذا الإصلاح يستدعى اشتباه نقط الشكل بنقط الإعجام، قررا أن تكون نقط الشكل بالمداد الأحمر، كما ذهب إليه أستاذهما أبو الأسود ونقط الإعجام بنفس مداد الحروف.

وبعد أن قررا نقط بعض الحروف وإهمال بعضها الآخر اتفقا على جمع الحروف المتشابهة بعضها بجانب بعض، ولذلك اضطرا إلى مخالفة الترتيب القديم المألوف عند أكثر الأمم، وهو ترتيب أبجد والترتيب الحديث الذي روعي فيه ترتيب المخارج، واتبعا ترتيبًا آخر وهو ترتيب ا ب ت ث ج ح خ ... إلخ .

ولم يختص هذا الإصلاح في كتابة المصاحف فقط، بل عم جميع الكتابة، حتي عدَّ إهمال الإعجام خطأً في الكتابة يستحق فاعله الملام، واستمر الأمر على اتباع هذا الإعجام إلى الآن [2] .

وقد تفنن أتباع نصر بن عاصم في وضع نقط الإعجام، فمنهم من وضعها مربعة، ومنهم من وضعها مدورة مسدودة الوسط، ومنهم من وضعها جرةً صغيرة فوق الحرف أو تحته، ولم يستعملوا المدورة الخالية الوسط[3] .

سادسًا – الشكل بطريق الحروف الصغيرة :

اتبع الناس في زمن دولة بني أمية الإصلاح الأول الذي أدخله أبو الأسود والإصلاح الثاني الذي أدخله نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر. وفي زمن دولة بني العباس مال الناس

---

(1) انظر حفني ناصف : تاريخ الأدب، ص 71 - 75 ، حيث يشرح الأسلوب المتبع في نقط الإعجام على الحروف وحكمه و سبب ذلك .

(2) حفني ناصف : نفس المرجع، ص72، 73 .

(3) المرجع السابق ، ص 75 .

إلى آن يجعلوا الشكل بنفس مداد الكتابة تسهيلاً للأمر لأنه لا يتيسر للكاتب في كل وقت آن يجد لونين من المداد، فوقف في سبيلهم اختلاط الشكل بالإعجام، لأن كلاً منهما بالنقط، ورأوا أنه لا بد من إصلاح ثالث إما بتغيير طريقة الشكل، وإما بتغيير طريقة الإعجام، وقد عني الخليل بن أحمد الفراهيدي بهذا الأمر، وكان أوسع الناس علمًا بالعربية، فوضع طريقة أخرى للشكل، وهي التي عليها الناس الآن، فكان مجموع ما وضعه الخليل ثماني علامات: الفتحة والضمة والكسرة والسكون والشدة والمدة والصلة والهمزة، وبهذه الطريقة أمكن أن يجمع الكاتب بين الكتابة والإعجام والشكل بلون واحد[1] .

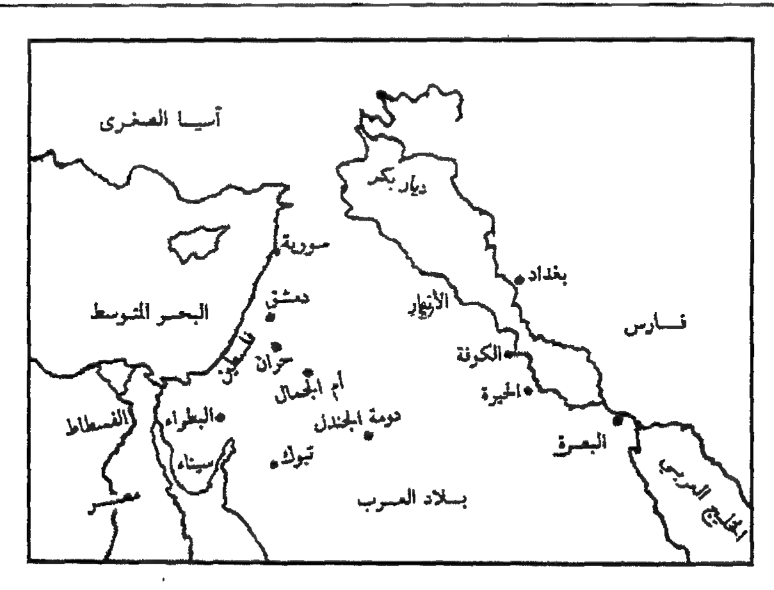
تلك كانت مراحل الإصلاح الثلاث في تطور الكتابة العربية بعد الإسلام، حتي إذا ما وصلنا إلى القرن الخامس الهجري نجد أنه قد ألف في الكتابة العربية المؤلفات الكبيرة والدراسات الجامعية والبحوث من العرب والمستشرقين مما ذكرته ولم أذكره في مدخل هذه الدراسة .

---

(1) انظر بالتفصيل حفني ناصف: تاريخ الأدب، ص 76 - 78 . وكذلك إبراهيم جمعة: دراسة في تطور الكتابات الكوفية، ص 373 - 278، والقلقشندي : صبح الأعشى، . جـ3 ص 158 - 163 .

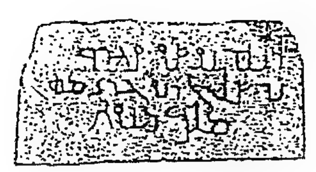
قائمة باللوحات المرفقة

رقم اللوحة	موضوعها
1	خريطة توضح البلاد التي انتشر فيها الخط العربي.
2	النقوش العربية والنبطية قبل الإسلام.
3	تطور الأبجدية العربية من القرن الثالث إلى الثامن الميلادي.
4	صفحة من مصحف يرجع إلى القرن الثالث الهجري محفوظ في دار الكتب المصرية ويظهر فيه النقط بمعنى الشكل كما قام به أبو الأسود الدؤلي .
5	كتابة نقوش بالكوفي على المقابر والمخطوطات ترجع إلى القرن الثالث إلى الرابع الهجري
6	الأبجدية الكوفية من القرن الثالث إلي الخامس الهجري .
7	الأبجدية الكوفية من القرن الخامس إلي السادس الهجري .
8	صفحة من مصحف يرجع إلى القرن السادس الهجري .
9	صفحة من مخطوط يرجع إلى القرن العاشر الهجري محفوظ بدار الكتب المصرية .



لوحة رقم (1)

خريطة توضح البلاد التى انتشر فيها الخط العربى قبيل الإسلام وبعده ومنها إلي أنحاء العالم الإسلامى نقلاً عن إبراهيم جمعة : تطور الكتابات الكوفية ، ص (27)



1. Nabataean inscription on tombstone of Fihr. Umm al-Jimal, ca. A.D. 250. After Enno Littmann in *Flor. de Vogüé* p. [illegible]. Scale, 1:10

2. Arabic inscription of Imru' al-Kais. Namarah, A.D. 328. After René Dussaud in *Revue archéologique*, 3. sér., XLI (1902), 411. Scale, 1:10. *Rep.* No. 1.



3. Arabic inscription from Zabad, A.D. 512. After Eduard Sachau in *MPAW*, 1881, pl. facing p. 190. Scale, about 1:15. *Rep.* No. 2.

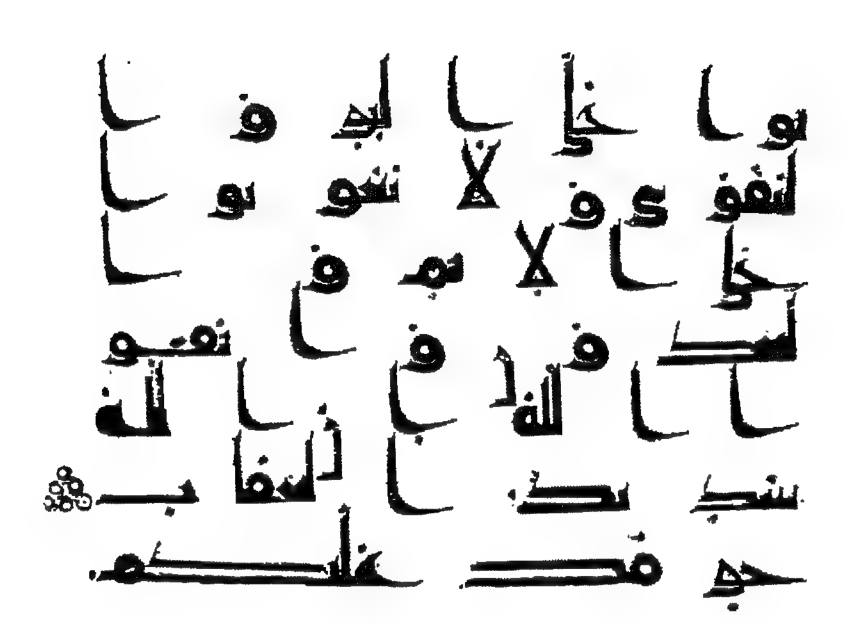
4. Arabic inscription at Harrân, A.D. 568. After P. Schroeder in *ZDMG* XXXVIII (1884) pl. facing p. 530. Scale, 1:2. *Rep.* No. 3.

5. Arabic inscription at Umm al-Jimâl, 6th century. After Enno Littmann in *ZS* VII (1929) 198. Scale, 1:10. *Rep.* No. 4.

Nabataean and Pre-Islamic Arabic Inscriptions

لوحة رقم (2)

لوحة رقم (3)



لوحة رقم (4)

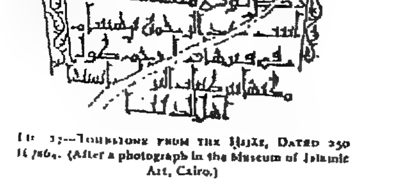


Fig. 37.—Tombstone from the Hijāz, Dated 250 H./864. (After a photograph in the Museum of Islamic Art, Cairo.)



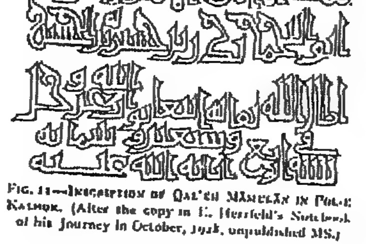


Fig. 11.—Inscription of Qal'eh Māmelān in Pol-e Kalhor. (After the copy in E. Herzfeld's Notebook of his Journey in October, 1928, unpublished MS.)



Fig. 6.—Tombstone of Qairawān, [illegible] H./[illegible] (After Houdas Basset, Épigraphie tunisienne, No. 14, Bulletin de Correspondance Africaine, vol. [illegible], pl. [illegible])

لوحة رقم (5)



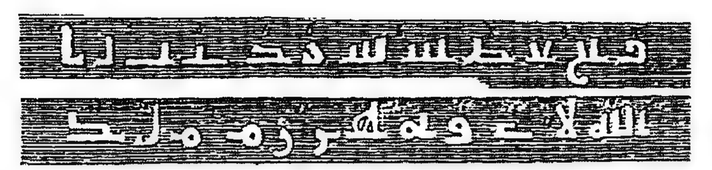


Fig. 1. — Alphabet coufique cordouan du IIIème siècle. (Inscription n° 1, 244 H.)

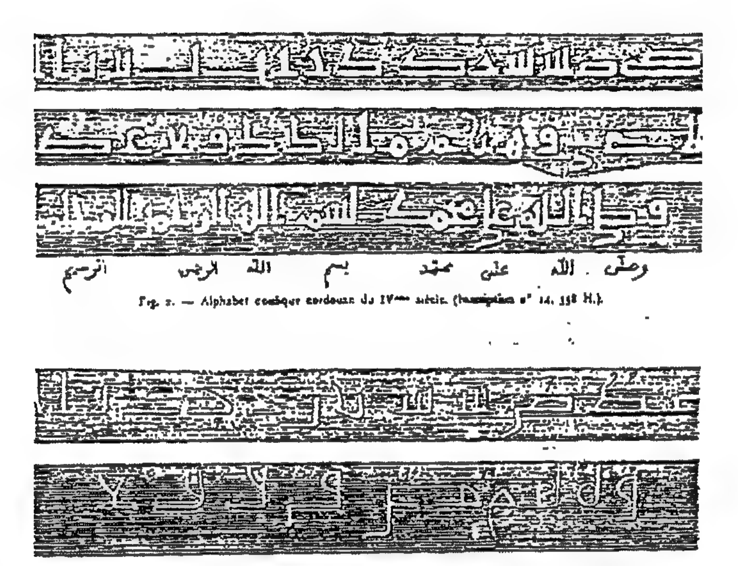


Fig. 2. — Alphabet coufique cordouan du IVème siècle. (Inscription n° 14, 358 H.)

Fig. 3. — Alphabet coufique en creux du Vème siècle. (Inscription n° 21, Cordoue, 431 H.)



Fig. 4. — Technique sévillane du Vème siècle. (Inscription n° 31, 478 H., lignes 11-12.)

لوحة رقم (6)

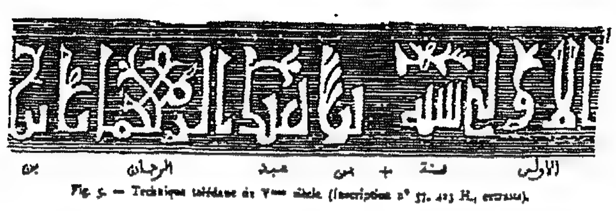


Fig. 5. — Technique tolédane du Vème siècle (Inscription n° 57, 423 H., extraite).



Fig. 7. — Alphabet coufique tolédan. (Inscription n° 61, 432 H.).

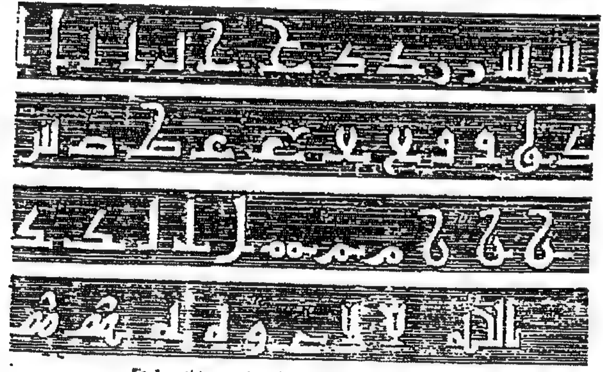
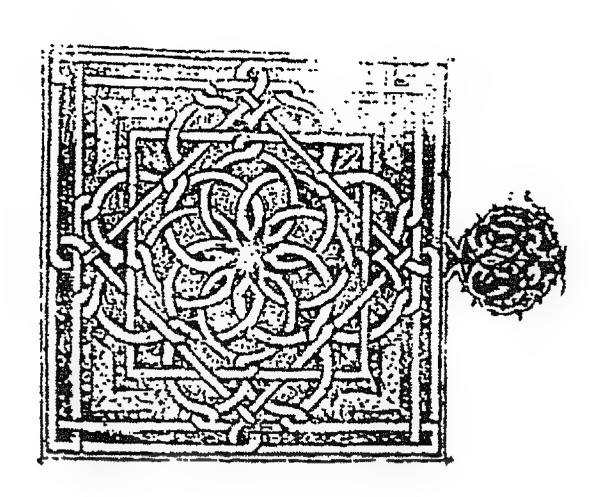


Fig. 8. — Alphabet coufique almérien. (Inscription n° 133, 511 H.).

لوحة رقم (7)





Kur'ān. A. H. 557 — A. D. 1160. at Valencia, Spain.

Khedivial Library.

لوحة رقم (8)



'Abd al Salām al Misrātī, Sharh asmā Allah. A. H. 983 — A. D. 1575.

لوحة رقم (٩)



الفصل الثالث

التوثيق الإسلامي



تمهيد :

ظلت الرواية الشفوية في نقل الأخبار الدينية والأدبية، فترة من الزمن، أساسًا يعتمد عليه في عـصر الحضارة الإسـلامية، ذلك أن المسلمين كانوا يهـتمون بجانب حـفظ القرآن الكريم والحديث النبوي، بالأشعار وأخبار السابقين.

وظل الشك في الكلمة المدونة وعدم الثقة بالمكتـوب فترة من الزمن، وكان المسلمون يؤثرون التعلم الشفوي على العلم الذي يحصله الطالب من الكتب.

ولم تسـتمر هذه الحـالة طويلاً، بل سرعـان ما لجـأ المسلمون الأوائل إلى الـتدوين والتوثيق .

فالتوثيق أصله من الفعل وثّق الأمر، أى أحكمه وأتقنه، ووثّق الرجل إذا قال فيه إنه ثقة[1] ، ويراد به اصطلاحًا كما سنرى في هذه الدراسة بالتفصيل :

«اقتناء الكتب بشرائها، أو اسـتعارتها، أو نسخها مع مراعـاة آداب الكتابة والتعامل مع الكتب ومقابلتها ونقد نصوصها وتصحيحها مع مراعاة الاختصارات اللازمة».

هذا هو مفهوم التوثيق في العصر الإسلامي، ولا شك في أن الذي دفعني إلى تأكيد هذا المفهوم، هو ضرورة إبراز الجوانب الحيوية في حضارتنا الإسلامية، والتي أضاءت الدنيا بالعلم والنور.

فإذا ما اتجهنا إلى مفهوم التوثيق بـالمعنى الحالي وهو: « العمليات الفنية التي تشتمل على جمع وحصـر الوثائق وتنظيمها وتحليلهـا ونسخها وترجمـة ما يحتاج ترجمـته بهدف

---

(1) التوثيق : تاريخه وأدواته : عـبد المجيد عابدين . بغداد: المجلس الدولي للوثائق، الفـرع الإقليمي العربي ، 1982 ، ص 7 .

- وحول مفهوم التوثيق بالمعنى الحالي انظر :
- المكتبات المتخصصة : أحمد بدر وحشمت قاسم. الكويت : وكالة المطبوعات ، 1972 .
- مصادر المعلومات : أنور عمر. القاهرة : المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

تقديمها إلى الباحثين"، بمقارنة المصطلح «توثيق» في الحضارة الإسلامية، بما هو جار حاليًا، فسنجد أن الفرق هو وجود الطباعة والآلات التي تساعد على طبع وتداول الوثائق.

إن ما ينبغي عدم إغفاله هو دور علماء المسلمين في مجال تسجيل المعارف وتوثيقها أو على حد مصطلح العصر الإسلامي تقييدها .

وإذا كانت تكنولوجيا المعلومات تلعب دورًا هامًا هائلاً هذه الأيام في تسجيل المعارف البشرية فإن لعلماء المسلمين فضل السبق في عصر المخطوطات، حيث حافظوا على التراث الإسلامي العلمي إلى أن وصل إلى أيدينا في عصر ظهور الآلات والتكنولوجيا .

ومن الأهمية بمكان أن نشير إلى جهد علماء المسلمين في هذا المجال :

ألف الشيخ عبد الباسط بن موسى بن محمد العلموي المتوفي في دمشق سنة 981هـ / 1573م كتابًا سماه «المعيد في أدب المفيد والمستفيد»[1] ، عالج فيه قضية أسلوب الرواية المدونة للعلم وأساليبها وطرائقها وشروطها، وهذا الكتاب اختصار لكتاب «الدر النضيد» للبدر الغزي (توفي في سنة 1577م) الذي عاصر العلموي.

وهذا الفصل الذي يبحث هذه الأمور (وهو الفصل السادس) لا يختلف كثيرًا عن الباب الرابع من كتاب ابن جماعة الموسوم بـ «تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم» الذي ألفه عام 1273م[2] . وبما أن ما كتبه العلموي في كتابه «المعيد» أوفى بحثًا وأكثر وضوحًا من صاحبه ابن جماعة فسوف اعتمد على ما ورد في الفصل السادس من كتاب العلموي .

كما عالج الخطيب البغدادي (المتوفي سنة 1071 ميلادية) الموضوع ذاته[3] ، ويظهر أن

---

(1) العلموي، عبد الباسط بن موسي بن محمد (ت 981هـ / 1573م) : «المعيد في أدب المفيد والمستفيد» مطبعة الترقي بدمشق، ص 130- 139.

(2) ابن جماعة : تذكرة السامع والمتكلم في آدب العالم والمتعلم. حيدر آباد، 1353هـ.

(3) الخطيب البغدادي (ت 463هـ/ 1071م): كتاب تقييد العلم لم يعثر عليه.

- وللخطيب البغدادي تصانيف كثيرة في نقد الحديث وعلم الرواية منها الكفاية في علم الرواية. حيدر آباد، 1357هـ.

ابن جماعة قد اعتمد على الخطيب واستفاد منه. غير أننا لا نستطيع أن نقول إلى أي مدى اقتبس ابن جماعة من كتاب الخطيب، لأن كتاب الخطيب لم يعثر عليه بعد. وقد يكون كتاب الخطيب هو المصدر المشترك الذي أخذ عنه ابن جماعة والعلموي، وقد يكون في هذه الظاهرة ما يفسر لنا لماذا لا يذكر العلموي كتاب ابن جماعة ولا يشير إليه إلا نادراً، ويذكر العلموي إلى جانب ذكره الخطيب جماعة من العلماء مثل العراقي والنووي وعياض ابن الصلاح[1] ، وفي هذا دليل على أن العلموي كان يلخص ما قام به سابقوه من العلماء في هذا الحقل. ولكن ينبغي أن نذكر أن ما كتب في هذا الموضوع قد مر في مراحل تطور وتقدم ملحوظ إلى أن اتخذ شكله النهائي في القرن السادس عشر للميلاد[2] .

وقد تناول العلماء المعاصرون هذا الموضوع فمنهم من سماه: «مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي»[3] ، والبعض تناوله في كتب «البحث الأدبي»[4] وآخرون أدرجوه ضمن «تحقيق النصوص ونشرها»[5] . وكذلك نرى «النقد التاريخي» يحتل عناوين منفردة، أو مدرجة ضمن كتب «المنطق»[6] ، أو «المنطق ومناهج البحث»[7] ، ومنهم من نبه الطلاب إلى أهمية هذا الموضوع في شكل مذكرات[8] .

---

(1) من الكتب الهامة في مجال نقد الحديث والنصوص، كتاب ابن الصلاح المتوفي (643هـ) وقد اعتنى ابن الصلاح بتصانيف الخطيب البغدادي المفرقة فجمع شتات مقاصدها وضم إليها ما تفرق في مصادر أخرى.

- و«مقدمة ابن الصلاح» اختصرها كثيرون، منهم ابن كثير القرشي (ت 774هـ) في كتاب (اختصار علوم الحديث)، شرح هذا المختصر الأستاذ / أحمد محمد شاكر بعنوان (الباعث الحثيث إلى شرح اختصار علوم الحديث) ط. القاهرة.

(2) انظر · مناهج علماء المسلمين في البحث العلمي، تأليف فرانز روزنتال وترجمة أنيس فريحة. بيروت: دار الثقافة، 1961 .

- وعنوان الكتاب : (The Technique and Approach of Mtolim Scholarship) .

(3) مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي.. المرجع السابق ذكره .

(4) البحث الأدبي : شوقي ضيف. القاهرة، 1972 .

(5) تحقيق النصوص ونشرها: عبد السلام هارون. القاهرة، 1954 .

(6) المنطق : جميل صليبا. بيروت ، 1967 .

(7) المنطق ومناهج البحث : محمود قاسم. القاهرة ، 1969 .

(8) مذكرات بنت الشاطئ لطلبة السنة التمهيدية للماجستير بالجامعة ، الفرع قسم اللغة العربية، يناير 1970 .

وهكذا تختلف التسميات لهذا الجانب الحيوي من حضارتنا الإسلامية، فإذا ما انتقلنا إلى علوم الوثائق والمكتبات فإننا نلاحظ فيما يلي من موضوعات حول «التوثيق الإسلامي» أنها تخدم الغرض الحالي من التوثيق، إلا أن عصرنا هو عصر التقدم التكنولوجي والانفجار المعرفي والتقدم الهائل في وسائل الاتصال وغير ذلك من أوعية الذاكرة الخارجية وخاصة المصغرات الفيلمية وصلتها بالعقول الإلكترونية .

وفيما يلي الموضوعات التي يمكن دراستها حول التوثيق الإسلامي، مستعينًا بما ورد في الباب السادس، في المسائل العشر من كتاب العلموي السابق ذكره، بعد تقسيمها موضوعيًا :

أولاً – شراء الكتب واقتناؤها :

ثانيًا – الإعارة .

ثالثًا – آداب تتعلق بالتعامل مع الكتب والكتابة .

رابعًا – نسخ الكتب .

خامسًا – ضبط الكتب وتصحيحها ومقابلتها .

سادسًا – الاختصارات .

سابعًا – نقد الوثائق .

أولاً – اقتناء الكتب :

كان المسلمون حريصين على اقتناء الكتب، «فينبغي لطالب العلم أن يعتني بتحصيل الكتب المحتاج إليها في العلوم النافعة ما أمكنه شراء أو إجارة [1] أو عارية[2] لأنها آلة

---

(1) مصطلح «إجارة» يعني دفع شيء من المال مقابل استعمال الكتاب ومقابل حق استنساخه، انظر: مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي، ص 29 حاشية (1) .

(2) العارية : أى نظام الاستعارة .

التحصيل. ولا يجعل تحصيلها وجمعها وكثرتها حظه من العلم، ونصيبه من الفهم، وقد آحسن القائل:

إذ لم تكن حافظًا واعيًا فجمعك للكتب لا ينفع

وإن أمكنه تحصيلها شراء فلا يشتغل بنسخها لأن الاشتغال أهم من النسخ، ولا يرضى بالاستعارة مع إمكان تحصيلها ملكًا أو إجارة [1].

وعادة في المكتبات أو لدى الأفراد أن نبدأ في حالة الرغبة في اقتناء كتب أو تكوين مكتبة أن يكون الموضوع الأول هو عملية التزويد (Acquisition) أوالتعرف على قوائم الناشرين بهدف اختيار ما نحتاج من الكتب من هذه القوائم .

كما نضع في اعتبارنا التبادل والإهداء كمصدرين من مصادر الاقتناء، وكذلك في النهاية عملية الإعارة من مكتبات أخرى (Interlibrary loan system) .

ثانيًا - الإعارة :

نظام الاستعارة الحالي في المكتبات يخضع لإجراءات ولائحة تنظم سير العمل به، ويختلف هذا النظام من مكتبة إلى أخرى.

«ويستحب إعارة الكتب لمن لا ضرر عليه فيها ممن لا ضرر منه بها، وكره عاريتها قوم، والأول هو الأصح المختار لما فيه من الإعانة على العلم مع ما في مطلق العارية من الفضل والأجر، روينا عن وكيع: أن أول بركة الحديث إعارة الكتب، وعن سفيان الثوري: من بخل بالعلم ابتلى بإحدى الثلاث : أن ينساه ، أو يموت فلا ينتفع به، أو تذهب كتبه. وقال رجل لأبي العتاهية : أعرني كتابك ، فقال: إني أكره ذلك. فقال: أما علمت أن المكارم موصولة بالمكاره ؟ فأعاره .

وكتب الشافعي إلى محمد بن الحسن رضي الله عنهما:

---

(1) العلموي : الباب السادس ، المسألة الأولى، نقلاً عن مناهج العلماء المسلمين ، ص 29، 30 .

قــولا لمـن لـم تر عـيـــ ـــنا مـــن رآه مـــثلـه
ومـــــن كـأنَّ مـــــن رآ هُ قـــد رأى مَن قـــبلـه
الـعـلـم يـنـهـى أهـلـه أن يمـنـعـــوه أهـلـه
لـعلـــه يـبــذلــه لأهــلـــه لـعـلـــه

وإذا استعار كـتابًا فلا يبطئ به من غير حاجـة، وإذا طلبه المالك فيحرم عليـه حبسه ويصير غاصبًا له. وقد جاء في ذم الإبطاء برد الكتب المستعارة عن السلف أشياء كثيرة نظمًا ونثرًا رويناها في كتاب الخطيب «الجـامع لأخلاق الراوي والسامع»، منها عن الزهري: إياك وغلول الكتب، وهو حبسها عن أصحابها. قال الخطيب: وبسبب حبسها امتنع غير واحد عن إعارتها[1] .

ونحن نرى أن ضوابط الإعارة أو بمعنى أصح من أهم إجراءاتها :

- أن يعار الكتاب لمن هو أهل لذلك .

- من استعار كتابًا عليه برده في الوقت المناسب خـشية حرمان أو حبس ـ على حد مصطلح العصر الإسلامي ـ الكتاب عن غيره، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على مدى الرقي الحضاري في ذلك الزمان.

ثالثًا - آداب تتعلق بالتعامل مع الكتب والكتابة :

فيمـا سبق علمنا السياسة التي يجـب اتخاذها لاقتناء الكتب في العصور الإسـلامية الزاهرة كـما وردت في المـسألة الأولى من البـاب السـادس من كتـاب «العلمـوي»، وفي الموضوع الثاني عـلمنا نظام الاستعارة كمـا وردت في المسألة الثانية من الـباب السادس من نفس الكتاب؛ وفي هذا الموضوع سندرس أدب التعامل مع الكتب واحـترامها وهو ما ينبغي دراسته وتدريسه لطلابنا اعتبارًا من سني التعليـم الأولى حتى نهاية التعليم الجامعي، فكثيرًا

---

(1) العلموي : الباب السادس ، المسألة الثانية، نقلاً عن مناهج العلماء المسلمين ، ص 30 - 32 .

ما نجد عادات سيئة مع الكبار حول معاملة الكتب، وهذه ظاهرة ملفتة للنظر، لأن السبب وراء ذلك كله هو عدم توجيه الكبار عندما كانوا صغارًا .

«لا يجوز أن يُصلح كتاب غيره بغير إذن صاحبه، قلت: وهذا محله في غير القرآن، فإن كان مغلوطًا أو ملحونًا فليصلحه. غاية ما في الباب إن لم يكن خطه مناسبًا (لخط المصلح) فليأمر من يكتب ذلك بخط حسن، ولا يحشيه ولا يكتب شيئًا في بياض فواتحه أو خواتمه إلا إذا علم رضا صاحبه، ولا يعيره غيرَه، ولا يودعه لغير ضرورة حيث يجوز شرعًا. ولا ينسخ منه بغير إذن صاحبه، فإن كان الكتاب وقفًا على من ينتفع به غير معيَّن فلا بأس بالنسخ منه مع الاحتياط، وأنشد بعضهم :

أيها المستعيرُ مني كتابًا

إرضَ لي فيه ما لنفسك ترضى

وإذا نسخ من الكتاب أو طالعه فلا يضعه مفروشًا على الأرض بل يجعله مرتفعًا، وإذا وضع الكتب مصفوفة فلتكن على شيء مرتفع غير الأرض لئلا تندى فتبلى، ويراعي الأدب في وضعها باعتبار علومها، فيضع الأشرف أعلى الكل، فإن استوت كتب في فن فليراع شرف المصنف فيجعله أعلى، وليجعل المصحف الكريم أعلى الكل، والأولى أن يكون في خريطة ذات عروة في مسمار ونحوه في حائط طاهر نظيف في صدر المجلس، ثم كتب الحديث الصرف كالبخاري ومسلم، ثم تفسير القرآن، ثم تفسير الحديث، ثم الفقه، ثم أصول الدين، ثم أصول الفقه، ثم النحو والصرف، ثم أشعار العرب، ثم العروض، وما في معناه ونحو ذلك، ولا يضع ذوات القطع الكبيرة فوق ذوات القطع الصغيرة كيلا يكثر تساقطها. وينبغي أن يكون اسم الكتاب عليه في حَرْفِ عَرْضِهِ[1] ويجعل رؤوس الترجمة إلى مرد الجلد المقابل للسان لئلا تصير الكتابة معكوسة .

---

(1) يجد القارئ في المقال التالي صور توضح طريقة المسلمين في تصفيف الكتب :
A. Grohmann, Bibliotheken und Bibliophilen im Islamiscien Orient in Festschrift der Nationalibibliothek in Wien, 437 (Vienna. 1926) .

ويراعي في صف الكتب حسن الوضع، بأن يجعل الحبكة في ناحية، والمجلد الآخر يجعل حبكته في الناحية الأخرى، فتكون الكتب قائمة بلا اعوجاج، وإلا فيتعوج الصف ضرورة، لأن جهة اللسان من كل كتاب أعلى من جهة الحبكة ، لأن جهة الحبكة مضغوطة مقموطة، ولا يجعل الكتاب خزانة للكراريس وغيرها ، ولا مخدة، ولا مروحة، ولا مستنذا، ولا متكأ، ولا مقتلة للبق، ولا يطوي حاشية الورقة وزاويتها كما يفعله كثير من الجهلة .

وإذا ظفر فلا يكبس ظفره يهشم الورقة ولو مآلاً. وإذا استعار كتابًا فينبغي أن يتفقده عند إرادة أخذه ورده من ورقة محتاج إليها ونحوها .

وإذا اشترى كتابًا نظر أوله وآخره، ووسطه وترتيب أبوابه وكراريسه واعتبر صحته، ومما يغلب على الظن في صحته ما أشار إليه الشافعي أن يرى فيه إلحاقًا أو إصلاحًا، فإنه شاهد له بالصحة. قال بعضهم : لا يضيء الكتاب حتى يظلم ، يريد إصلاحه [1].

وهكذا نرى أن علماء المسلمين يضعون القواعد السليمة للتأدب مع الكتب وتصنيفها بحسب أقدارها وكيفية تداولها وإصلاحها وفحصها فحصًا جيدًا قبل شرائها، ولعمري إنها آداب غالية ، فكثير من أمناء المكتبات في العصر الحالي لا يدركون هذه الحقيقة الهامة نحو فحص الكتاب قبل شرائه، وفي أحيان أخرى يتم شراء الكتب عن طريق قوائم الكتب، وفي زحمة الروتين اليومي تنسى عمليات الفحص التي تعتبر ضرورية لمعرفة صحة الكتب في ترتيبها من الداخل وعدم تمزقها .

ومن الأمور الهامة كذلك التي اهتم بها علماء المسلمين، آداب النسخ، والأصول التي يجب اتباعها عند نقل كتاب أو إعداد نسخة منه :

«إذا نسخ شيئًا من كتب العلم الشرعية فينبغي أن يكون على طهارة، مستقبل القبلة طاهر البدن والثياب والحبر والورق . ويبتدئ كل كتاب بكتابة ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ وإن كان مصنفه تركها فليكتبها هو . ثم ليكتب: قال الشيخ، أو قال المصنف، ثم يشرع في

---

(1) العلموي : الباب السادس، المسألة الثالثة، نقلاً عن مناهج العلماء المسلمين، ص 32 - 35 .

كتـابة ما صنفه المصنف. وإذا فـرغ من كتابة الـكتاب أو الجزء فليـختم الكتابة بالحـمد لله والصلاة على رسـول الله ﷺ، وليختم بقوله: آخـر الجزء الأول أو الثاني مثـلاً ويتلوه كذا وكذا إن لم يكن أكـمل الكتاب، فـإن أكمله فليقل تم الكتـاب الفلاني، فـفي ذلك فوائد كثيرة.

وكلما كتب اسم الله تعالى أتبعه بالتـعظيم، مثل: تعالى أو سبحانه، أو عز وجل، أو تقدس، أو تبارك، ويتلفظ بذلك.

وكلما كتب اسم النبـي ﷺ، كتب بعده الصلاة عليه والسـلام، وجرت عادة السلف والخلف بكتابة صلي الله عليه وسلم، ولعل ذلك لموافقة الأمر في الكتاب العزيز في قوله: ﴿صلوا عليه وسلمـوا﴾. ولا يختصر الصـلاة في الكتابة، ولا يسأم من تكريرها، كـما يفعله بعض المحررين من كتابة صلعم، أو صلع، أو صلم، أو صم، أو صلسم، فإن ذلك مكروه كـما قال الـعراقي. ويقـال إن أول من كتب «صلعم» قطعت يده. وأعلـم أن أجر كتابة الصلاة بكاملها عظيم، وهو من أكبر الفوائد العاجلة.

وإذا مر بذكـر أحد من الصحـابة كتب رضي الله عنه، أو رضوان الله عليـه، أو مر بذكر أحـد من الأئمة، لا سيـما الأعلام وهداة الإسلام، كـتب رحمه الله أو رحـمة الله عليه، أو تغمده الله برحمته، ولا يكتب الصلاة والسـلام لغير الأنبياء والملائكة لاختصاص ذلك عرفًا وشرعًا بالأنبياء والملائكة عليهم السلام. ومتى سقط من ذلك شيء فلا يتقيد به، بل يثبتـه مع النطق به. واختار أحمـد بن حنبل إسقاط الصلاة والسـلام والترضي والترحم رواية مع نطقـه بذلك. وإفـراد الصلاة عـن السلام مكروه، وعكـسه كـذلك، كـما قـال النووي[1].

رابعًا – نسخ الكتب:

يتلخص الدور الحـضاري للـمسلمين، في القـواعـد والأسلوب العلمي الذي وضع لنسخ الكتب، وهو ما يحدث حاليًا أثناء نشر الكتب، وإن جـاز القول بأنها نفس القواعد الواجب مراعاتها أثناء نشر الكتب.

---

(1) العلموي: الباب السادس، المسألة الرابعة، نقلاً عن مناهج العلماء المسلمين، ص 36، 37.

«لا يهتم المشتغل بالمبالغة في حسن الخط، وإنما يهتم بصحته وتصحيحه، ويجتنب التعليق جدا، وهو خلط الحروف التي ينبغي تفرقتها، والمشق، وهو سرعة الكتابة مع بعثرة الحروف. قال عمر رضي الله عنه، شر الكتابة المشق، وشر القراءة الهذرمة، وأجود الخط أبينه.

ولا يكتب الكتابة الدقيقة لأنه ربما لم يتنفع به وقت حاجة الانتفاع به من كبر وضعف بصر، ثم محله فيمن عجز عن ثمن ورق، أو حمله في سفر، فيكون معه خفيف المحمل، فلا كراهة في ذلك ولا منع للعذر. والكتابة بالحبر أولى من المداد كما مر. وينبغي أن لا يكون القلم صلبًا جدًا فيمنع سرعة الجري ولا رخوًا فيسرع إليه الحفى. قال بعضهم: إذا أردت أن تجوّد خطك فأطل جلفتك وأسمنها، وحرف قطتك وأيمنها، ولتكن السكين حادة جدًا لبراية الأقلام وكشط الورق ولا تستعمل في غير ذلك. وليكن ما يسقط عليه القلم صلبًا. وهم يحمدون القصب الفارسي جدًا والأبنوس الصلب الصقيل، ويراعي من آداب الكتابة ما ورد عن بعض السلف، فعن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ، يا معاوية ألقِ الدواة وحرف القلم وانصب الباء وفرق السين ولا تعوّر الميم وحسّن الله، ومد الرحمان، وجود الرحيم، وضع قلمك على أذنك اليسرى فإنه أذكر لك. وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كتبت بسم الله الرحمن الرحيم فبين السين فيه». والأحاديث في ذلك كثيرة وأقوال السلف فيه شهيرة. وعن أبي هريرة رضي الله عنه: إذا كتب أحدكم كتابًا فليتربه فإنه أنجح للحاجة. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى عليّ في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام اسمي في ذلك الكتاب»[1].

«إذ كرهوا في الكتابة فصل مضاف اسم الله تعالى منه كعبد الله أو عبد الرحمن أو رسول الله، فلا يكتب عبد أو رسول آخر السطر، والله أو الرحمن، أول السطر الآخر لقبح صورة الكتابة»[2].

---

(1) العلموي: الباب السادس، المسألة الخامسة، نقلاً عن مناهج العلماء المسلمين، ص 38 - 40.
(2) العلموي. الباب السادس، المسألة السادسة، نقلاً عن مناهج العلماء المسلميں، ص 40. 41.

خامسًا - ضبط الكتب وتصحيحها ومقابلتها :

مما له ارتباط شديد بالنسخ في العصور الإسلامية، عملية ضبط الكتب وتصحيحها ومقابلتها أو معارضتها، أي يري بعد النسخ ضرورة مراجعتها مع النسخة الأصلية التي نقل منها أو قراءتها على أحد العلماء أو الشيوخ .

وعليه مقابلة كتابه بأصل صحيح موثوق به. فالمقابلة متعينة للكتاب الذي يرام النفع به. قال عروة بن الزبير لابنه هشام. رضي الله عنه: كتبت؟ قال: نعم. قال: عرضت كتابك؟ أي على أصل صحيح، قال: لا. قال: لم تكتب. وقال الإمام الشافعي ويحيي بن أبي كثير: من كتب ولم يعارض، أي يقابل، كمن دخل الخلاء ولم يستنج. وإذا صحح الكتاب بالمقابلة على أصل صحيح أو على شيخ فينبغي أن يعجم المعجم ويشكل المشكل، ويضبط الملتبس، ويتفقد مواضع التصحيف. أما ما يفهم بلا نقط ولا شكل فلا يعتني به لعدم الفائدة. فإن أهل العلم يكرهون الإعجام والإعراب إلا في الملتبس والمشتبه. ومن كلام بعض البلغاء: إعجام الخط يمنع فيه استعجامه وشكله من أشكاله. وقال بعضهم: رب علم لم تعجم فصوله فاستعجم محصوله .

وقيل: ينبغي الإعجام والشكل للمكتوب كله، المشكل وغيره، لأجل المبتدئ في ذلك الفن. وصوبه القاضي عياض، لأن المبتدئ لا يميز ما يشكل مما لا يشكل، ولاصواب الإعراب من خطئه، ولأنه ربما يكون الشيء واضحًا عند قوم مشكلاً عند آخرين.

وعلى كل حال فيتأكد ضبط الملتبس من الأسماء إذ لا يدخلها قياس ولا قبلها ولا بعدها شيء يدل عليها. وإذا احتاج إلى ضبط المشكل في الكتاب وبيانه في الحاشية قبالته فعل، لأن الجمع بينهما أبلغ في الإبانة. وإذا كتب كلمة مشكلة من القلم لسواد كثير فيه ونحوه أوضحها في الحاشية وكتب فوقها «بيان» أو «ن». وله أن يكتبها في الحاشية بصورتها، وله أن يكتبها مقطعة الأحرف بالضبط ليأمن من اللبس والاشتباه. وله أن

يضبطها بالحروف كقوله: بالحاء المهـملة ، والدال المهملة، والتاء المثناة، والثاء المثلثة، ونحو ذلك كمـا جرت عادة السـلف في ذلك. ومما يلتحق بضـبط المعـجم أن يكتب في بـاطن الكـاف المعلقـة كـافًا صـغيرة أو همـزة وفي باطن اللام هكذا «لام» ولا يكتب صـورة لام هكذا: «ل»[1] .

«ينبـغي أن يكتب على مـا صحـحـه وضبطه في الكتـاب وهو في مـحل شك عند مطالعته أو تطرق احـتمال «صح» صغيرة. ويكتب فـوق ما وقع في التصنيف أو في النسخ وهو خطأ «كذا» صغيرة، أي هكذا رأيته. ويكتب في الحاشية «صوابه كذا» إن كان يتحققه، أو «لعله كـذا» إن غلب على ظنه أنه كذلك، أو يكتب على مـا أشكل عليه ولم يـظهر له وجهه « صنية» وهي صورة رأس صاد مهـملة مختصرة من صح هكذا «صـ» فإن صح بعد ذلك وتحققـه فيصلها بحاء فـتبقى «صح» وإلا كتب الصـواب في الحاشية كمـا تقدم. قيل وأشاروا بكتابة الصاد أولاً إلى أن الصحة لم تكمل ، وإلى تنبـيه الناظر فيه على أنه متثبت في نقله غيـر غافل، فلا يظـن أنه غلط فيصلحـه. وقد تجاسـر بعضهم فـغير مـا الصواب إبقاؤه. والله أعلم» [2] .

«إذا وقع في الكتاب زيادة، أو كُتب فـيه شيء على غير وجـهه تخير فـيه بين ثلاثة أمـور: الأول الكشط، وهو سـلخ الورق بسكين ونحـوها، ويعـبـر عنـه بالبَشْر وبالحك، وسيـأتي أن غيـره أولى منه، لكن هو أولى في إزالة نقطة أو شكلة. الثـاني: المحو: وهو الإزالة بغير سلخ إن أمكن، وهو أولى من الكشط .

قـال ابن الصلاح : وتتنوع طـرقه. الثـالث الضرب علـيه، وهو أجـود من الكشط والمحو، لا سيمـا في كتب الحديث. وعن بعضهم: كان الشيـوخ يكرهون حضور السكين مجلس السماع، لأن الروايات مخـتلفة، فعسى أن يُبْشر شيئًا يكون صحيـحًا فيحتاج إلى إثباته ثانيًا . وفي كيفية الضرب خمسة أقوال مشهورة: أحدها: أن يصل بالحروف المضروب

---

(1) العلموي : الباب السادس ، المسألة السابعة، نقلاً عن مناهج العلماء المسلمين ، ص 41، 43 .

(2) العلموي : الباب السادس ، المسألة الثامنة، نقلاً عن مناهج العلماء المسلمين ، ص 43، 44 .

عليها ويخلط بها خطًا ممتدًا . ثانيها: أن يجعل الخط فوق الحروف منفصلاً عنها منعطفًا طرفاه على أول المُبْطَل وآخره كالباء المقلوبة ومثاله هكذا: ⌒ ثالثها: أن يكتب لفظة «لا» أو لفظة «من» فوق أوله، ولفظة «إلى» فوق آخره، ومعناه: من هنا ساقط إلى هنا. رابعها: أن يكتب في أول الكلام المبطل وفي آخره نصف دائرة مثاله هكذا ( ). خامسها : أن يكتب في أول الكلام المبطل وفي آخره صفرًا وهو دائرة صغيرة سميت بذلك لخلو ما أشير إليه بها من الصحة كتسمية الحُسَّاب لها بذلك لخلو موضعها من عدده ومثاله هكذا (O) . وإذا تكررت كلمة أو كثر سهو ضرب على الثانية لوقوع الأولى صوابًا في موضعها، إلا إذا كانت الثانية أجود صورة وأدل على القراءة. وكذا إذا كانت الأولى آخر السطر فإن الضرب عليها أولى صيانة لأول السطر. وبالجملة فصيانة أول السطور وآخرها متعينٌ إلا أن مراعاة أولها أولى. وإذا كان المكرر مضافا ومضافا إليه أو موصوفا وصفة أو مبتدأ وخبرًا ، أو متعاطفين، فمراعاة عدم التفريق بالضرب أولى إذا كان آخر سطر كيلا يفرق بين شيئين بينهما ارتباط، إذ أن مراعاة المعاني أولى من مراعاة تحسين الصورة في الخط، قال القاضي عياض: وإذا صحح الكتاب على الشيخ أو في المقابلة علّم على موضع وقوفه بـ «بلغ» أو «بلغ العرض» و غير ذلك مما يفيد معناه. فإن كان ذلك في سماع الحديث كتب «بلغ في الميعاد الأول» والثاني إلى آخرها ، فيعين عدده فإنه مفيد جدًا » [1].

سادسًا – الاختصارات :

وصل علماء المسلمين إلى درجة من التقدم كبيرة، عندما فكروا في وضع اختصارات لبعض الكلمات أو الجمل، وهو ما نشاهده في عمليات التوثيق التي تحدث في مجال مثل الدوريات :

- Journal : J.
- Volume : Vol.
- Number (s) No. (s) .

(1) العلموي: الباب السادس ، المسألة التاسعة، نقلاً عن مناهج العلماء المسلمين ، ص 44 _ 46.

وإذا كانت أسمـاء المجلات فإننا نلاحظ أن كل مـجلة تتخذ لنفسـها اسمًا مختـصرًا مثل:

- Journal of the American Chemical Society: J. Am. Chem. Soc.

ونجـد الكثيـر مـن مـراجع الدوريات مثل القـائمة الـعالميـة للدوريات العلميـة : (World List of Scientific and Technical Periodicals) تشتمل بجانب كونها فهرسًا موحـدًا يبين مواقع وجود المجـلات فـي المكتبـات الأمريـكية ، على اختـصار لأسـماء الدوريات.

لقد سبق المسلمون الأوائل العالم الغربي نحو هذا الاتجاه :

«وينبـغي أن يفـصل بين كل كـلامين أو حـديثين بدائرة، أو قلـم غليظ، ولا يصل الكتابة كلها على طـريقة واحدة لما فيه من عسـر استخراج المقصـود. ورجحوا الدائرة على غيرها، وعليها عمل غالب المحدّثين، وصورتها هكذا :O .

وجرت عـادة المحدثين باختـصار ألفاظ في كـتبهم : فـمن ذلك «حدّثنا» اختـصرها بعضهم على «ثنا»، وبعضهم على «نا» وبعضهم على «دثنا». ومن ذلك «أخبرنا» اختصرها بعـضهم على «أنا»، وبعـضـهم على «أرنا»، وبعضـهم على «ابنا». ومن ذلك «حـدثنى» اختصرها بعضهم على «ثني»، وبعضـهم على «دثني». وأما «أخبرنى» و «أنبأني» و «أنبأنا» فلم يختـصروها . ومن ذلك «قال» الواقـعة في الإسناد بين رواية اختـصرها بعضهم قـافًا مفردة هكذا «ق» وقد جمعها بعضهم بما يليها هكذا «قثنا» يعني قال حدثنا .

قال العراقى: وهو إصطلاح متروك. ومن هذا القبيل لا يوجد في كتب الأعاجم من اختـصار المطلوب على «المط» واختصـار محال على «مح» وباطل على «بط» وحـينئذ على «وح» وفحينئذ على «فح» وإلى آخر على «إلخ» والمصنف على «المصـ» ونحو ذلك .

ومن ذلك مـا يختـصر جمـعه مع الـنطق به كلفظ «يُحدِّث» في قـولهم في الإسناد سمعت فـلانًا عن فلان فتقـول : يحدّث عن فلان وهو كثيـر . ومن ذلك لفظة «قال» إذا كررت كمـا في صحيح البخاري: (ثنـا) صالح بن حبان قال: قـال عامر الشعبي فـتحذف

إحداهما خطًا لا نطقًا . ومن ذلك لفظ «أنه» في مثل حدثنا فلان أنه سمع فلانًا يقول، نبه عليه الحافظ ابن حجر في فتح الباري وقلّ من نبه عليه. والله أعلم .

ومن ذلك ما يختصر بعضه وينطق بالبعض الآخر على صفته، والمشهور منه حاء التحويل عند انتقال من سند إلى غيره فيكتب هكذا: «ح» مفردة مهملة مقصورة لفظًا، وهي مختصر من تحويل، أي من سند إلى سند آخر، وقيل مختصرة من حائل، لأنها حالت بين الإسنادين، وقيل: من قولهم الحديث، وهو المنقول عن أهل المغرب، وقيل من صح. قال ابن الصلاح: وقد كتب مكانها بدلاً عنها «صح» صريحة. واختلف في النطق بها. فالأصح أنه ينطق بها في القراءة كما كتبت كذلك مفردة. وقيل لا ينطق بها. وقيل ينطق بأصلها المختصرة منه، وهو الحديث، أو صح، فليعلم بذلك. ومن ذلك ما يختصر بعضه ولا يتعين فيه قراءة ذلك البعض ولا أصله، وهو الرموز إلى اصطلاح خاص بذلك الكتاب كما يرسم كثير من كتب الحديث المختصرة. للبخاري «خ»، ولمسلم «م»، وللترمذي «ت»، ولابن داود «د»، وللنسائى «ن»، ولابن ماجه القزويني «جه» أو «ق»، ولابن حبان «حب»، وللدارقطني «ط»، ونحو ذلك وهو كثير. ومن ذلك رمز «ع» اختصارًا «للعجالة» و«العمدة» لابن الملقن. للإمام مالك «م»، ولأبي حنيفة «ح»، ولأحمد « أ ». ونحو رموز الوجيز والحاوي للأقوال والأوجه والمذاهب وغير ذلك وهي مشهورة .

ومن فعل شيئًا من ذلك ، أو من غيره، في تأليف بيّن اصطلاحه فيه ولا مشاحة في الاصطلاح ، فبيان الاصطلاح في ديباجة الكتاب ليفهم الخائض فيه معانيها .

وقد فعل ذلك جماعة من الأئمة لقصد الاختصار ونحوه، والله أعلم.

ولا بأس بحواشي الكتاب من فوائد متعلقة به. ولا يكتب في آخره «صح» بل ينبه عليه بإشارة للتخريج بالهندي مثلاً. وبعضهم يكتب على أول المكتوب في الحاشية «حـ».

ولا ينبغي أن يكتب إلا الفوائد المهمة المتعلقة بذلك الكتاب والمحل مثل تنبيه على إشكال، أو احتراز، أو رمز، أو خطأ ونحو ذلك. ولا يسوده بنقل المسائل والفروع الغريبة، ولا يكثر الحواشي كثرة يظلم منها الكتاب. ولا بأس بكتابة الأبواب والتراجم والفصول،

ونحو ذلك بالحمـرة، فإنه أظهر في البيان وفي فواصل الكلام، وله في كـتابة شرح ممزوج بالمتن أن يميز المتن بكتـابته بالحمـرة، أو يخط عليه خطًا منفـصلاً عنه ممتدًا عليـه. والكتابة بالحمرة أحسن، لأنه قد يمزج بحرف واحد، وقد تكون الكلمة الواحدة بعضها متن وبعضها شرح، فـلا يوضح ذلك بالخط إيضاحه بكتـابة الحمرة، ونحو ذلك كـثير في كتب الفـقه. وذلك ليسهل في المطالعة عند قصدها والله تعالى أعلم»[1] .

سابعاً نقد الوثائق:

لقد بلغ المسلمـون مبلغًا كبـيرًا في نقد الوثائق وتـصحيحـها وعرضـها على الأصل والشيخ وضرورة معرفة الخط وأنواعه والورق وأنواعه وكذلك الأصول السابق الحديث عنها في آداب الكتـــابة والنسخ ومـراتـب النسخ : (1) الأصل بخـط المؤلف؛ (2) نسخة من الأصل؛(3) عدة نسخ وكل ذلك يمكن تسميته بالنقد الخارجي للوثائق .

أما النقد الداخلي فيشمل متن الوثيقة ويسمـيه العلماء بالنقد الباطني ويقسمونه بالنقد الباطني الإيـجابي ، وقد ترك لنا ابن تيـميـة كتابه مـقدمـة في أصول التفـسير، لـيبين لنا الأسلوب العلمي في تفسـير النصوص القـرآنية، فقد كـان القرآن يفسر بالقـرآن وبأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، وبأقوال الصحابة رضوان الله عليهم وبأقوال التابعين وتابعي التابعين.

أما النقد الباطني السلبي، فقد ترك لنا «ابن الصلاح» مقدمة في علوم الحديث، وابن الصلاح تـوفي عام 643 هـ وشرحـها واختـصرها من جاء بعـده، والغاية من مقـدمة ابن الصلاح هو وضع القـواعد التي يمكن الاقتداء بهـا للتعرف على نصوص الأحـاديث النبوية ودرجة صحـتها ، وقد استـخدمت هذه القواعد والمقاييس العلمـية التي استخدمـها علماء الحديث للتـعرف والتثبـت من صحة راوي الحـديث، وعلوم الحديث التي وضعـوها كعلم الجرح والتـعديل، الناسخ والمنسـوخ وغير ذلك من علوم .. إلخ ، اسـتخدمت في كـافة العلوم الأخرى كالفقه والتاريخ وغيرهما من علوم سادت في الحضارة الإسلامية .

---

(1) العلموي : الباب السادس ، المسألة العاشرة، نقلاً عن مناهج العلماء المسلمين ، ص 46-49 .

ليس جديدًا إذن ما يمكن قراءة ما يسمي في الكتب الأجنبية : (External Criti-cism) النقد الخارجي أو الظاهري، أو ما يسمي (Internal Criticism) النقد الداخلي أو الباطني السلبي والإيجابي . وهكذا، استطاع علماء المسلمين أن يضعوا لنا أسس علم التوثيق الإسلامي، حيث حفظوا لنا تراث الحضارة الإسلامية في ضوء هذه القواعد والأسس ، نهل منها الغرب وتقدم .

وها نحن نبرز حضارة الإسلام، في توثيق معارفهم وعلومهم إدراكًا منا بفضل المسلمين وبعثًا لتراثنا الذي يكاد ينساه البعض منا جريًا وراء الكتب البراقة التي تخرجها مطابع اليوم والتي لا تخضع لمعايير النقد الوثائقي كما كان يفعل المسلمون الأوائل؛ فقد آخضعوا كافة ما ينسخ لمعايير النقد الوثائقي .

قائمة باللوحات المرفقة

توضح اللوحات التالية طريقة كتابة المسلمين في المخطوطات الإسلامية ومدى ما وصلوا إليه من توثيق علمي للنصوص الأدبية في مخطوطاتهم :

رقم اللوحة	موضوعها
1	صورة من كتاب اختلاف الفقهاء للطبرى وترجع إلى القرن الرابع الهجري(10 م) ومحفوظة في المكتبة الخديوية (دار الكتب المصرية بالقاهرة). واضح النقط بطريقة نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر ويمكن ملاحظة علامة الوقف هكذا (.) وهي ما سبق شرحه في الدراسة، وهذه العلامة في نهاية الفقرة الأولى.
2	صورة من كتاب علوم الحديث لابن الصلاح ترجع إلى(661 هـ 1263 م) وصورة من كتاب ابن الصلاح مشكل الوسيط ترجع إلى(679 هـ / 1280 م.) ويتضح في هذه النماذج الخطية النقط والشكل، الشكل بطريقة الخليل بن أحمد الفراهيدي. ويمكن ملاحظة صيغة «كان على الأصل المنقول ما هذه صورته» في كتاب علوم الحديث ليتضح لنا مدى الدقة في توثيق النصوص.
3	صورة من كتاب أبو الحفص العجمي «تلخيص الكشاف» وترجع إلى عام(732 هـ 1332 م) وصورة من كتاب ابن قدامة «المغني في اللغة» نرجع إلى عام(733 هـ 1333 م) . والمخطوطتان محفوظتان بالمكتبة الخديوية. دار الكتب المصرية بمدينة القاهرة. يلاحظ صيغة «المقابلة » بين اللوحتين ونصها : «بلغ مقابلة وتصحيحًا بأصله المكتتب بخط مصنفه» وكما ذكرنا في الدراسة أن من الأصول المرعية في توثيق النصوص ضرورة مراجعتها على الأصل وعلى حد مصطلح العصور الإسلامية «مقابلتها ومعارضتها» على الأصل .

الذي اعتق عليه ويبرد العتق واستعباده لانه لم يعتقه
الا على الف درهم تكون به فلا رق له عليه ومن المنكر
عتقه اياه بالالف درهم يبيعه فيعطيه الالف درهم ثم يدفع الى
للسيد الخيار بين ان يقبل ذلك الالف فيكون العبد وينقض
العتق وبين ان يترك قبوله منه ويستعبده وقال
ابو حنيفة واصحابه لو ان رجلا اعتق عبدا على الف درهم
على ان يعطيه به كفيلا وقبل ذلك كان العتق جائزا ان اعطاه
كفيلا بالمال او احاله به ذلك على رجل فذلك جائز في قولهم
من قبل ان العبد قد عتق وقالوا ليس ذلك كالمكاتب لان المكاتب
عبد لا يجوز الضمان فيه لمولاه

القول في حكم الكفالة عن مجهول او لمجهول

واذا قال الرجل لرجل قد كفلت لك بما لك على فلان وهو الف درهم
او كفلت لفلان بما له على فلان وهو مائة دينار كان ذلك
من قائله الزاما نفسه كفالة لاحد هذين الرجلين اللذين لاحدهما
الف درهم على غريمه وللاخر مائة دينار بماله على غريمه كان
ذلك كفالة عندنا باطلة لا يؤخذ بشيء منهما وان كان ذلك منه
اعطاه لاحدهما بغير عينه ان له قبله كفالة بالدين الذي ذكر
انه له على غريمه استوقف ان ادعى كل واحد من الرجلين قبله
الحق الذي ذكر انه ضمنه على ما وصف من الشك فيه فان اقر
لاحدهما بعينه الزم ما يجب له بما اقر له به وحلف للاخر
الذي انكر ان يكون له قبله حق بسبب كفالة ان لم يكن له بينة
فان حلف له برئ وان نكل حلف المدعي والزم ما ادعى انه له
قبله بسبب تلك الكفالة وان انكر ان يكون لهما قبله حق
بسبب كفالة واراد ان يحلف لهما لم يقبل بينة على ذلك لانه
قد اقر ان لاحدهما قبله حقا مجردا لسبيل غير انه شاك

al Tabari Ikhtilāf al fukahā. IVth cent. A. H. — 10th cent. A. D.
Khedivial Library.

لوحة رقم (1)

Jbn al Ṣalāh, 'Ulūm al ḥadith. A. H. 661 — A. D. 1263.   Jbn al Ṣalāh, Mushkil al wasit. A. H. 679 — A. D. 1280

Khadivial Library.

لوحة رقم (2)

Abu Hafs al 'Agami, Talkhis al kashshâf. A. H. 732 — A. D. 1332.
Khedivial Library.

Ibn Kudâma, al Mughni fi al lugha. A. H. 733 — A. D. 1333.
Khedivial Library.

لوحة رقم (3)



الفصل الرابع

جمع وتدوين القرآن الكريم



تمهيد

القرآن الكريم هو كتاب العرب الأكبر، ودستور المسلمين الأعظم، وديوان العالم الأعز وشرعة الإنسانية السمحاء، ووحي السماء الذي نزل به الروح الأمين، على سيدنا محمد خاتم النبيين، وإمام المرسلين ﷺ.

وقد جاء بلغة قريش، أفصح ما للعرب من لغات، وأبقى وأنقى وأبهى ما لديها على الإطلاق من لهجات، فكان أول كتاب عربي عرفه العالم قاطبة، ملأ الخافقين علمًا، وعم فجاج الأرض نورًا وإشراقًا، وبعث الهامدين من مراقد الجهالة والضلال، فدبت فيهم الحياة، واتسعت أمامهم آفاق المجد والعزة، ونهضوا على أقدامهم، يترسمون معالم الهداية، وينهجون الطريق المستقيم، طريق الله العزيز الحكيم[1].

وقد جاء القرآن مشتملاً على قصص ومواعظ، وحكم وأحكام، وإعذار وإنذار، ووعد ووعيد، وتحذير وتبشير، وأمر ونهي، وحث على التمسك بالأخلاق الكريمة، والمثل العليا، والقيم الرفيعة، والآداب العظيمة الحكيمة، وكل ذلك في نهج من البلاغة رائع عجيب، وأسلوب من الفصاحة رائق خصيب، يبهر العقول، ويأسر الأسماع، ويسحر الأفئدة ولا يستطيع الجن والإنسان أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا[2].

أولاً – جمع القرآن وتدوينه[3]:

جمع القرآن في الصدور وحفظته العقول الواعية الحافظة أولاً.

ثم جمع في الصحف غير مرتب السور ثانيًا ثم جمع أخيرًا على الصورة التي نقرؤها الآن.

فأما جمعه في الصدور، فإنه كان إذا أنزلت الآية أو السورة منه في واقعة من الوقائع

---

(1) أطوار الثقافة والفكر في ظلال العروبة والإسلام: علي الجندي وآخرون، القاهرة الأنجلو المصرية، 1959 ص 51، 52.

(2) الزنجاني: تاريخ القرآن. القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1935.

(3) رجعت إلى النص الوارد في: أطوار الثقافة والفكر، ص 85 - 88، مدخل إلى القرآن الكريم: عرض تاريخي وتحليلي مقارن: الدكتور محمد عبد الله دراز. الكويت: دار القلم، 1980، ص 33 - 51. ويمكن الرجوع كذلك إلى: تاريخ القرآن: للزنجاني، ص 17، الإتقان للسيوطي، ص 58.

أو في حكم من الأحكام أمر النبي ﷺ بجعلها في موضعها. فيقول مثلاً : ضعوها قبل آية كذا أو بعد آية كذا حتي تتم السورة، ويعرضها ﷺ على جبريل عليه السلام فيعارضه بها، ثم يعرضها الرسول بعد ذلك على أصحابه، وكان جبريل يعارضه بالقرآن في كل عام مرة، حتى عام الوداع، فعارضه به مرتين .

ومن هنا يتبين لنا أن ترتيب الآية في سورها كان بتوقيف وتوجيه من رسول اللهﷺ عن جبريل عن ربه، وعنه رواه القراء رواية متواترة، توجب العلم الضروري، ويستحيل معها الكذب، كما هو معروف عند علماء الحديث وأصول الدين.

وقد انتقل النبي إلى الرفيق الأعلى، والقرآن لم يجمع في مصحف واحد، وإنما كانت سوره تتلى وآياته محفوظة، وكان كتاب الوحي، وأشهرهم عثمان بن عفان، وعلي ابن أبي طالب، وزيد بن ثابت، وأبّي بن كعب رضي الله عنهم، قد سبقوا إلى تدوين آياته مفرقا في الرقاع والألواح والعسب واللخاف والعظام والأكتاف[1] .

وكان قد حفظه كله جماعة من الصحابة في حياة النبي ﷺ أيضًا، منهم: أبّي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو الدرداء، وعبد الله بن مسعود رضوان الله عليهم. وكان يقرأونه كما تلقوه عن الرسول على سبعة أحرف، أي لغات أو قراءات.

وفي خلافة أبي بكر، بعد وفاة النبي خرج الجند المسلمون لقتال أهل الردة، وفيهم الحفاظ والقراء، فقتل منهم عدد كثير، حتى لقد قُتل في يوم اليمامة سبعون رجلاً من هؤلاء الحفاظ القراء ، وخيف على القرآن من الضياع، فأشار عمر بن الخطاب على أبي بكر الصديق رضي الله عنهما بجمع القرآن .

---

(1) كان العرب يكتبون على هذه المواد وظلوا كذلك أيام الرسول وبعده حتى عصر هارون الرشيد الذي أمر الا يكتب الناس إلا في الكاغد (الورق) كما يقول القلقشندي، فمع سنة 794م أسس الفضل بن يحيي في عصر الرشيد أول صناعة للورق في بعداد، ومن ثم انتشرت الصناعة بسرعة فائقة في جميع أنحاء العالم الإسلامي. انظر المرجع في الحضارة العربية الإسلامية : تأليف إبراهيم سليمان الكروي وعبد التواب شرف الدين الكويت : دات السلاسل ، 1984 ، ص 180.

فتوقف في بادئ الأمر، فلم يزل عمر حتى رضي بذلك، ثم أرسل أبو بكر إلى زيد ابن ثابت وكلفه جمع القرآن، فتوقف بدوره أولاً، ثم اقتنع بصواب هذا العمل، ونهض إلى ما ندب إليه بهمة ونشاط .

وفي ذلك روى البخاري[1] بسنده عن زيد بن ثابت أنه قال :

« أرسل إليّ أبو بكر مقتل أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب عنده، قال أبو بكر: إن عمر أتاني فقال : إن القتل قد استحرّ يوم اليمامة بقراء القرآن، وإني أخشى أن يستمر القتل بالقراء بالمواطن ، فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن، قلت لعمر : كيف تفعل شيئًا لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ قال عمر : هذا والله خير، فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك ، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر . قال زيد ، قال أبو بكر : إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك ، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ ، فتتبع القرآن فاجمعه، فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن. قلت: كيف تفعلون شيئًا لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال: هو والله خير، فلم يزل أبو بكر يراجعني، حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فتتبعت القرآن أجمعه من العُسُب واللخاف وصدور الرجال حتي وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري، لم أجدها مع أحد غيره ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم﴾ حتى خاتمة براءة، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر».

وقد سمى أبو بكر مجموعه « مصحفًا » .

---

(1) الإمام البخاري ، هو أبو عبد الله بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري المولود سنة 194هـ في بخارى، والمتوفى سنة 256هـ قرب سمرقند، أخذ يحفظ الأحاديث وهو دون العاشرة من عمره، وهو مصنف «الجامع الصحيح» وهو أصح الكتب بعد القرآن المجيد .

-انظر صبحي الصالح : علوم الحديث ص 396 ، 397 ؛ المرجع في الحضارة العربية الإسلامية، ص 230 ، 231 .

ويرى العلمـاء والباحثـون أن هناك سببًا آخر[1] قـد أسـهم بعـض الشيء في هذا الاختيـار، وهو أن زيدًا لم يكن من كتبة الوحي ومـن حملة القرآن فحسب، ولـكنه فضلاً عن ذلك حضر بنفسه آخـر تلاوة للقرآن قام بها الرسول[2] ﷺ، وهذا يدل على الأسلوب الأمثل في اختيار الرجـال وتوفير كافة الضمانات لتسجيـل النصوص القرآنية وجمع الوثائق القرآنية جمعًا صحيحًا كما أملاه الرسول ﷺ .

وبالإضافة إلى كل هذه الضمانات، وضعت قاعدة للعمل وطبقت بكل عناية، وهي تقضي بألا يؤخذ بأي مخطوط لا يشهد شـخصان على أنه مكتوب ليس من الذاكرة، وإنما بإملاء الرسول ذاته وأنه جزء من التنزيل في صورته النهائية .

وهذا التشـدد في اشتراط شـاهدين أدى إلى استبعـاد آية جاء بها « عـمر» عن رجم الزانية لأنه كان الشاهد الوحيد كما يقول الليث بن سعد[3] .

احتفظت حفصـة بنت عمر بن الخطاب بصحف القرآن ، بعد جمـعها في حياة أبي بكر، وذلك في آخر لحظة من حياته لأن عمر لم يكن قد بويع في ذلك الوقت .

ولما استخلف عـثمان بن عفان ، وانتشـر الدين وكثر القراء في الأقاليم التي فـتحها المسلمون ، واخـتلط العرب بالعـجم ، وأفضى ذلك إلى اتسـاع مسافـة الخـلاف في رواية كتـاب الله ، حتى جـعـل كثير منهم يخطئ غـيره في قراءته ، وخيف الفـتنة عند اختلاف أهل العراق والشام في القـراءات الـواردة لديهم ، حتى كان يقول بعضـهـم لبعض: قراءتي خيـر من قراءتك، فأشار حـذيفة بن اليمـان على عثمان بتـدارك الأمر قبل اختـلاف الأمة وذهـاب قرائها من مذهب المخالفـة، فاستجاب عثمان لمشورته، وأمر باسـتحضار الصحف من عند حفصة، ووكل إلى زيد بن ثابت ونفر معه بجمع القرآن، والرجوع إلى قراءة قريش إذا اختلفـوا، فجمعوه، ونسـخوا منه صورة رتبـوا سُورها على الوجه الذي نراه بين أيدينا الآن[4] .

---

(1) تاريخ القرآن للزنجاني ،ص 17؛ الإتقان، للسيوطي،ص 58. مدخل إلى القرآن الكريم، لدراز،ص 36 ، 37 .
(2) تاريخ القرآن، للزنجاني، ص 17 .
(3) الإتقان للسيوطي ، ص58 .
(4) أطوار الثقافة والفكر، ص 87 .

وفي ذلك يروي البخاري عن أنس بن مالك[1] ، أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال لعثمان: أدرك الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل إلى حفصة، أن أرسلي إلينا الصحف ننسخها في المصاحف، ثم نردها إليك. فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان لرهط القرشيين: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنه إنما نزل بلسانهم، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف، رد عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق[2] .

وهكذا نرى أن قصة جمع وتدوين المصحف الشريف لم تكن بالأمر الهين ولا بالبساطة التي قد يتصور البعض أنها كانت موجودة في صحف أيام الرسول، لقد كانت هذه الصحف والوثائق دليلاً خطيًا وإثباتًا قاطعًا، ورغم ذلك كما لاحظنا اشترطوا شاهدين لكل من يرى إضافة من ذاكرته إلى المصحف في عهد أبي بكر ، كما اشترطوا أن تتكون اللجنة من كتبة الوحي، واختار أبو بكر زيد بن ثابت، كما اختاره عثمان في عملية الجمع الثانية.

---

(1) أنس بن مالك ، ثالث الرواة المكثرين من الصحابة، فقد روي 2286 حديثًا ، والمكثرون من الصحابة هم: أبو هريرة ، عبد الله بن عمر بن الخطاب، وأنس بن مالك خادم رسول الله الأمين، والسيدة عائشة أم المؤمنين، وعبد الله بن عباس، وجابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري، وأبو سعيد الخدري، انظر: طبقات ابن سعد 7/10 ؛ وتهذيب ابن عساكر 7/139 .

(2) أطوار الثقافة والفكر ، ص 87 ، 88 .

- يحدثنا العلماء بأن النسخ وزعت على الأمصار الخمسة التالية : مكة والمدينة والبصرة والكوفة ودمشق، هذا غير نسخة عثمان الشخصية أو «الإمام» كما تسمى، ولكن أبا حاتم السجستاني يذكر نسختين أخريين لولاية اليمن والبحرين. انظر : كتاب المصاحف لابن أبي داود، ص 74، القاهرة، المطبعة الرحمانية ،1936 .

ثانيًا – خط المصاحف :

من أهم ما يدرسه طلاب الوثائق الإسلامية ، الكتابة العربية[1] .

ولا يتصور أن تتم مثل هذه الدراسات دون الرجوع إلى المراجع والبحوث التي خلفها علماء المسلمين للتعرف على الخط وأنواعه والشكل والنقط ومراحله .

فقد اهتم علماء المسلمين في بداية حياتهم بالكتابة العربية والتي كتب بها المصحف الشريف.

فقد وصل الخط الحيري الأنباري إلى الحجاز على شكلين: المقور، والمبسوط .

1- فالخط المقور، ويسمي باللين والنسخي، ويمتاز بانخساف عرقاته إلى أسفل، قد كثر استعماله، وشاع تداوله في المراسلات والكتابات العادية.

2- الخط المبسوط، ويسمي باليابس وعرقاته مبسوطة ليس فيها انخساف إلى أسفل، وقد غلب عليه إطلاق لفظ كوفي بعد بناء الكوفة .

ولا يستعمل عادة إلا في النقش على المحاريب، وأبواب المساجد، وجدران المباني الكبيرة، وكتابة المصاحف العظيمة، وما يراد به الزينة والزخرفة .

وكان الخط العربي يسمى في صدر الإسلام مكيًا ومدنيًا ، ثم سمي كوفيًا لشهرة أهل الكوفة بالكتابة، وكان كتّاب الوحي للنبيﷺ يكتبون بالخط المقوّر النسخي.

وبهذا الخط عينه كتب زيد بن ثابت صحف القرآن الكريم في عهد أبي بكر وفي عهد عثمان بن عفان .

---

(1) يدرس طلاب الفرقة الأولى في سنواتهم الجامعية لدراسة الوثائق والمكتبات منهجًا لتبيان الخط العربي قبل الإسلام وقراءة النقوش النبطية وهي تتبه تمامًا الخط العربي في الجزيرة العربية حيث إن النبط بدو وعرب في شمال الجزيرة بالأردن .

– اما طلاب الفرقة الثانية فإنهم يدرسون الخط العربي بعد الإسلام . وأنواع الخطوط المستعملة بما في ذلك الإعجام وما يشتمل عليه من نقط وشكل .

ثالثًا - النقط والشكل في القرآن :

وقصة النقط والشكل قصة مرت بمراحل متلاحقة، فقد وضع الشكل بدعوة من زياد ابن أبي سفيان والي معاوية على البصرة ، وقد قام بوضعه أبو الأسود الدؤلي[1] .

ثم وضع الإعجام أي نقط الحروف بدعوة من الحجاج بن يوسف الثقفي والي عبد الملك بن مروان على العراق، وقام بوضعه نصر بن عاصم ويحيي بن يعمر تلميذا أبي الأسود الدؤلي .

ثم كان الدور الذي قام به الخليل بن أحمد الفراهيدي [2] من وضع الحركات على الحروف .

ولقد عرف العرب والمسلمون، قبل عهد زياد والي معاوية على البصرة، وقبل عهد الحجاج والي عبد الملك على العراق، نوعًا من النقط اتخذه كتاب الوحي، واستعمله الصحابة علامات خاصة باللهجات التي كان القرآن يقرأ بها .

وقد استخدمت هذه الطريقة عند تدوين القرآن وجمعه لأول مرة في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فكانت الصحف المودعة عند حفصة مبينة فيها اللهجات الأخرى غير اللهجة القرشية بنقط على الحروف، اصطلح الكتّاب على وضعها للدلالة على الإحالة وضم ميم الجمع والإشمام والهمز والتسهيل وغير ذلك من القراءات التي رواها أهل القبائل عن النبي ﷺ .

وعند الجمع الثاني في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه أمر الكتبة أن يجردوا المصحف الإمام من هذه النقط التي لم تكن نقط شكل ولا إعجام، لتكون كتابة القرآن على لغة قريش فقط، ففعلوا .

---

(1) وكان الشكل الذي وضعه أبو الأسود الدؤلي في صورة نقاط بلون يختلف عن لون حبر كتابة المصاحف فإذا كانت فتحة فنقطة فوق الحرف، وإذا كانت ضمة فنقطة أمام الحرف أما الكسرة فنقطة تحت الحرف، والتنوين نقطتان في نهاية الحرف .

(2) وهي الحركات الثماني الفتحة والكسرة والضمة والشدة والسكون والمدة والصلة والهمزة، انظر: تاريخ الأدب. حفني ناصف. القاهرة : جامعة القاهرة، 1958 ، ص 66 - 84 ؛ أطوار الثقافة والفكر، ص428-448.

وهكذا نستطيع أن نستفيد من الجهود المبذولة في كتابة المصحف ونقطه وشكله ووصوله إلينا سالمًا من كل لحن ومن كل خطأ. وصدق الحق سبحانه وتعالى : ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ .

فلا يغب عن ذهننا بعد كل ذلك أن نرجع إلى القرآن وتاريخ القرآن وتدوين القرآن وكتابة القرآن وإعجام القرآن وشكل القرآن لنستفيد من كل ذلك في دراسة وثائقنا الإسلامية[1] وخاصة التعليمات الإلهية في مجال المعاملات بين الأفراد .

---

(1) يمكن الرجوع إلى البحوث والدراسات التي ألفت في مجال علوم القرآن في العصور الإسلامية الأولى والتي وردت في الفهرست لابن النديم، حيث يمثل لنا الكتب المؤلفة بالعربية حتي نهاية عامة 377 هـ

الفصل الخامس

جمع الحديث وتدوينه



أولاً – جمع الحديث وتدوينه :

رأينا كيف جمع القرآن، وكيف كان المسلمون يكتبون ما يمليه عليهم الرسول ﷺ من القرآن المنزل عليه .

وأيا ما تكن معرفة العرب للكتابة قبيل الإسلام فإن الكاتبين كانوا أكثر عددًا في مكة منهم في المدينة، يشهد لذلك أن رسول الله ﷺ أذن لأسرى «بدر» المكيين بأن يفدي كل كاتب منهم نفسه بتعليم عشرة من صبيان المدينة الكتابة والقراءة[1] .

وحسبنا أن كتبة الوحي بين يدي الرسول ﷺ بلغ عددهم أربعين رجلاً[2] ، وأن كثيراً منهم كانوا مكيين، وهم الذين كتبوا القسم المكي من القرآن الكريم قبل هجرته عليه الصلاة والسلام إلى المدينة .

بيد أن المسلمين ما كادوا يستقرون في المدينة حتى كثر الكاتبون منذ أنشأ الرسول ﷺ في مسجده صفة كان الكاتب المحسن عبد الله بن سعيد بن العاص يعلم فيها الراغبين الكتابة والخط[3] .

وأكبر الظن أن المساجد التسعة التي كانت بالمدينة على عهد رسول الله ﷺ[4] اتخذت مدارس لنشر العلم. يزيدنا اعتقادًا بهذا أن رسول الله كان يأمر الصبيان أن يتدارسوا في مسجد حيهم[5] . ومن المعلوم أيضًا أن الرسول ﷺ أمر في السنة الأولى للهجرة بإحصاء المسلمين في المدينة رجالاً وأطفالاً وإناثًا . ورواية البخاري في « باب كتابة الإمام للناس » من صحيحه صريحة في أن هذا الإحصاء كتب ودون : فقد قال الرسول عليه

---

(1) طبقات ابن سعد 2 / 1 ص 14 .

(2) أطوار الثقافة والفكر، ج1 ص 85 - 88، علوم الحديث، صبحي الصالح ، ص 17 .

(3) الاستيعاب في أسماء الأصحاب لابن عبد البر 2 / 366، هامش الإصابة لابن حجر، ط . مصطفى محمد سنة 1358هـ .

(4) أنساب الأشراف، «مخطوط القاهرة» ، 1 / 420 .

(5) التراتيب الإدارية للكتاني 1 / 41 .

الصلاة والسلام : «اكتبوا لي من تلفظ بالإسلام من الناس، فكتبنا له ألفًا وخمس مئة رجل »[1] .

ورغم ذلك كان الصحابة من تلقاء أنفسهم منصرفين إلى تلقي القرآن، مشغولين بجمعه في الصدور والسطور، وكان كتاب الله يستغرق كل أوقاتهم، كما يملك عليهم كل مشاعرهم، وانصراف الصحابة إلي القرآن جمعًا له في الصدور والسطور، واشتغالهم به عن كل شيء سواه ، كان جزءًا من التوجيه النبوي الحكيم، فنهي الرسول ﷺ عن كتابة الأحاديث أول نزول الوحي مخافة التباس أقواله وشروحه وسيرته بالقرآن، ولا سيما إذا كتب هذا كله في صحيفة واحدة مع القرآن .

فقد ورد في صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري أنه ﷺ قال: «لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه، وحدثوا عني ولا حرج، ومن كذب علي متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار»[2] .

ثم أذن بعد ذلك إذنًا عامًا حين نزل أكثر الوحي وحفظه الكثيرون وأمن اختلاطه بسواه فقال عليه السلام : «قيدوا العلم بالكتاب »[3] .

ثانيًا – الصحف المكتوبة في عهد النبي ﷺ :

من أشهر الصحف المكتوبة في العصر النبوي «الصحيفة الصادقة » التي كتبها جامعها عبد الله بن عمرو بن العاص (65هـ) من رسول الله ﷺ ، وقد اشتملت على ألف حديث كما يقول ابن الأثير[4] .

وإذا لم تصل هذه الصحيفة ، كما كتبها عبد الله بن عمرو بخطه فقد وصل إلينا محتواها، لأنها محفوظة في مسند الإمام أحمد بن حنبل[5] ، حتى ليصح أن نَصِفَها بأنها

(1) انظر صحيفة همام ، ص 9 ، وقارن بصحيح مسلم كتاب الإيمان.

(2) صحيح مسلم 8 / 229 .

(3) جامع بيان العلم لابن عبد البر 1 / 72، وتقييد العلم ، 69، والسيوطي : تدريب الراوى، ص 150 .

(4) ابن الأثير : «أسد الغابة في معرفة الصحابة»، ترجمة عبد الله بن عمرو 3 / 233 .

(5) مسند عبد الله بن عمرو بن العاص في مسند أحمد 2 / 158 - 226 .

أصدق وثيقة تاريخية تثبت كتابة الحديث على عهده صلوات الله عليه ، ويزيدنا اطمئنانًا أنها كانت نتيجة طبيعية محتومة لفتوى النبيﷺ لعبد الله بن عمرو وإرشاده الحكيم له، فقد جاء عبد الله يستفتي رسول الله عليه السلام في شأن الكتابة قائلاً: «أكتب كل ما أسمع؟ قال: نعم، قال في الرضى والغضب ؟ قال : نعم، فإني لا أقول في ذلك إلا حقًا »[1] .

كما شاعت في عصر الصحابة صحيفة خطيرة الشأن أمر النبي عليه الصلاة والسلام نفسه بكتابتها في السنة الأولى للهجرة، فكانت أشبه شيء «بدستور» للدولة الفتية الناشئة آنذاك في المدينة: وهي الصحيفة التي دون فيها كتّاب رسول اللهﷺ حقوق المهاجرين والأنصار واليهود وعرب المدينة، ولفظ الكتابة صريح في مطلعها : «هذا كتاب محمد النبي رسول الله بين المؤمنين والمسلمين من قريش وأهل يثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم: إنهم أمة واحدة من دون الناس »[2] .

كذلك تلفت الصحف الكثيرة التي جمعها الصحابي الجليل أبو هريرة (58هـ)[3] إلا صحيفة واحدة رواها عنه تلميذه التابعي همام بن منبه[4] المتوفي سنة 101هـ[5] ثم نسبت إليه فقيل : صحيفة همام وهي في الحقيقة صحيفة أبي هريرة لهمام .

ولا يمكننا أن نسلك هذه الصحيفة في عداد ما كتب في العصر النبوي، لأن همامًا ولد قبيل سنة 40وتوفي شيخه أبو هريرة سنة 58، فلا بد أن يكون تدوينه لهذه الصحيفة قبل وفاة شيخه، لأنها سماعه منه بعد مجالسته إياه.

وإنما كانت لهذه الصحيفة مكانة خاصة في تدوين الحديث، لأنها وصلت إلينا كاملة سالمة كما رواها ودونها همام عن أبي هريرة، فكانت جديرة باسم «الصحيفة الصحيحة»[6]

---

(1) جامع بيان العلم لابن عبد البر 1 / 71، وما يقارب معناه في مسند أحمد بن حنبل 2 / 217، وتأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ، ص 365.

(2) راجع الوثائق السياسية في العهد النبوي للدكتور محمد حميد الله ، رقم (1) .

(3) انظر ترجمته في تهذيب التهذيب 12 / 265رقم 1216، فتح الباري 1 / 184، جامع بيان العلم 1 / 74.

(4) نسبها بروكلمان خطأ إلى همام وصحح ذلك بعد ذلك في الطبعة الثانية .

(5) طبقات ابن سعد 5 / 396.

(6) كما في كشف الظنون .

على مثال «الصحيفـة الصادقة» لعبد الله بن العاص، وقد عثر على هذه الصـحيفة الدكتور محمد حمـيد الله في مخطوطتين متماثلتين في دمشق وبرلين. وزادنا ثقة بما جـاء فيها أنها برمتها ماثلة في مسند أحمد[1] .

وأن كثيراً من أحـاديثها مروي في صحيح البخـاري في أبواب مختلفة [2] . وتعداد هذه الصحيفة 138 حديثًا[3] .

وأغلب الظن أن الخليفة الورع التقي عمر بن عبد العزيز ت 101 هـ حين أمر رسميًا بالشروع في تدوين الحديث إنما استند إلى آراء العلماء، ولعله لم يقدم على ذلك إلا بعد أن استشـارهم أو اطمأن على الأقل إلى تأييد كـثرتهم[4] وإن كانت الأخبار المتـضافرة توحي بتفرده في هذه الفكرة لما له في القـلوب من منزلة ، ولا سيما بين معاصـريه الواثقين بتقاه وورعه.

وقد كتب عمر بن عبد العزيز إلي أهل الآفـاق وإلى عماله في الأمصار بمثل ما كتب إلى عامله على المدينة أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم [5] بالتدوين للحديث النبوي ، وكان أول من استجـاب له في حياته عالم الحجاز والشام محـمد بن شهاب الزهري المدني (ت 124هـ) الذي دون له في ذلك كتابًا[6] .

ولم تدون السنة الصحيحة وحدها مرتبة على الأبواب إلا في عصر أتباع التابعين ممن عاصر البخاري .

---

(1) مسند أحمد 312/2 ، 319

(2) صحيح البخاري ط مصر سنة 1313، ج 1 ص34 ، 39 ، 56 ، 64 ، 91 ج4 ص ، 56 ، 63 ، 86 ومواضيع أخرى.

(3) تهذيب التهذيب 11/ 67، رقم 106 .

(4) تقييد العلم ، ص 45.

(5) طبقات ابن سعد 2/2 ص 134؛ الرسالة المستطرفة ، ص 4.

(6) نفس المرجع السابق .

ثالثًا – المنهج العلمى فى توثيق أحاديث الرسول ﷺ :

لقد اهتم المسلمون[1] بتدوين الحـديث اهتمامًا شـديدًا ، ومع اهتمامـهم به وضعت معايير ورتب للمحدثين والأحاديث .

لقد كـان علماء الحديث من الحذق والذكـاء والعبقـرية وسعة المعرفـة وعمق الإدراك بحيث قـسموا الأحاديث من جهـة قوتها وضعـفها بعد دراسـتها دراسة واعيـة إلى مراتب عديدة، لكل مـرتبةٍ صـفتُها وتعـريفها وأمـثلتها، فـمن هذه المراتب: الصحـيح، الحسن، الضـعيف، المسنـد، المتصل، المرفـوع، الموقـوف، المقطوع، المرسل، المنقطع، المعـضل، المدلس، المعلل، المضـطرب، المدرج، الموضوع، المـقلوب، المشهـور، الغـريب، الغـريب والعزيز، المتفق والمفترق، وغير ذلك من المراتب التي توسع في التعريف بها وشرحها رجال مصطلح الحديث[2] .

ومن دراسة مراتب الحديث نفـسه ينتقل علماء الحديث إلى دراسة الحـديث فيذكرون صفة من تقبل روايتـه، كيفية سماع الحـديث وتحمله وسائر وجوه الأخذ والتحـمل، معرفة كتابة الحـديث وكيفية ضبط الكتـاب وتقييده، معـرفة كيفية رواية الحـديث وشرط أدائه وما يتعلق بذلك، ومـعرفة آداب المحدث، معـرفة آداب طالب الحديث، معرفـة الإسناد العالي والنازل .

ومن دراسـة الرواية ينتـقل أسـاتذة الحديث إلـى تناول المحدثـين أنفسـهم ورتبـهم وأجناسهم وصلاتهم بعضهم ببعض، وطبـقاتهم وأوطانهم وأعمارهم على هذا النحو الممتع من المنهج: معرفة الصحابة رضي الله عنهم، معرفة التابعين رضي الله عنهم، معرفة الأكابر من الرواة عن الأصاغر، مـعرفة الأخوة والأخوات من العلماء والرواة، مـعرفة رواية الآباء عن الأبناء، معرفـة رواية الأبناء عن الآباء، معرفة من اشترك في الرواية عنـه راويان متقدم

---

(1) ومن هؤلاء ابن الصلاح، عثمان بن عـبد الرحمن أبو عمرو تقي الدين، أحد علماء التفسـير والحديث والفقه وأسماء الرجال، ولد في 577هـ ، وتوفي في 643هـ ومن مؤلفاته: «كتاب معرفة أنواع علوم الحديث» الذي يعرف باسم «مقدمة في علوم الحديث» وله «الفتاوى» ، و«فوائد الرحلة» و «أدب المفتي والمستفتي».

(2) ابن الصلاح: الفهرس وصفحات متفرقة .

ومتأخر تباعد ما بين وفاتيهما، معرفة من لم يرو عنه إلا راوٍ واحد، معرفة من ذكر بأسماء مختلفة أو نعوت متعددة، معرفة المفردات من أسماء الصحابة والرواة والعلماء، معرفة الأسماء والكنى، معرفة كنى المعروفين بالأسماء دون الكنى، معرفة ألقاب المحدثين، معرفة الثقات والضعاف من الرواة ، معرفة من خلّط في آخر عمره من الثقات، معرفة طبقات الرواة والعلماء، معرفة الموالي من الرواة والعلماء، معرفة أوطان الرواة وبلدانهم[1].

وهكذا يصبح جمع وتدوين الحديث واتباع المنهج العلمي في توثيق نصوصه مدرسة كبيرة علمية يستفيد منه العلماء في مجال الوثائق الإسلامية .

لقد حض القرآن الكريم والنبي عليه الصلاة والسلام، كما حض أئمة الإسلام وعلماء الحديث والأصول على اتباع المنهج السليم في توثيق النصوص، والتثبت من الصحة في قبول الأنباء والروايات والأحاديث[2] . ففي سورة الحجرات : ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قومًا بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾ . ويقول في سورة الطلاق : ﴿وأشهدوا ذوي عدل منكم﴾ فدل بذلك على أن خبر الفاسق يقتضي التبين، وأن شهادة غير العدل مردودة. وللنبي عليه الصلاة والسلام أحاديث منها: «من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين»، «وسيكون في آخر أمتي أناس يحدثونكم ما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم»[3] .

وعن رسول الله ﷺ أحاديث كثيرة في هذا المجال، منها: «عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقًا، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور

---

(1) يمكن مراجعة هذه الموضوعات بشكل مفصل في «علوم الحديث» لابن الصلاح، و «معرفة علوم الحديث»، لأبي عبد الله الحافظ النيسابوري .

- انظر أيضًا : مناهج التأليف عند العلماء العرب: قسم الأدب ، مصطفى الشكعة . بيروت: دار العلم للملايين، 1974، ص40 - 50

(2) أسد رستم : مصطلح التاريخ، ص 100- 123، وحسن عثمان: منهج البحث التاريخي، ص 138 - 145 .

(3) مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري: الجامع الصحيح. القاهرة: 1329هـ، ص 9 .

يهدى إلى النار ولا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابًا » .

ومنهج علمـاء المسلمين كبيـر لا يمكن أن نقدمه بهـذا القدر لأنه كـبير جـدًا ويتسع لمجلدات كبيرة .





الوثائق النبوية



تمهيد:

لقد كان حول الرسول ﷺ كتبة تخصصوا في كتابة الوحي وكتابة رسائل الملوك لدعوتهم للإسلام وكذلك الأمور السياسية من اتفاقيات وعهود وغير ذلك .

وكان نتيجة ذلك أن حدثتنا كتب التاريخ حول وجود «الصحيفة الصادقة» وقد تحدثنا عنها عند جمع وتدوين الحديث، كما نقل إلينا المؤرخون الوثائق السياسية[1] والتي تتلخص في الآتي :

أولاً – المعاهدات .

ثانيًا – رسائل الرسول ﷺ إلى الملوك والأمراء .

ثالثًا – موقف الرسول ﷺ من الوثائق الخاصة .

رابعًا – وينبغي كذلك الإشارة إلي ما عثر عليه مؤخرًا في الأديرة المنتشرة في ربوع العالم الإسلامي[2] حول أن الرسول الأعظم ﷺ ، قد أعطي عهود أمان لأهل الذمة .

ونحن نشير إليها حتى نفتح الباب إلى دراستها دراسة علمية والاعتماد على الوسائل التكنولوجية في تحليل مادتها وإرجاعها إلى عصرها التاريخي الصحيح، كما ينبغي تحليل نصوصها وطريقة الخط، وإخضاعها للنقد الوثائقي قبل أي شيء .

وفيما يلي نقدم هذه الأنواع بشيء من التفصيل :

أولاً – المعاهـــــدات :

إن أهم هذه الوثائق الإسلامية «صلح الحديبية»، فبعد أن استنفدت قريش كل جهودها، ظل التوتر يسود علاقتها مع المسلمين، وفي هذه الأثناء كانت الخصومة لا تزال

---

(1) مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة : محمد حميد الله الحيدر أبادي.

- بيروت : دار الإرشاد للطباعة والنشر ، 1969 .

- وقد حاول فيه بإخلاص جمع هذه الوثائق من أمهات كتب التاريخ والمتاحف، وقدم لنا معلومات مفيدة يمكننا الاعتماد عليها كثيرًا .

(2) مثل دير سانت كاترين في سيناء بمصر ، وأديرة الروم والأرثوذكس، دير القديس المخلص للآباء الفرنسيين، ودير الأرمن ، ودير السريان في القدس .

قائمــة بين يهود المدينة، وقد اســتطاع المسلمون بعد قهــرهم القرشيين في واقــعة الخندق أن يقهروا اليهود ويجلوهم عن المدينة .

ولما اطمأن الرســول عليه الصلاة والسلام إلى تفــوق المسلمين على أعدائهم فكر في دخول مكة معتــمرًا، فأمر أصحابه بالســير إليها لأداء العمرة فلبّوا طلبــه في ذي القعدة من سنة 6 هـ، وخرج بمن معــه من المهاجرين والأنصار ومن لحق بهم من العــرب، ليس معهم إلا السيوف في أغمادها .

ولما بلغ أهل مكة خروج رسول الله ﷺ اشتد بهم الذعر، ودعوا الأجانب وحلفاءهم للوقوف بجانبهم وعــهدوا إلى بعض رجالهم بمراقبة حركات المــسلمين، وأجمعوا على منع الرسول وصحبه من دخول مكة ومحاربتهم .

وخرج خالد بن الــوليد على رأس فريق من المشركين للقــاء المسلمين، لكن الرسول عليه الصلاة والســلام استطاع أن يسلك مع المسلمين طريقًا بعيدًا عن عيون الــقرشيين حتى وصل إلى مكان يقال له « الحــديبية»، وبينمــا الرسول ﷺ معــسكرًا بالحديبيــة أرسلت إليه قريش بعض رسلها ليحملوه على العدول عن دخول مكة[1] .

ورأى الرسول من ناحية أن يفاوض قريشًا في أمــر دخوله مكة لأداء العمرة للمسالمة والمودة، فبعث عثــمان بن عفان إلى أبي سفيان وأشراف قــريش، وقال له: «أخبرهــم أنا لم نأت لقتال أحد وإنما جئنا زوارًا لهذا البيت لحرمته ».

ولما رأى سهيل بن عمرو مسارعة المسلمين إلى بيعة الرسول اشتد رعبه وعاد إلى مكة وأخبر قريشًا بذلك، فأشار عليه أهل الرأى منهم بالصلح على أن يرجع الرسول عنهم عامه هذا ويعود في العام التالي :

فقــدم سهــيل بن عمــرو على الرسول ﷺ بالحــديبيــة ، وأظهر له رغــبة قــومه في

---

(1) تاريخ الكتاب الإسلامي : محمد عباس حمود. القاهرة : مكتبة غريب، (تقريبًا 1983) ص 109 .

- وانظر كذلك : مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة لمحمد حميد الله الحيدر آبادي .

مصالحته على أن يرجع إليها في العام التالي، ووافق الرسول عليه الصلاة والسلام على ذلك، واتفق مع سهيل بن عمرو على كتاب الصلح وفقًا للشروط الآتية :

1- أن تضع الحرب أوزارها بين الفريقين لمدة عشر سنين .

2- أن يرد الرسول ﷺ من يأتيه من قريش مسلمًا بدون إذن وليه ، ولا تلتزم قريش برد من يأتي إليها من عند محمد ﷺ .

3- من أراد الدخول في عهد قريش فله ذلك ومن أراد الدخول في عهد محمد ﷺ من غير قريش جاز له ذلك .

4- أن يرجع الرسول ﷺ هذا العام دون أن يؤدى العمرة، فإذا كان العام القادم دخل مكة بعد أن تخرج منها قريش ليس معه إلا سلاح المسافر .

وبعد أن تمت كتابة شروط الصلح أعلن الحاضرون دخولهم في عهد محمدﷺ وعقده[1] .

ولقد شاعت في عصر الصحابة صحيفة خطيرة الشأن أمر النبي عليه الصلاة والسلام بكتابتها في السنة الأولى للهجرة، فكانت أشبه شيء «بدستور» للدولة الفتية الناشئة آنذاك في المدينة؛ وهي الصحيفة التي دوّن فيها كتّاب رسول الله حقوق المهاجرين والأنصار واليهود وعرب المدينة ومطلعها :

«هذا كتاب محمد النبي رسول الله بين المؤمنين والمسلمين من قريش وأهل يثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم: إنهم أمة واحدة من دون الناس »[2] .

ولقد بلغ من شهرة أمر هذه الوثيقة، أنها أصبحت تقرن وحدها بكتاب الله لتواترها وكثرة ما فيها من أحكام الإسلام وكلياته الكبرى .

ولعل علي بن أبي طالب لم يكن يقصد سواها حيث سئل: هل عندكم كتاب؟

---

(1) المرجع السابق . ص 110 .

(2) الوثائق السياسية في العهد النبوي : رقم (1) ، وصبحي الصالح: علوم الحديث، ص 29 ، 30

فأجاب: لا، إلا كتاب الله أو فهم أعطيه رجل مسلم ومـا في هذه الصحيفة، فلما قيل له: وما في هذه الصحيـفة؟ قال: «العقل[1]، وفكاك الأسيـر، ولا يقتل مـسلم بكافر»[2]، وكانت هذه الأمور جزءًا مهما مما اشتملت عليه الصحيفة المذكورة»[3].

ويمكن مراجعة هذه الصحيفة، كما سميت، أو الوثيقـة السياسية الهامة كما نسميها، في نصها الأصلي في المراجع التي نقلت لـنا أمثال هذه الوثائق الإسلامية الهـامة في عصر النبي[4].

ثانيًا - رسائل الرسول ﷺ إلي الملوك والأمراء:

في السنة السادسـة للهجرة استكتـب الرسول ﷺ كتابه رسـائل بعث بها إلى الملوك والأمراء، وقد كتبت بالخط النسخي أو المقور، يدعوهم فيها إلى الإسلام، وهي كما وردت في كتب التاريخ والأدب[5].

- كتابه لهرقل قيصر الروم، وقد أرسله مع دحية الكلبي.
- كتابه لأبراويز كسري فارس، وقد أرسله مع عبد الله بن حذافة السهمي.
- وكتابه لأصحمة نجاشي الحبشة، وقد أرسله مع عمرو بن أمية الضمري.
- وكتابه لمينا بن جريج مقوقس مصر، وقد أرسله مع حاطب بن أبي بلقعة.
- وكتابه للمنذر بن ساوى، وقد أرسله مع العلاء بن الحضرمي.
- وكتابه لجيفر وعبد ملكي عمان وقد أرسله مع عمرو بن العاص.

---

(1) يراد بالعقل هنا المعاقل والديات.

(2) فتح الباري 1/182: «باب كتابة العلم» وراجع أيضًا باب فكاك الأسير.

(3) لأن أكثر ما ورد في الصحيفة يتعلق بالمعاقل والديات.

(4) الوثائق السياسية في العهد النبوي، رقم (1).

(5) حفني ناصف: تاريخ الأدب. ص 63- 65، محمد عبد القادر أحمد: دراسات في التراث العربي ص 78 - 83، حمودة: تاريخ الكتاب الإسلامي، ص 109 - 112، أطوار الثقافة والفكر، ج1 ص 360.

- وكذلك: محمد حميد الله الحيدر آبادي، : مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي، رقم (1).

- وكتابه لهوذة بن علي صاحب اليمامة وقد أرسله مع سليط بن عمرو العامري.

- وكتابه للحارث بن شمر الغساني ملك البلقاء، وقد أرسله مع شجاع بن وهب.

- وكتابه ليوحنا بن رؤبة صاحب أيلة، وسلمه له في تبوك.

ومن هؤلاء الملوك من أحسن استقبال السفراء الذين أرسلهم الرسولﷺ، كالمقوقس، ومنهم من آمن مثل هرقل الروم ونجاشي الحبشة. ولقد تبودلت الرسائل مع هؤلاء الملوك والأمراء ومع رسول اللهﷺ[1] .

ويؤكد المؤرخون كابن هشام واليعقوبي والطبري ما يثبت صحة إرسال هذه الرسائل، وفي هذه المصادر وغيرها نصوص الرسائل التي أرسلت إلى هؤلاء الملوك والأمراء، ومواقفهم من الرسل والرسائل التي بعثت إليهم[2] .

ومن رسائل الرسول ﷺ التي تم العثور عليها حتى الآن :

أ- رسالته إلى هرقل إمبراطور الروم وبيزنطة :

والتي حملها إليه دحية الكلبي، وقد طالعتنا جريدة الأنوار اللبنانية في عددها الصادر بتاريخ الأربعاء 9 نيسان - أبريل 1975م بأن الشيخ زايد بن سلطان رئيس دولة الإمارات، بعد أن ثبت له صحة هذه الرسالة قرر شراءها بمبلغ يصل إلى مليون جنيه استرليني .

وتم اكتشاف هذه الرسالة في حوزة أميرة عربية تقيم في لندن، واشترك في عملية التحقق من الرسالة التي استغرقت عامًا كاملاً عدد كبير من العلماء المسلمين والأوربيين، كما استعين بالإمكانيات المتاحة لدى المتحف البريطاني بلندن، ومختبرات جامعة «ليدز» البريطانية .

وقد أسفرت عملية التحقيق عن ترجيح الوثيقة ونسبتها إلى الرسول عليه الصلاة والسلام، وظلت الرسالة متوارثة في أسرة هرقل، وكان منهم حكام في الأندلس، وكان

---

(1) مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي .

(2) دراسات في التراث العربي : محمد عبد القادر أحمد ، ص 78 .

آخر العهد بوجودها عند أمير طليطلة (إذفـونشد) ثم انقطعت أخبارها بعد ذلك، وكان من المعتقد أنهـا فقدت بعد خروج المسلمين من الأندلس، ولكن تبين أنها آلت إلى أمـيرة عربية تقيم في لندن، وقد تم نقل الوثيقة من «زيوريخ» حيث كانت مودعة في خزانة خاصة بأحد البنوك وبحضور الأميرة إلى خزينة أخرى بأحد بنوك لندن حـيث تم فحصها ودراستها وهي مكتوبة على ورق غزال أو جلد جمل[1] .

2- كما تضم متاحف استانبول رسالة الرسول ﷺإلى المقوقس عظيم القبط فى مصر :

وهذه الرسالة كتبـها أحد كتّابه سنة 6 هـ ويروى أن فرنسيًا يدعي «بارشيلمـيه» عثر على هذه الرسالة في كنيـسة مدينة أخمـيم في صعيد مـصر سنة 1850م، وكانت ملصوقة على غلاف إنجيل قبطي قديم، ولما تبين له أن هذه الرسالة تخص النبي ﷺ قدمها للسلطان عبد المجيد العثماني الذي أمر بحفظها ، داخل إطار ذهبي وضع بداخل صندوق من الذهب الخالص المزخرف بأروع الزخارف .

وأبعاد هذه الرسالة المكتوبة على الرق (42.5×30 سم) وقد تلفت بعض أقسامها من الوسط، وهي محفوظة في فرع «الأمانات المقدسـة» في متحف قصر طوب قبو الذي أنشئ سنة (883 هـ / 1478م) بأمر السلطان محمد الفاتح، وقد بوشر بجمع الأمانات الإسلامية بعـد فتح مـصر مـن قبل السلطان ياروز سـليم، وتم التحـفظ عليـها حـتى الآن، ونص الرسالة[2] :

« بسم الله الرحمن الرحيم (من) محمد عبد الله (ور)

سوله (إلى المقوقس) عظيم القبط (سلام) على

من اتبع الهدى (أما) بعد (فإنى أد)

عوك بدعاية (الإ)سلام أسلم

(تسلم) يوتك الله أجرك (مرتين)

---

(1) دراسات في التراث العربي، المرجع السابق، ص 78 ، 79 .

(2) دراسات في التراث العربي، المرجع السابق، ص 80

فإن توليت فعليك إثم القبط
(ويا) أهل الكتاب (تعالوا) إلى كلمة
سواء بيننا وبينكم ألا تعبدوا إلا (ا)لله
ولا نشرك (به شيئًا) ولا يتخذ بعضنا
بعضًا أربابًا (من دون) الله فإ(ن) تو
لوا فقولوا اشهدوا بأنا مســ
ــلمون

محمد رسول الله»

3- رسالة الرسول ﷺ إلي أمير البحرين :

وهو المنذر بن ساوى، فقــد عثر على أصل هذا الكتاب والوثيقة الهــامة في دمشق، وصورته في كــتاب «الثقافــة الإسلاميــة» و «الوثائق الإسلامية» و «مــكاتيب الرسول» لعلي الأحمدي وترتيبه بحسب سطوره[1] :

«بسم الله الرحمن الرحـيم من محمد رسول الله إلى المنذر بـن ساوى، سلام عليك فإني أحمد الله إليك الذي لا إله غيره، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد فإني أذكرك الله عز وجل فإنه من ينصح فإنما ينصح لنفسه ويطع رسلي ويتبع أمرهم فــقد أطاعني ومن نصح لهم فــقد نصــح لي وأن رسلى قد أثنوا عليك خــير الله وأني قــد شفعتك في قــومك فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه وعفــوت عن أهل الذنوب فاقبل منهم وإنك مهــما تصلح فلن نعزلــك عن عملك ومن أقام على يهــوديته أو مجــوسيتــه فعليك «الجزية» .

محمد رسول الله»

---

(1) دراسات التراث العربي، المرجع السابق، ص 80

4- رسالة الرسول ﷺ إلي نجاشي الحبشة :

والنجاشي هو ملك الحبشة، وقد تتابعت الرسائل بين النبي والنجاشي كما ذكرت المصادر .

وهذه الرسالة عثر عليها المستر «دنلوب» كما جاء في مجموعة «الوثائق السياسية» والرسالة محفوظة في الجمعية الجغرافية البريطانية ونشرت في مجلة الجمعية الملكية الآسيوية سنة 1940م ونصها[1] :

« بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى النجاشي عظيم الحبشة السلام على من اتبع الهدى أما بعد فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة فحملت بعيسى من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته وأن تتبعني وتوقن بالذي جاءني فإني رسول الله وإني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي والسلام على من اتبع الهدى .

محمد رسول الله»

ثالثًا – موقف الرسول من الوثائق الخاصة (*) :

يتضح لنا هذا الموقف في الصدقات التي تعتبر أول وقف في الإسلام[2] كانت في السنة الثالثة الهجرية، وكانت عبارة عن سبعة حوائط[3] ، وكانت مِلْك مخيريق اليهودي من علماء بنى النضير آمن بالرسول يوم أحد، وأوصى أنه إذا قتل يوم أحد فأمواله لرسول الله

---

(1) دراسات التراث العربي، ص81 ، 82 .

(*) اقتبست هذا الجزء من كتاب الأوقاف للدكتور: محمد الأمين. القاهرة: «دار النهضة»، 1980، ص 16-19 .

(2) كتاب أحكام الأوقاف/ الخصاف، أبو بكر أحمد بن الشيباني، ص4. د. عبد العال علي سلمان: نظام الوقف في الإسلام : مجلة المحاماة الشرعية (السنة الخامسة 1933 / 1934)، ص 217 .

(3) الحائط هو البستان من النخيل، ابن منظور لسان العرب.

يضعها حيث أراه الله، فقتل يوم أحد، فقبض رسول الله أمواله[1]، وجعلها صدقة في سبيل الله عقب رجوعه من أحد، وما زالت كذلك حتى حمل من ثمرها إلى عمر بن عبد العزيز أيام خلافته[2].

وثاني هذه الصدقات تشمل أرض الرسول ﷺ من أموال بني النضير بالمدينة، وهي أول أرض أفاءها الله على رسوله، فأجلاهم عنها، فخلصت أرضهم كلها لرسول الله ﷺ، إلا ما كان ليامين بن عمير وأبي سعد بن وهب فإنهما أسلما قبل الظفر[3] ثم قسم رسول الله ﷺ ما سوى الأرض على المهاجرين الأولين دون الأنصار إلاّ سهل بن حنيف وأبا دجانة سماك بن خرشة، فإنهما ذكرا فقرًا فأعطاهما[4]؛ وحبس الباقي على نفسه، فكانت من صدقاته يضعها حيث يشاء، وينفق منها على أزواجه[5] وليس أدل على أنها كانت صدقة موقوفة من أن عمر بن الخطاب سلمها فيما بعد إلى العباس وعلي، رضوان الله عليهما، ليقوما بمصرفهما[6].

أما الصدقات الثالثة والرابعة والخامسة فكانت ثلاثة حصون من خيبر، وهي الكتيبة والوطيح والسلالم، وكانت الكتيبة قد أخذت بخمس الغنيمة، بعد أن فتحت ستة حصون لخيبر عنوة[7]، في حين كانت الوطيح والسلالم مما أفاء الله على الرسول عليه الصلاة

---

(1) ابن هشام، أبو محمد عبد الملك: سيرة النبي. ط. القاهرة ج3 ص38؛ الخصاف: المرجع السابق ذكره، ص433؛ ابن الأثير: الكامل، ج2 ص162.

(2) علي الخفيف: الوقف الأهلي (مجلة القانون والاقتصاد، العدد 3، 4، السنة العاشرة، مارس وأبريل 1940)، ص 35.

(3) السيرة لابن هشام، ج 3 ص 194.

(4) نفس المرجع السابق، ج3 ص195، 196، المقريزي: تقي الدين أحمد بن علي: إمتاع الأسماع بما للرسول من الأنباء والأمور والحفدة والأتباع. تحقيق محمود محمد شاكر.، ط. القاهرة، ج1 ص 182 - 183، ابن واضح: أحمد بن أبي يعقوب: تاريخ اليعقوبي. ط بيروت، ج3ص 29.

(5) الخصاف: أحكام الأوقاف، ص 3.

(6) الماوردي. الأحكام السلطانية ص 169. ابن الأثير: الكامل، ج2 ص 173، 174. أبو يعلى: الأحكام السلطانية، ص 183، 184.

(7) ابن هشام: السيرة، ج3ص404.

والسلام، لأنه فتحهما صلحًا[1] ، وبذلك صارت هذه الحصون الثلاثة بالفيء والخمس خالصة لرسول الله ﷺ فتصدق بها[2] .

والصدقة السادسة النصف من فدك، إذ صالح أهلها الرسول عليه السلام بعد فتح خيبر، على أن يكون له نصف أراضيهم ونخلهم، فصار النصف من صدقاته يصرف ما يأتيه منها على أبناء السبيل[3] .

ومما يدل على أنها كانت صدقة موقوفة أن أبا بكر أرسل مندوبيه لتسلم فدك من السيدة فاطمة، فذهبت إليه السيدة فاطمة مع العباس عم النبي ﷺ، وطلبا إليه ميراثهما من رسول الله في أرض فدك وسهم خيبر، فقال لهما أبو بكر: «أما أني سمعت رسول الله يقول: نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة[4] ، إنما يأكل أهل محمد في هذا المال، وإني والله لا أدع أمرًا رأيت رسول الله يصنعه إلا صنعته»[5] . وبعد ذلك حرص أبو بكر وعمر وعثمان وعلي على الالتزام بسنة رسول الله ﷺ بعد وفاته[6] .

أما الصدقة السابعة فكانت ثلث أرض وادي القرى. في حين كانت الصدقة الثامنة موضع سوق بالمدينة يقال له مهروذ[7] .

---

(1) ابن هشام: نفس المرجع السباق، ج3 ص 389. الخثعمي (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن): الروض الأنف في تفسير ما اشتمل عليه حديث السيرة النبوية لابن هشام، ج2 ص247 .

(2) الماوردي: الأحكام السلطانية، ص 170. ابن الأثير: الكامل، ج2 ص218 - 224 .

(3) ابن الأثير: المرجع السابق ج2 ص221-225. ابن هشام: المرجع السابق، ج3 ص 408. المقريزي: إمتاع الأسماع، ج1 ص331 .

(4) البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل: الصحيح. ط. مصر، ج4 ص101 ، 102. السرخسي، أبو بكر محمد بن أبي سهل: المبسوط. ج12 ص 30 .

(5) محمد حسين هيكل: الصديق أبو بكر، ص 72. الطبرسي، أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب: الاحتجاج. ط. النجف الأشرف، ج1 ص 121 ، 122 ، 132 ، 133 وما بعدها .

(6) ابن الأثير : الكامل. ج2 ص225 أبو يعلى: الأحكام السلطانية، ص 185 . د. منير العجلاني: عبقرية الإسلام في أصول الحكم. ط بيروت، ص 467. ويذكر أبو الفداء ، عماد الدين إسماعيل، أن مروان بن الحكم اقطع فدك بالرغم من أنها صدقة الرسول عليه الصلاة والسلام، وظلت كذلك حتى انتزعها عمر بن عبد العزيز من أهله وردها صدقة، المختصر في أخبار البشر، ج1 ص 169 .

(7) الماوردي: الأحكام السلطانية، ص 170. أبو يعلى: الأحكام السلطانية، ص 185 .

وهكذا ضرب لنا الرسول ﷺ المثل الأكبر في التكافل الاجتماعي مما كان نموذجًا يحتذى به في هذه الأفعال في عهد الخلفاء والتابعين وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

رابعًا – عهود النبي ﷺ لأهل الذمة[1] :

من المعروف أن الإسلام قد نظم العلاقات بين المسلمين وأهل الذمة، إلا أن رهبان دير سانت كاترين بشبه جزيرة سيناء[2] قد درجوا على القول بأن الرسول محمد ﷺ قد منحهم عهد أمان في أوائل سنوات الهجرة النبوية والذب عنهم وعن كنائسهم وبيوت عبادتهم وألا تهدم كنائسهم، وألا يدخل شيء من مالها في بناء مسجد، ومنع فرض الجزية والمغارم عليهم، وتوجد في مكتبة الدير عدة صور أو نسخ من هذا العهد كتبت في عصور مختلفة، وهي متفقة في المعنى وإن اختلفت قليلاً في اللفظ، وعليها أسماء كبار الصحابة ومنهم الخلفاء الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي[3] .

ويستند رهبان الدير إلى هذا العهد في التمسك بحقوقهم ومطالبهم التي كثيرًا ما أفصحوا عنها في قصصهم أو شكاياتهم التي رفعوها إلى الخلفاء والسلاطين والأمراء .

وكما يقال، ظل هذا العهد النبوي[4] ، مخلدًا[5] في الدير حتى الفتح العثماني لمصر

---

(1) المقصود بأهل الذمة، أو أهل الكتب السماوية، هؤلاء القوم الذين آمنوا بالرسل أصحاب الكتب مثل موسى وعيسى ويسمون أحيانًا بالكتابيين، والمقصود بهم اليهود والنصارى، وقد كانوا منتشرين في أنحاء العالم الإسلامي، وكان الرسول عليه الصلاة والسلام يعاملهم بسماحة، كما ألف الفقيه العالم الشامي ابن قيم الجوزيه كتابًا في ذلك بعنوان «أحكام أهل الذمة» وهو محقق ومطبوع .

(2) يقع هذا الدير في شبه جزيرة سيناء في جمهورية مصر العربية وتشتمل مكتبته على مجموعة كبيرة من المحطوطات والوثائق التركية والعربية. والدير من جملة الآثار الخالدة بحق التي خلفها الإمبراطور البيزنطي جوستنيان 527 - 565م وزوجته الإمبراطورة تودورا، وذلك بعد أن اعترفت الدولة البيزنطية في عهد الإمبراطور قسطنطين بالمسيحية وكانت المسيحية دينًا رسميًا للدولة في بداية القرن الرابع الميلادي .

– وقد صدرت لمجموعة الدير من الوثائق والمخطوطات العديد من الفهارس العربية والأجنبية .

(3) عبد اللطيف إبراهيم : في مكتبة دير سانت كاترين: مجلة جامعة أم درمان الإسلامية، عدد (1) ، 1968، ص151- 260 .

(4) انظر العهود النبوية بفهرس مكتبة الدير تحت أرقام من 1 - 5، 961 .

(5) مخلدًا أي محفوظا وهو لفظ ومصطلح العصر الوسيط حيث كان تخليد الوثائق يعني حفظها والتخليد أقوى من الحفظ .

سنة 923 هـ (1517م) فأخذه السلطان سليم الأول معه إلي القسطنطينية وفرح به كثيراً[1].

وقد أعطى السلطان سليم لرهبان الدير صورة من عهد النبي، كما كانت الفرمانات والأوامر تصدر تباعًا من سلاطين آل عثمان وحكامهم في مصر تؤكد حماية الدير ورهبانه وممتلكاته بين حين وآخر، من أجل رفع الظلم والحيف عنهم، والإبقاء على ما كانوا يتمتعون به من امتيازات مختلفة منذ الفتح الإسلامي لمصر، وبذلك سار السلاطين العثمانيون وولاة الأمور في مصر على سنة الحكام السابقين عليهم من خلفاء الفواطم وسلاطين آل أيوب والدولتين المملوكية البحرية والبرجية .

ومهما يكن من أمر هذا العهد النبوي، سواء كان صحيحًا أم مزيفًا فقد أفاد منه الرهبان فوائد جمة، في مختلف العصور، بل إن أحدًا من خلفاء المسلمين وسلاطينهم لم يشك في صحة ذلك العهد، وأصبح هناك شبه تقليد أو عرف سائد بتجديد فحوى هذا العهد ومعناه بين حين وآخر من أجل تأمين الرهبان والحفاظ على أرواحهم وأملاكهم ومصالحهم كما يتضح لنا من عشرات المراسيم الصادرة عن ديوان الإنشاء في مصر إبان العصور الوسطى، وهذا كله مما يؤكد حماية الإسلام للرهبان في هذا الدير العتيق الفاني، بل حمايته للنصاري والرهبان والزهاد بخاصة، ورعايته للأديان السماوية وأهل الذمة بعامة[2].

كما نشرت دراسات في الفترة الأخيرة [3] حول وجود وثائق عربية إسلامية في أديرة القدس، وهي:

- بطريركية ودير الروم الأرثوذكس .

---

(1) Atiya, S.S.: The Arabic Manuseripts of Mount Sinai (Baltimore, The American Foundation for the Study of man, 1955. P. XXiX.

- وهو فهرس بالمخطوطات العربية في دير سانت كاترين ومتوافر في مكتبات القاهرة .

(2) Rabino, M.H.L. : Lw Monastere de Sainte Catherine du Mont Sinai (Le Cuire 1983) pp. 20 - 21, 40

(3) كامل العسلي: دراسة أولية حول الوثائق العربية الإسلامية في أديرة القدس: المجلة المغربية للتوثيق (تونس)، العدد الأول ، أكتوبر 1983؛ ص 83 - 94 ، وانظر كذلك، عبد اللطيف إبراهيم : المرجع السابق، أحمد دراج: وثائق دير صهيون في القدس الشريف. القاهرة : 1968.

- دير القديس المخلص للآباء الفرنسيين.
- دير الأرمن .
- دير السريان.

ومن هذه الوثائق نسختان من عهد يزعم أن النبي محمدا أعطاه على جبل سيناء إلى الروم الأرثوذكس، وإلى الرهبان والمسيحيين كافة، كما تزعم الوثيقة آن العهد أملاه النبي على علي بن أبي طالب سنة 623 م. وهذا العهد النبوي محفوظ في بطريركية ودير الروم الآثوذكس، كما أشارت الدراسات حول وجود وثاتق في دير الأرمن بالقدس الشريف، ومن بين هذه الوثائق «عهد» محفوظ لدي الأرمن، يزعم أن النبي محمد عليه الصلاة والسلام، آصدره حاضّا فيه على رعاية مصالح الأرمن ومن تبعهم من القبط والأحباش، والسريان في القدس[1] .

ولدى تحليل هذه الوثائق نتبين فورًا من الأخطاء التاريخية وكذلك من اللغة السقيمة التي كتبت بها أنها موضوعة في وقت متأخر .

ويزعم واضعو العهد المنسوب إلى النبي محمد عليه الصلاة والسلام آن وفدًا أرمنيًا مؤلفا من أربعين راهبًا سافر إلى مكة وأعلن أعضاؤه ولاءهم للرسول العربي، قبل الفتح الإسلامي لبيت المقدس بسنوات وأن النبي عليه السلام أصدر عهده وميثاقه للأرمن ومن تبعهم في ملتهم من القبط والأحباش والسريان بالحفاظ على امتيازاتهم وممتلكاتهم في الأراضي المقدسة[2] .

---

(1) هذا العهد النبوي المزعوم مسجل في سجلات محكمة القدس الشرعية سجل رقم 144 ص 57 وما بعدها لسنة 1060م، وفي رأسها كتب ما يلي :

هو الحق : هذا الكتاب إلهي والأمر النبوي والألفاظ الطاهرة بتحقيق الحقايق المصطفوي هذا الكتاب الاصلي كاتبه معاوية بن أبي سفيان بأمل (كذا) من المصطفى ﷺ وعلى آله أجمعين برحمتك يا آرحم الرحمين والحمد لله رب العالمين .

- كامل العسلي : الوثائق الإسلامية في أديرة القدس، المرجع السابق ذكره، ص 88.

(2) كامل العسلي. نفس المرجع ، ص 88.



الفصل السابع

تاريخ الكتاب الإسلامي



نشأة الكتاب الإسلامي :

ارتبطت نشأة الكتاب الإسلامي بدخول العرب في الإسلام، فبمجيء الإسلام بدأ العرب يهتمون بالكتابة والتدوين، وكان على رأس هذه الكتب: القرآن الكريم والحديث النبوي، وما ارتبط بهما من علوم كثيرة أثرت الحياة الفكرية في العالم الإسلامي .

وعندما اطمأن المسلمون إلى تسجيل النصوص الدينية، بدأوا يفكرون في العلوم الاخرى كالفقه والعلوم الدنيوية التي تتصل بحياتهم كالرياضيات و الطب ونظم الإدارة وغيرها.

لذلك بدأوا يتطلعون إلى التأليف في العلوم الدنيوية، لأن معارفهم في هذه العلوم محدودة، فبدأوا يطلعون على حضارات الشعوب المجاورة، وعلى سبيل المثال، الثقافة الهندية، والثقافة اليونانية، والثقافة الفارسية .

قام العرب بعمليات منظمة للنقل والتعريب، وحافظوا بذلك على الفكر الإنساني، ذلك آن الحضارة العربية الإسلامية سلسلة في تواصل الحضارات، فهم قد تأثروا بغيرهم وأثروا في غيرهم.

كما وصل لدينا في مجال الفكر الإسلامي مؤلفات هائلة في علوم القرآن والحديث والفقه، وكذلك في مجالات العلوم الدنيوية، كالطب والفلسفة والكيمياء والفيزياء والرياضيات، ونظم الحكم والإدارة[1] .

وقد ساعد على ازدهار ظهور الكتاب الإسلامي عدة عوامل نذكر منها :

أ- التعاليم الإسلامية التي تحرص على التعلم والتعليم والكتابة وما ذكر في كتاب الله وأحاديث رسول الله ﷺ الكثير حول الحث على تنمية القدرات الإنسانية في هذه المجالات.

---

(1) عبد التواب شرف الدين وإبراهيم الكروي: المرجع في الحضارة العربية الإسلامية - الكويت ذات السلاسل 1984 .

2- ظهور طبقة من الوراقين العلماء الذين بدأوا يهتمون بالكتابة والقراءة وجمع الكتب ونسخها وتصحيحها بل ونقدها[1] .

وكان لهؤلاء الوراقين مراكز ودكاكين اشتهروا بها وقد لعبوا دورًا هامًا في نشأة الكتب وإقرار الحياة الثقافية في البلاد الإسلامية .

3- انتشار المكتبات بأنواعها المختلفة فمن المكتبات في المساجد، والمكتبات التي في بيوت الأمراء والحكام والسلاطين إلى المكتبات العامة الكبري كبيت الحكمة في بغداد وبيت الحكمة ودار العلم في مصر، إلى المكتبات الخاصة التي كان أفراد الشعب يقومون بالحرص على تكوينها وخاصة علماء الأمة، ممن كانوا يقفون[2] كتبهم لتصبح في خدمة طلاب العلم والباحثين .

4- تشجيع الحكام والسلاطين، فمن ذلك أن الخليفة المأمون كان يزن ما يترجم بميزان الذهب.

5- انتشار الورق وصناعته في الأقطار الإسلامية المختلفة ، مما يسر استخدامه في الكتابة .

وقد وصل إلينا كتاب يعتبر من أهم الكتب العربية الإسلامية التي من خلاله نستطيع أن نرصد حركة التأليف والترجمة في البلاد الإسلامية حتى نهاية القرن الرابع الهجري، وهذا الكتاب من تأليف محمد بن إسحق المعروف بابن النديم الوراق، والكتاب طبع أكثر من طبعة منذ قام المستشرق الألماني فلوجل بطباعته في مدينة ليبزج عام 1872. ويعرف الكتاب بالفهرس لابن النديم[3] .

---

(1) مقدمة بن خلدون، تحقيق علي عبد الواحد وافي، نشر دار الشعب بالقاهرة .

(2) الوقف، نظام اجتماعي اقتصادي في العالم الإسلامي انتشر في الحياة العربية الإسلامية وقد أصبح له دور هام في المجتمع الإسلامي وكان وقف الكتب من أهم أنواع الوقف .

- وقد تناول عبد اللطيف إبراهيم في كتابه دراسات في الكتب والمكتبات الإسلامية بعض الدراسات التي تتصل بهذا الموضوع، ونشرته دار الشعب بالقاهرة عام 1961 .

(3) انظر الدراسة التي قمت بنشرها حول: الفهرست لابن النديم في المجلة المغربية للتوثيق بتونس عام 1986 .

إخراج الكتاب الإسلامي :

يتناول هذا الموضوع عدة جوانب أساسية. من هذه الجوانب :

1- مواد الكتب أو مادة الكتاب التي كتبت عليها الكتب الإسلامية فمن ذلك : البردي [1] والرق[2] ، والورق، كما كتبت بعض الكتابات على مواد كالحجارة والنسيج وعسب النخيل[3] .

2- الكتابة ونوعها ونشأتها وتطورها وهو موضوع هام اهتم به كثير من الباحثين ومن هؤلاء يحيي خليل ناجي، د. إبراهيم جمعة وأدولف جروهمان والمستشرق مورينز في دائرة المعارف الإسلامية .

3- أداة الكتابة ، كالأقلام والحبر، وقد درسها علماء العرب في كتبهم مثل كتاب صبح الأعشى في صناعة الإنشا حيث اشتمل الجزء الثالث منه على الكثير من الحقائق التي تتعلق بهذا الموضوع .

4- كيفية الكتابة على الأوراق، من ناحية ترك مسافات بين السطور من عدمه، أو ترك هامش أو استخدام الهوامش في إضافات معينة للكتاب، والبنط الطباعي أو الإخراج الطباعي .

5- الرسوم التوضيحية ، والصور المرسومة، والخرائط، وهي ما يمكن أن تدرج حاليًا في مدارسنا باسم الوسائل التعليمية، هذه الرسوم أو الوسائل ووسائل الإيضاح كانت تلعب دورًا كبيرًا في توضيح المادة العلمية، وقد وصلتنا كثير من الكتب الإسلامية تشتمل على الكثير من هذه الرسوم التوضيحية . وخاصة في مجال علم النبات والجغرافيا والطب والفلك .

---

(1) البردي، ورق يصنع من نبات البردي ويزرع في مصر، في الدلتا بمصر ونظرًا لصعوبة نقله وتصنيعه لم يستطع المقاومة أمام الورق الذي صنع في عهد هارون الرشيد .

(2) الرق، مادة من مواد الكتابة تصنع من جلود الإبل والحيوانات وكانت تدبغ جيدًا ، وتستحدم في الكتابة .

(3) العسب : يستخرج من النخيل

فقد كان علماء النبات يلاحظون النباتات في أطوارها المختلفة ويسجلون ملاحظاتهم حول أطوار نمو النبات بالرسم والتصوير ، ويضيفون هذه الرسوم في مؤلفاتهم .

كما اهتم علماء الجغرافيا بالخرائط وكذلك علماء الطب بالرسوم التي توضح الأمراض المختلفة التي تصيب الإنسان .

ونستطيع أن نقول إن علماء العرب بجانب أسلوبهم وطريقتهم في مجال البحث التجريبي والميداني ساهموا في استخدام ونشأة وتطوير الوسائل التعليمية ، رغم وجود آلات طباعة أو تصوير .

6- من الموضوعات الهامة التي تدخل في دراسة إخراج الكتاب الإسلامي النصوص أو العبارات التي كانت تكتب في بداية الكتاب على صفحة العنوان، أو على الصفحة الأخيرة فيما يسمي بالكلوفون[1] .

ومن الملاحظات التي لاحظتها على الكتب الإسلامية في هذا المجال العبارات التي تتصل بنسخ الكتب أو نساخها وتاريخ النسخ وهل تمت إجازة[2] الكتاب سماعا أو إملاء أو كتابة نسخة من الأصل أو صيغ الوقف، وقف الكتاب لطلاب العلم أو على مسجد من المساجد . . . . إلخ .

ويمكن تجميع هذه الملاحظات الهامة ودراستها بعد تنظيمها للوقوف على بعض المسائل التي تتصل بإخراج الكتب الإسلامية .

7- طريقة تقسيم الكاتب لكتابه نحو كتابة مقدمة الكتاب ومحتويات له وكيفية تقسيم كتابه إلى أقسام أم أبواب أم مقالات وفنون، كما فعل ابن النديم في كتاب الفهرست أو إلى شعب ودوحات كما فعل طاش كبرى زاده في كتاب مفتاح السعادة وهكذا، وكيف كان

---

(1) الكلوفون صيغة تكتب في آخر صفحة بالكتاب يوضح فيها بيانات عند الانتهاء من الكتاب اسم الكاتب وتاريخ نسخ الكتاب ومكان النسخ بالتفصيل، وهذه البيانات تعتبر هامة جدًا لتحديد وصف الكتاب أو فهرسته .

(2) إقرار الكتاب والموافقة على نصوصه .

يبدأ الفصل وينتهي، والكلمات الدالة التي تكتب في بداية كل صفحة قبل السطور، واستخدام الألوان لتمييز العناوين .

8- أمر آخر من أمور إخراج الكتب الإسلامية عملية الزخرفة للحروف والكتابة، فمن المعروف أن الكتابة العربية في تطورها قد ارتبطت حروفها بالزخرفة ، ولذلك نجد أن كليات التربية الفنية تدرس الخط العربي بوصفه يمثل طابعًا فنيًا خاصًا . وكتابة الكثير من الطغراوات[1] .

وهندسة الحروف واستخدام المقاييس الدقيقة في رسمها جعل الكتب الإسلامية مجالاً لدراسة كثير من الباحثين من علماء الآثار والتربية الفنية .

9- كما كان لتجليد الكتب الإسلامية دور واضح في ظهور الكتاب، وكان تجليدها يتم باستخدام الورق المقوى مع إضافة القماش والجلود، والكتابة على الجلد أو الورق، وإعداد لسان لجلدة الكتاب لتساعد في فصل الصفحات عند القراءة، وكان يكتب على كعب الكتب بيانات تتصل بمؤلف الكتاب أو عنوانه أو موضوعه لتساعد في الوصول إليه في حالة وضعه في صناديق أو على رفوف داخل المكتبة .

الكتاب الإسلامي وتقسيم المعرفة :

لم يكن الكتاب الإسلامي بعيدًا عن الأفكار التقدمية التي نعيشها اليوم في مجال علوم المكتبات حول نظم التصنيف أو ما كانت تسمى عند علماء العرب تعلم تقاسيم العلوم كما سماها أحمد بن مصطفى، الشهير بطاش كبرى زاده والذي كان موجودًا في أوائل القرن العاشر للهجرة .

لقد وضعت خطط كثيرة لتقسيم المعرفة[2] ، من هذه الخطط خطة ابن النديم في كتابه

---

(1) جمع طغري ، وهي غلامة السلطان أو الخليفة ، وهي كانت تقوم مقام الخاتم وتشمل على اسم السلطان أو الحاكم وتاريخ العلامة بطريقة هندسية ويشتمل كتاب صبحي الأعشي للقلقشندي على كثير من هذه الطغراوات .

(2) في مقدمة كتاب طاش كبرى زاده، لمحققيه حصر بالجهود التي بذلت في مجال وضع تقاسيم للمعرفة =

الفهرست، وخطة طاش كبرى زاده في كتابه مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، وحاجي خليفة في كتابه : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، وهي خطط ببليوجرافية لتقسيم الكتب .

كما وجدت خطط معرفية فلسفية كخطة الفارابي في كتابه إحصاء للعلوم، والتنبيه على السعادة للكندي.

أما الخطط التعليمية، فهي خطط ابن خلدون، حيث جمع مناهج ومقررات الدراسة في المعاهد التعليمية في الشرق والغرب الإسلامي وقسم العلوم والمعرفة بالاستناد إلى هذه المناهج.

وجدت كذلك خطط علمية[1] كخطط جابر بن حيان وابن سيناء في مؤلفاتهم عن الكيمياء والطب .

وإذا كان علماء التصنيف في أيامنا يعتبرون التصنيف العملي هو أنجح التصانيف فقد كان التصنيف الببليوجرافي الإسلامي السابق الإشارة إليه من ذلك النوع . أي أن تصنيف العلوم أو تقسيمها لم يكن معرفيًا فلسفيًا فقط بل كان عمليًا أيضًا بجانب ذلك كله .

ولهذا فإن الكتاب الإسلامي كما قسم ابن النديم خضع لهذا التقسيم العملي، حيث قسم ابن النديم كتابه إلى عشر مقالات، وكل مقالة إلى فنون، كما أن كل مقالة تناولت موضوعًا محددًا كما ارتأى ذلك ابن النديم .

ونعود فنتساءل كما يتساءل معي آخرون حول تطبيق الخطط الببليوجرافية في الكتب الإسلامية كما يحدث لدينا الآن نحو تطبيق بعض الخطط الأجنبية بعد تعديلها ؟ .

= الإنسانية، وهذا يدل على أن العرب لهم دور كبير في هذا المجال وقبل ظهور الخطط المعروفة حاليًا بخطط التصنيف مثل خطة ديوي وكولون وخطة التصنيف العشري العالمي .

(1) نشر جلال محمد موسى في كتابه منهج علماء العرب في البحث العلمي فصلاً عن تصنيف العرب للعلوم. وانظر كذلك الدراسة التي قمت بإعدادها بعنوان: تصنيف العلوم والمعارف في الإسلام ونشرت في «صحيفة المكتبة » (القاهرة)1991 .

لا شك أن الخطط الببليوجرافية للكتب الإسلامية قد أثرت بطريقة أو بأخري، لكن نعود فنقول إنه ليس من الضروري أن تطبق في كل الكتب وفي كل العصور، فيتواجد لدينا أعمال حاليًا وخطط خاصة بمجالات محددة مثل خطة تصنيف التربية الذي يعتمد عليه مركز معلومات مصادر التربية ERIC [1] في نشرة لكشاف التربية .

ولذلك ينبغي التأكيد على هذا الجانب الهام في دراسة دور التصانيف والتقاسيم في الكتب الإسلامية؛ ذلك أن لكل عصر ظروفه الخاصة .

أما من ناحية قوائم رؤوس الموضوعات، فإن العرب أدركوا أهمية هذا الجانب في شكل القواميس والمعاجم المتخصصة في كافة المجالات المعرفية المختلفة بحيث أصبحت تكون أو تمثل مكانز[2] لغوية .

والعرب هم أول من اهتم بإعداد هذه القواميس حيث كان قاموس «العين» للخليل ابن أحمد الفراهيدي أول جهد منظم يسجل للعرب دورهم في مجال إعداد القواميس[3] .

كما وصلتنا قواميس متخصصة مثل المخصص لابن سيده، وغيره من علماء العرب، هذا بجانب ما حدده طاش كبرى زاده من موضوعات للعلوم في كتابه مفتاح السعادة وذلك في أوائل القرن العاشر للهجرة .

من كل ذلك نلاحظ أن الكتاب الإسلامي له دور في مجال تقسيم المعرفة، وهو تقسيم متعدد الجوانب متنوع المجالات يثبت للعرب دورهم ويؤكد جهدهم وأسبقيتهم في مجال التصنيف أو تقسيم العلوم، كما يؤكد دورهم الحضاري في تواصل الحضارات، ذلك أن العملية الحضارية تأثير وتأثر؛ فالعرب تأثروا بمن قبلهم وهم بدورهم أثروا في الأجيال

---

(1) مركز معلومات مصادر التربية تابع للمعهد القومي للتعليم في أمريكا بواشنطن .
Educational Resources Information Centre

(2) المكانز جمع مكنز على وزن مخزن بفتح الميم ويطلق على القائمة المستخدمة بواسطة الكمبيوتر لموضوع من موضوعات المعرفة مثل التربية أو المكتبات أو العلوم الاجتماعية .

(3) يقال إن الصينيين القدماء أول من حاولوا إعداد القواميس وإن العرب استفادوا منهم، ونقول لو أن العرب اطلعوا على هذه المحاولة لأشاروا إليها في مؤلفاتهم فقد كانوا يشيرون إلى جهود السابقين دائمًا .

الأخرى التي تليهم من الغربيين عن طريق الأندلس، وعن طريق الحروب الصليبية، ورحلاتهم المستمرة إلى الشرق، البعثات التبشيرية .

الكتاب الإسلامى والوصف الببليوجرافى :

الوصف الببليوجرافي أو الفهرسة الوصفية عمليات فنية تخضع في أيامنا الحالية لقواعد أساسية لتحديد العناصر وتحديد الهوية للمواد أو مصادر المعرفة، وهي مهمة جدًا في أيامنا لأنها تساعدنا على إنشاء الفهارس بطريقة منظمة مقننة .

ولولا هذه العمليات الفنية ما كانت الفهارس، والفهارس هي مفاتيح نصل من خلالها إلى مصادر المعلومات، وخاصة أننا نعيش عصر انفجار معرفي أو أزمة معرفة لدرجة أن الباحثين لا يمكنهم مراجعة المطبوعات التي تنشر في بلد أو بلدان العالم، بل يراجع أولاً الفهارس والكشافات والببليوجرافيات والأدلة التي تجمع بيانات تصف المطبوعات المختلفة[1].

وإذا كان الأمر كذلك ، فهل وجدت هذه القواعد، قواعد الوصف الببليوجرافي في العصور الإسلامية، وما هي؟ ثم كيف كان العرب يتعاملون لتحديد هوية الكتب الإسلامية؟ .

فكما سبق أن ذكرت أن أول كتاب وصل إلينا بشكل متكامل في مجال الفهارس هو كتاب ابن النديم: الفهرست، فمن خلال البيانات التي أوردها نلاحظ أنه كان يوجد منذ القرن الرابع وقبل القرن الرابع الهجري اهتمام بتوصيف الكتب، نحو ذكر المؤلف والعنوان والمترجم وأوراق الكتب وحالة الكتاب ومما يدل على اعتبار الوصف الببليوجرافي مطلبًا أساسيًا في وصف الكتب .

كما وصلت إلينا مجموعات تمثل مكتبات متخصصة لأفراد يحرصون في وثيقة الوقف التي تمثل فهرسًا لها على ذكر البيانات الببليوجرافية لهذه الكتب ، وقد نشر أستاذنا/

---

(1) حاول برجستراس في كتابه أصول نقد ونشر النصوص، هيئة الكتاب ، 1969، ص 114- 116 أن يضع قواعد للوصف الببليوجرافي للكتب الإسلامية، وهي مرشدة للمفهرسين والببليوجرافيين .

عبد اللطيف إبراهيم في كتابه "دراسات في الكتب والمكتبات الإسلامية " نماذج لهذه الوثائق.

أما استخدام العرب لبطاقات ذات مواصفات ومساحات محددة وقواعد ملزمة فلم يصل إلى علمى أنها كانت موجودة بالشكل المألوف لدينا في عصرنا هذا .

لكن بقي أن نؤكد أنه وصلتنا كثير من الفهارس المختلفة مثل فهرست ابن النديم وغيره من الفهارس التي سبقته أو جاءت بعده، بل إن من الفهارس التي كانت تصدر فهرست ما رواه الشيخ من الكتب أي المرويات كانت موجودة[1] .

الكتاب الإسلامى والمكتبات فى الإسلام :

يجب عند دراستنا للكتاب الإسلامي دراسة المكتبات في الإسلام، لأن المكتبات لا يمكن أن تتكون بدون الكتاب الإسلامي، ولذلك فنحن ندرس هذه الموضوعات من عدة جوانب: من حيث فلسفتها في الإسلام، وهيكلها التنظيمي، ثم العمليات الفنية التي كانت تتم فيها .

فالمكتبات في الإسلام تكونت بفضل الجهود الطيبة التي قام بها العلماء المسلمون والحركة النشطة التي بذلوها في مجال التأليف والترجمة، وكانت تسند هذه الحركة فلسفة إسلامية قوية تتمثل في التعاليم الإسلامية وحث القرآن والأحاديث على التعلم والتعليم والعلم والقراءة .

كما تعددت المكتبات، فمن مكتبات المساجد إلى مكتبات الخلفاء إلى مكتبات عامة تشبه المكتبات القومية التي تقدم خدمة لعامة الجمهور مثل بيت الحكة في بغداد ودار العلم في القاهرة .

كما كانت تقدم خدمة منظمة لروادها من حيث نسخ وترجمة الكتب وكذلك خدمة

---

(1) حاول عبد المجيد عابدين حصر الجهد العربي في مجال الفهارس القديمة، بعنوان الفهارس العربية في مجلة الوثائق العربية والتي تصدر في بغداد .

طلاب المعرفة من حيث تحقيق حاجـاتهم إلى الكتب اللازمة لهم، وكذلك عمليات الإعارة المناسبة .

وكان يسند هذه الخـدمة الميزانية المنظـمة، الإدارة القوية، تشجـيع الحكام والسلاطين لكل من يعمل في هذه المكتبات، فنجد منهم العلماء والأدباء الفقهاء .

وبتقدم الحضـارة الإسلامية نجد في كل مؤسسـة مكتبة تساعد المختصين في مـهمتهم فوجدت مـكتبات المستـشفيات، ومكتـبات المدارس بعد إنشائهـا في شكل مبانٍ مسـتقلة، وكذلك المكتبات الخاصة بالأفراد كمكتبات الأمراء والأعيان .

أما من حيث العمليات الفنية، فقد كانت الكتب تخضع لما يشبه الفهرسة الموضوعية؛ فتوضع الكتب ذات الموضوع الواحـد في مكان واحد سواء في صناديق أو على الرفوف مع كتابة اسم الكتاب وموضوعه على لسان الكتاب أو على كعبه .

كما وصلتنا فهارس مـتعددة تثبت مدى اهتمام المسلمين بالعمليـات الفنية، وقد سبق أن عـالجت ذلك في مـجال الـكتاب الإسـلامي وعـلاقـته بـالتقـسـيم المعـرفي والوصف البيليوجرافي(1) .

الكتاب الإسلامي والنشر :

نستطيع أن نعالج هذا الموضوع من زاويتين، الزاوية القديمة والأخرى المعاصرة. فنشر الكتاب في العصور الإسلامية وقبل وجود الطـباعة كانت له قواعده وأصوله، ونشر الكتاب بعد وجود الطباعة كذلك له قواعده وأصوله .

---

(1) من الدراسات التـي تناولت المكتبات فـي الإسلام: دراسة أسـتاذنا الدكتـور/ عبـد اللطيف إبراهيم بعنوان: دراسات في الكتب والمكتبـات الإسلامية ، وهي دراسة مـوثقة من الوثائق العربية، وقد نشـرتها دار الشعب بالقاهرة عام 1961، ولذلك فهي من الدراسـات الجادة والقيـمة التي تعكس لنا صـورة المكتبات في العـصر المملوكي.

- كما توجيد كثير من الدراسات المنشورة خارج المنطقة العربية ويحتاج حصرها إلى ببليوجرافيا كاملة، لكن يمكن التوصل إليها من خلال المرجع التالي : Index Islamica .

- وهو دليل أو كشاف بالبحوث والدراسات المتصلة بالشرق الإسلامي، في كافة المجالات .

أما نشر الكتب قديمًا فكان يعتمد فيه على الوراقة وكانت مهنة معتبرة قام بها العلماء ورجال الفكر من أمثال الإمام مالك والجاحظ وابن النديم صاحب الفهرست .

ولم تكن الوراقة تقتصر على نسخ الكتب بل كانت مهمتها العناية بجانب النسخ بالتصحيح والتجليد ونقد الكتب والبحث عنها وتسويقها بل وإعارتها لمن يشاء، كما بدأت الوراقة في كتابة رسائل السلطان والسجلات المختلفة في الدواوين .

وكان للوراقين في الأمصار دكاكين ومراكز يتجمعون فيها، وقبل ذلك كانوا يجلسون في صحن المسجد ويكتبون ما يطلبه طلاب العلم نظير دفع مبلغ كأجرة مقابل نسخ ما يكتبونه .

وكان من الوراقين ما اكتسب شهرة في سرعة الكتابة، أو حسن الخط، أو العلم، أو كل هذه الصفات : ولذلك كان طلاب العلم يقصدون دكاكين الوراقين لإنجاز احتياجاتهم من الكتب في ذلك الزمان، حيث نعدم وجود طباعة أو تصوير أو آلات تيسر لهم تكرار النسخ، وحيث صعوبة المواصلات واعتمادهم على وسيلة النقل التقليدي بالدواب. لذلك كانت الكتب تتداول في أضيق الحدود وفي وقت لا يتسم بالسرعة التي نشاهدها في أيامنا الحالية .

وقد فصل العلامة ابن خلدون اختصاصات الوراقة في مقدمته لتاريخه، وجدد تاريخ نشأة هذه المهنة وتطورها في الشرق والمغرب الإسلامي .

لذلك فإننا نستطيع أن نقول إن الوراقين لعبوا دورًا هامًا في نشر وتسويق وظهور الكتاب الإسلامي، بل وفي تحقيق النصوص ونقدها، وخاصة النصوص التي يمكن أن يحدث فيها خلاف، وبقدر شهرة الوراق بقدر الكتب التي كان يجمعها ويوفر المراجع لطلاب العلم .

أما عن نشر الكتاب حديثًا فقد اجتهد بعض الباحثين من المستشرقين والعرب[1] في وضع قواعد لنشر النصوص ونقد الكتب .

---

(1) كان أول من ألف في هذا الفن المستشرق الألماني الدكتور / برجستراس في محاضرات ألقاها على طلبة =

ومن قواعد النشر الحديث للكتب في مجال التراث هو دراسة ما يتعلق بالنسخ وترتيب الروايات المختلفة للكتاب بعد جمعها، كما يدخل في هذه القواعد معرفة الدقة والأسلوب والشكل والأحجام وما قد يحدث من أخطاء وتحريف أثناء الكتابة، ثم تأتي إلى العمل النهائي في النشر وهو إظهار النص في شكل مطبوع مع اعداد الكشافات اللازمة له أو ما سماها برجستراس في كتابه بالفهارس، أي الكشافات الخاصة بآيات القرآن والأحاديث النبوية وغير ذلك من الكشافات التي تتصل بأسماء الأعلام من الأفراد والمدن والحوادث التاريخية[1] .

= الماجستير بقسم اللغة العربية في كلية الآداب بجامعة القاهرة عام1931 ، وهي منشورة حاليا عن طريق هيئة الكتاب في مصر1969 ، وهي بعنوان: محاضرات في نقد ونشر النصوص .

- وبعد ذلك تحدث الدكتور / محمد مندور بإيجاز عن قواعد نشر النصوص الكلاسيكية ، عند نقده لكتاب «قوانين الدواوين» لابن مماتي، في العددين 277 ، 280 من مجلة الثقافة، القاهرة،1944 ، وأعاد نشر المقالين في كتابه « في الميزان الجديد» والذي صدرت طبعته الأولى في العام نفسه .
- وبعد ذلك أخرج المستشرقان الفرنسيان بلاشير وسوفاجيه، تحت رعاية جمعية « جيوم بودة» كتبًا بالفرنسية في هذا الموضوع تحت عنوان «قواعد نشر النصوص وترجمتها ».
- ولكنها كتب لا تشتمل إلا على قواعد مختصرة، ينقصها أمثلة توضحها من المخطوطات القديمة ، وقد صرفا جزءًا كبيرًا من الكتابة للعناية بقواعد ترجمة الكتب العربية إلى الفرنسية .
- وعندما أراد المجمع العلمي العربي بدمشق، نشر «تاريخ مدينة دمشق»، وضعت اللجنة قواعد موجزة للنشر، في مقدمة الجزء الأول منه الذي نشر في دمشق سنة 1951 م .
- وعندما نشر الدكتور إبراهيم بيومي مدكور «كتاب الشفاء» لابن سينا وضع له مقدمة تحدث فيها عن بعض قواعد النشر ص38 - 42 ، القاهرة، 1953م.
- وأخيرًا نشر الأستاذ/ عبد السلام هارون كتيبًا في هذا الموضوع بعنوان «تحقيق النصوص ونشرها» القاهرة،1954 ، وهذا الكتاب كما يذكر مؤلفه في مقدمته هو ثمرة كفاحه وتجاربه في نشر النصوص القديمة . وهو مجهود لا بأس به ولكنه مع ذلك لم يحط بالموضوع، وقد أعيد طبعه سنة1965
- ونشر الدكتور/ صلاح المنجد «قواعد تحقيق النصوص» في الجزء الثاني من المجلد الأول من «مجلة معهد المخطوطات العربية» بالقاهرة، 1955 ص 317 - 337 ، أشاد فيها بفضل المستشرقين . وسبقهم في وضع أسس هذا العلم ، وقد استقى الدكتور / المنجد القواعد التي ذكرها في مقاله من نهج المستشرقين الألمان، ومن خطة جمعية جيوم بوده الفرنسية، ومن قواعد المحدثين والقدامى في ضبط الروايات ، ومما نشر في هذا الموضوع من قبل .

(1) برجستراس : أصول نقد النصوص – ص 117- 132 .

ونظرا لما يحدث من أخطاء أثناء نشر الكتب في أيامنا الحالية فقد اتجه فكر الباحثين إلى تصوير الكتاب الإسلامي بوسائل التصوير الحديثة وإضافة التعليقات في الهامش أو في جزء منفصل ملحق بالكتاب الأصلي حماية لنصوص الكتاب من الأخطاء التي يمكن أن تحدث أثناء إعادة النشر[1] .

بل إن الباحثين يرون نشر النسخ الأخرى من الكتاب بحيث يتم ذلك في وجود التعليقات أو في عدم وجود التعليقات وهي تعتبر بدائل طيبة خاصة إذا كان الخط المكتوب به الكتاب واضحًا وتسهل قراءته .

أشكال الكتب الإسلامية :

يقصد بالشكل Forms أو الأنماط التي تصدر عنها المادة العلمية. والمتتبع لتطور الثقافة والفكر الإسلامي يجد أن أشكال الكتب الإسلامية تعددت وتنوعت فمن ذلك :

1- **الإملاءات :** وهي ما كان يحدث في مجلس الشيخ أو العالم أو الأستاذ في صحن المسجد أول مدرسة في الإسلام وفيما بعد في المدارس النظامية، وهذه تأخذ حجمًا صغيرًا قدر ما يمليه الأستاذ، وقد ظهرت كتب في فنون ومجالات مختلفة مثل : إملاءات أو أمالي أبي علي القالي وغيرها .

2- **المختصرات** : وهي ظاهرة انتشرت في أوساط المجتمع الإسلامي والعلامة ابن خلدون، في مقدمته المشهورة[2] كتب عنها وهو غير راض عنها تمامًا : «ذهب كثير من المتأخرين إلى اختصار الطرق والأنحاء في العلوم، يُولعون بها ويعدون منها برنامجًا مختصرا في كل علم يشتمل على حصر مسائله وأدلتها باختصار من الألفاظ وحشو القليل منها بالمعاني الكثيرة في ذلك الفن، وصار ذلك مخلاً بالبلاغة وعسرًا على الفهم، وربما عمدوا إلى الكتب الأمهات المطولة منها الفنون للتفسير والبيان، فاختصروها تقريبًا للحفظ كما فعل ابن الحاجب في الفقه وأصول الفقه، وابن مالك في العربية والخونجي في المنطق

---

(1) المرجع السابق : نشر الكتب بطبع الصور الشمسية لمخطوطاتها ص 112-114 .

(2) مقدمة ابن خلدون : . تحقيق على عبد الواحد، طبع دار الشعب ص 508 .

وآمثالهم. وهو فساد في التعليم وفيه إخلال بالتحصيل »[1] .

وابن خلدون يعتد برأيه في كثيـر من المواطن التي تتصل بالفكر الإسلامي، وهو كان موجودًا في القرن الثامن والتاسع الهجري 732 - 808 هـ .

وارتحل إلي مصر وبلاد إسـلامية وإفريقـية وشغل عدة مناصب دينيـة هامة تجعل من آرائه موضع ثقة واحترام .

ويهمنا أن نعلم أن المختصرات نمط وشكل من أشكال الكتابة والتأليف في الإسلام.

3- **التـأليـف الموسوعي** :ونحن قصـدنا إلى ذلك في التسمـية والبعض يطلق عليـها أحيانا اسم الموسوعات وكانت ظاهرة واضحة في الكتب الإسلامية[2] .

وإذا كانت الموســوعات التي ألفت ووصلت إلينا لا تشبـه الموسوعات الحـالية إلا أن واضعيها كانوا يهدفون إلي غايات أساسية منها :

حفظ المادة العلمية خوفًا عليها من الـضياع، لذلك رأينا في كتاب صبح الأعشى في صناعة الإنشا للقلقشندي ت 821 هـ ما يفيد ذلك . وخاصة أن فقد الكتب والتراث عانت منه الأمة الإسلامية على مدار تاريخهـا الطويل بسبب الفتن الداخلية والخلافات المذهبية بين المذهب السني والمذهب الشيعي، والحروب الأهلية والحروب الصليبـية وحملات التتار وغير ذلك .

لكن هناك من الأسباب الـتي دفعت العلماء إلى التوسع في التـأليف ككثرة المعارف

---

(1) المرجع السابق : فصل في أن كثرة الاختصارات المؤلفة في العلوم مخلة بالتعليم .

(2) حصل الزميل احمد على تاج على رسـالة ماجستير من قسم الوثائق والمكتبات بكليـة الآداب، جامعة القاهرة حول الموسوعات العربية.

- كما نجد المراجع التالية حول ظاهرة التأليف الموسوعي في الإسلام .
- عثماد أمين : الموسوعات العربية - القاهرة : مطابع الشعب ،1959 .
- محمد عبد السـلام كفافي: الأدب الموسوعي عند العرب - مجلة الكتاب العربي ، ع 46 ، 1969 .
- أحمد زكي : موسوعات العلوم العربية - القاهرة .

والمعلومات التي أصبحت تشتمل على معارف الحضارات الأخرى التي دخلت الإسلام بجانب المعرفة الدينية وجدنا العلوم العقلية الأخرى الناتجة عن حركة النقل أو الترجمة أو التعريب.

يتردد كثيرًا بين أوساط المثقفين الصينيين أنه كانت لهم موسوعات قبل الميلاد، ونحن - كعرب - نعترف بفضل الآخرين علينا .

والعرب لم ينقلوا من غيرهم نقلاً مباشرًا إنما كان التأليف الموسوعي عندهم خلاقًا ومبدعًا .

ومن هذه الموسوعات على سبيل المثال لا الحصر :

1- الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر (ت 255 هـ) في كتبه الحيوان ، البيان والتبيين، البخلاء .

2- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم سنة (276 هـ) في كتابه «عيون الأخبار» فهو قد تناول ألوانا شتى من المعارف مما وقف عليه من كلام القدماء وسيرهم وجعله في عشرة أجزاء مرتبة كالآتي :

1- كتاب السلطان	2- كتاب السؤدد
3- كتاب الحرب	4- كتاب الطبائع
5- كتاب العلم	6- كتاب الزهد
7- كتاب الإخوان	8- كتاب الحوائج
9- كتاب الطعام	10- كتاب النساء

3- ويشهد النصف الثاني من القرن الرابع الهجري عملاً جماعيًا في مجال التأليف الموسوعي العربي تمثل في :

رسائل إخوان الصفا، وإخوان الصفا جماعة من الشيعة أو الشيعة الباطنية أو الإسماعيلية أو هما معًا، واتخذت البصرة مقرًا لها، وكانوا يطلقون على أنفسهم إخوان

الصفا لأن غاياتهم إنما كـانت السعي إلي سعادة نفـوسهم، ورسائلهم هذه عرفت بـاسمهم وهي عبارة عن اثنتين وخمسين رسالة كتـبت بأسلوب سهل فيه تكرار وحض على الفضيلة وفيه خلط بين الفلسفـة التقليدية والعلوم الرياضية والتنجيم وخـرافات أشبه بحكايات ألف ليلة وليلة وكليلة ودمنه .

وهذه الرسائل تمثل مجموعة من المعارف التي كانت معروفة آنذاك وتعكس في ثناياها ثقافة العصر بصورة واضحة .

4- وفي منتـصف القرن السـابع الهجـري، أخذ الفكر الموسـوعي عند العرب ينـمو ويتسع فـي مصر التي هرع إليـها العلمـاء من مخـتلف الأقطار العربيـة خوفًا من التـتار، فأصبحت مصر بذلك مركزًا للثقافة العـربية الإسلامية، وشهدت نهضة علمية فكرية كُلّلت بظهور عدد من الموسوعات التالية :

1- نهاية الأرب في فنون الأدب		للنويري .

2- صبح الأعشى في صناعة الإنشا		للقلقشندي .

3- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان		بدر الدين العيني .

4- مفتاح السعادة ومصباح السيادة		طاش كبرى زاده .

4- الأشكال الأخري من تأليف الكتب الإسلامية :

بجـانب الآمالي والمختـصـرات والموسوعـات والتي كـانت تمثل ظاهرة واضحـة في التأليف في الحضارة العربية الإسلامية وجـدنا أشكالاً أخرى تستحق أيضًا دراستها والوقوف عندها، فهي مظاهر حضارية كبيـرة تؤكد دور العرب والمسلمين في تواصل الحضارات فمن ذلك :

التأليف المعجـمي، وحضارة العرب أسبق الحضـارات قاطبة في هذا الفن، ونحن لا نقول ذلك تعصبًا إنما هو الواقع بعينه ، فمعجم الخليل بن إبراهيم الذي ظهر في بداية القرن

الثاني الهجري هو أول عمل متكامل للعرب، وهو معجم العين. الأصلي والزائد أمام كل لفظ تذكر لغته الأصلية ومعناه وأمثلة على استعماله في هذا المعني[1] .

ومن أشكال التأليف في الكتب الإسلامية، الشروح ، وهذه الشروح غالبا موجودة حول المتون. إلا أنها ظاهرة واضحة في أشكال الكتب الإسلامية .

كما نجد أيضا الأطالس ، والأطالس أجاد فيها العرب خير إجادة كما تزخر المكتبة الجغرافية بكتب الرحلات، ومن أهمها رحلة ابن فضلان إلى منطقة نهر الفولفا سنة (310 هـ- 922م) ورحلة أبي دلف الخزرجي سنة (331 هـ- 1942 م) إلى تركستان والصين والتبت والهند وباكستان ، ورحلة إبراهيم بن يعقوب العالم الأندلسي إلى ألمانيا وأوربا الوسطى وما يسمى الآن بلغاريا وبولنده، وجيكوسلوفاكيا وساحل فرنسا وهولندا وأعظم الرحلات شهرة رحلة ابن جبير ورحلة ابن بطوطة .

وبجانب الخرائط والأطالس وكتب الرحلات، نجد كذلك المعاجم الجغرافية ، وكذلك كتب الجغرافية الوصفية، وهو العلم الذي يتناول وصف البلدان المختلفة وبيان طبيعتها، ومصادر ثروتها وصيانتها وحياتها الاقتصادية وأحوال سكانها، وفي الجغرافية البحرية نجد مؤلفا وعالما هو الملاح ابن ماجد الذي أرشد الرحالة البرتغالي فاسكو داغاما في رحلته من سواحل كينيا إلى الهند سنة 1498 م .

---

(1) من المراجع حول المعاجم العربية :

- أحمد عبد الغفور : مقدمة الصحاح ومدارس المعجمات العربية . القاهرة ، دار الكتاب العربي، ص 370 .
- حسين نصار: المعجم العربي نشأته وتطوره - القاهرة : دار الكتاب العربي ، 2 ج .
- عدنان الخطيب: المعجم العربي بين الماضي والحاضر - القاهرة : مطبعة النهضة ، 1967 .
- عبد الستار الحلوجي : مدخل لدراسة المراجع - القاهرة : دار النظام ، 1974 .
- الخليل بن أحمد : العين ، تحقيق عبد الله درويش - بغداد. مطبعة العلى ،1967 .
- وجيدر : ررق غالي : المعجمات العربية : ببليوجرافية شاملة مشروحة - القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ،1970 .
- يوسف سركيس : معجم المطبوعات العربية والمصرية - القاهرة : مكتبة سركيس ، 1928 6 جـ × 6 مج .

وهكذا نجد أن أنماط التأليف والكتب الإسلامية متعددة من خلال استعراضنا لأنماط التأليف الجغرافي [1] وغيره من أنماط الكتب في المجالات الأخرى .

ويطول بنا المقام لو تعرضنا لأشكال أخرى من مجالات التأليف في الكتب الإسلامية، فنحن أمام فيضان هائل في كافة مجالات المعرفة البشرية .

---

(1) حول الفكر الجغرافي وأنماط الكتب الإسلامية فيه يرجع إلى :

- نفيس أحمد : الفكر الجغرافي في التراث الإسلامي - الكويت 1978 .
- زكي محمد حسن : الرحالة المسلمون في العصور الوسطي . القاهرة :1945 .
- حسين بترنو : تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، مدريد :1967 .
- اغناطيوس بوليان توفتش كراتشكوفسكي : تاريخ الأدب الجغرافي العربي (الترجمة العربية) .
- جزءان ، ترجمة - صلاح الدين عثمان هاشم - القاهرة 63 / 1965 م.

الفصل الثامن

روائع التراث الإسلامي



روائع التراث الإسلامي

الفهرست لابن النديم

مقدمة :

سوف تكون من مهمة هذه الدراسة إبراز الجـوانب الفنية في مرجع ومصدر في نفس الوقت من مراجع ومصادر تراثنا الإسلامي.

وسوف أقدم في بداية الدراسة حياة ابن النديم ثم كـتابه الفهرست وبعد ذلك منهجه في تأليف هذا الكتاب .

ولا شك في أننا استفدنا كثيرًا من هذا المرجع، ولهذا لا بد من دراسته وإعطائه حقه في البحث والتدقيق بعثا لتراثنا الإسلامي الأصيل .

ابن النديم :

هو محـمد بن إسحق بن يعـقوب بن النديم البغـدادي الوراق، ويكني بأبي الفرج، تكاد تكون سيرته مجهولة، فـلسنا نعرف تاريخ ميلاده ولا تاريخه العلمي ولا مكان ولادته ونشأته وارتحاله . . إلخ. وكل ما نعـرفه أنه كان وراقا ينسخ الكتب ويبيعهـا ببغداد ، وقد انتهى من تأليف كتابه «الفهرست» في سنة 377 هـ[1] .

وكما ورد في نص مقدمته لهذا الفهرست : رب يسر برحمتك .

النفوس ـ أطال الله بقاءك ـــ تشرئب إلى النتائج دون المقدمات. وترتاح إلى الغرض

---

(1) الفهرست لابن النديم ، طبعة فلوجل 1871 م ، وكذلك طبعة المطبعة التجـارية بالقاهرة، ويبدو أن كثيرًا من القراء أضافـوا إلى النسخة الأصلية إضـافات كثيرة ولكن الظاهر لنـا حتى الآن أن الأمر يحتاج إلى مـراجعة النسخ المتوافرة من الفهرست وإعادة دراسة الموضوع بدقة .

المقصود دون التطويل في العبارات . فلذلك اقتصرنا على هذه الكلمات في صدر كتابنا هذا إذ كانت دالة على ما قصدناه في تأليفه إن شـاء الله فنقول وبالله نستعين وإياه نسأل الصلاة على جميع أنبيائه وعباده المخلصين في طاعته، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

هذا فهرست كتب جميع الأمم من العرب والعـجم الموجود منها بلغة العرب وقلمها في أصناف العلوم وأخبـار مصنفيـها وطبقات مـؤلفيهـا وأنسابهم وتاريخ مواليـدهم ومبلغ أعمارهم وأوقات وفاتهم وأماكن بلدانهم ومناقبـهم ومثالبهم منذ ابتداء كل علم اخترع إلى عصرنا هذا وهو سنة سبع وسبعين وثلثمائة للهجرة »[1] .

واضح أن ابن النديم كان موجودًا حتي (عام 377 هـ). وكما ذكرت فإنه كان وراقا ، والوراقة[2] حرفة وهي كـما يعرفها ابن خلدون عملـية «الانتساخ والتصحـيح والتجليد وسائر الأمور الكتبية والدواوين »[3] .

«ونستطيع أن نقول إن الوراقة هي عملية النشر والتحقيق بكل ما تستتبعه من تصحيح وتجليد وتوزيع. أما حوانيت الوراقين فكانت تقوم مـقام دور النشر في عصرنا هذا، وكانت تقـوم إلى جانب ذلك بما تقـوم به المكتبـات الآن من بيع الورق والأدوات المكتـبية كـالمداد والأقلام، وكانت متمركزة في المراكز الحضارية، وفي مقدمتها عاصمة الخلافة بغداد»[4] .

وقد وجد ابن النديم في عـصر نشاط فكري هائل وكبـير، عصر التأليف والتـرجمة وانتشار صناعة الورق والذي صنع في أواخر القرن الثامن للميلاد .

وعلى ذلك فإن هذه «المظاهر الثـلاثة»: التأليف والترجـمة وحركة النشـر أو الوراقة ساعدت على ظهور علماء من أمثال محمد بن إسحق النديم، وأبو حيان التوحيدى»[5] .

---

(1) الفهرست لابن النديم ط ، فلوجل ص 2 .

(2) حول موضوع الوراقة انظر محمد القبيسي : الوراقة والوراقون في كتابه · تدوين القرآن الكريم : الوثيقة الأولي في الإسلام، بيروت: دار الأفاق الجديدة : 1981 ، ص 61 - 66 .

(3) مقدمة ابن خلدون: تحقيق علي عبد الواحد وافي . ص962 .

(4) محمد القبيسي : المرجع السابق ذكره ص 63 .

(5) نفس المرجع السابق ص64 .

وهكذا نعلم الكثير عن العصر الذي عاشه ابن النديم في أواخر القرن الرابع الهجري، وأنه وجد في ظروف مناسبة ليخرج لنا كتابه الكبير «الفهرست» .

وقد ورد نصًا في الفهرست في طبعة فلوجل: « . . . أبو نصر بن نباتة التميمي من شعراء سيف الدولة وتوفي بعد الأربعمائة »[1] .

ويمكن أن نفهم أن ابن النديم وجد بعد عام 400 هـ، ولا نملك نصًا في كتب التراجم حول التاريخ المحدد لوفاة ابن النديم .

أهمية الفهرست :

1- يعتبر الفهرست من الكتب التي استفاد منها الكثيرون ويستفيد منه الأجيال الحالية من العلماء والباحثين في كافة العلوم والمعارف، فهو يعتبر موسوعة أو دائرة معارف كبيرة[2] إن جاز لنا استخدام هذا المصطلح .

ومما يحمد لابن النديم أنه تكلم في بداية بعض المقالات والفنون بأسلوب العالم الفاحص وكتب لنا معلومات كثيرة تفيدنا وتغنينا حول الموضوعات التي عالجها. وخاصة فيما يتعلق بالمقالة الأولى والتي تناولت لغات الأمم من العرب والعجم ونعوت أقلامها وأنواع كتاباتها وأشكال خطوطها. والشرائع المنزلة على مذاهب المسلمين ومذاهب أهلها. ثم القرآن الكريم .

2- الكتاب مرجع ببليوغرافي [3] للكتب التي وردت به. ففي المقالة الرابعة على سبيل المثال الخاصة بالشعر والشعراء يقول ابن النديم:

« قال محمد ابن إسحق غرضنا في هذه المقالة أن نبين عن ذكر صناع أشعار

---

(1) الفهرست ، ط . فلوجل ص 169 ، المقالة الرابعة ، الشعر والشعراء .

(2) التاليف الموسوعي عند العرب في : مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم لطاش كبرى زاده، تحقيق كامل البكري وعبد الوهاب أبو النور. القاهرة : دار الكتب الحديثة ص 35- 43 .

(3) كلمة ببليوجرافي من ببليوجرافيا Bibliography وتعني فنيا العلم الذي يحصر ويجمع مع الانتقاء أو التحليل أو الشرح المصادر حول موضوع معين، مع الوصف المادي للوثائق أو المصادر .

القدماء وأسماء الرواة عنهم ودواوينهم وأسماء أشعار القبائل ومن جمعها وألفها ونذكر في الفن الثاني من هذه المقالة، ويحتوي على أشعار المحدثين. مقدار حجم شعر كل شاعر والمكثر منهم والمقل والله يعين على ما ألزمناه نفوسنا من ذلك بمنّة لطفه »[1] .

وهو بذلك يهتم بأهم عناصر الوصف الببليوغرافي للوثائق :

(أ) المسئول عن الشعر، أو تعيين شخصية المؤلف هنا. وهو صانع الشعر والرواة عنهم وبعد ذلك .

(ب) التوريق أى عدد الصفحات والأوراق[2] فمن ذلك ما ذكره ابن النديم: «أسماء جماعة من الشعراء المحدثين ممن ليس بكتاب بعد الثلثمائة إلى عصرنا هذا .

مدرك بن محمد الشهباني مائتا ورقة، أبو بكر بن العلاف وعمل شعره بعض أهله مع أخباره مع من مدحه ومقداره أربعمائة ورقة، أبو طاهر سندول بن حبيبة واسطي جيد الشعر خمسمائة ورقة . . . »[3] .

وحول أهمية الكتاب الببليوجرافي. كذلك أنه حصر لنا كافة الكتب المؤلفة والمترجمة من العجم إلى العربية وقدمها لنا في كتابه هذا القيم. وهذا يذكرنا بما يصدر من ببليوجرافيات تجارية هذه الأيام والمنشورة خارج البلاد العربية [4] لحصر كل ما يؤلف ويترجم إلى اللغة الإنجليزية مثلاً أو الفرنسية أو غيرها من اللغات، فكأن ابن النديم الببليوجرافي سبق علماء الببليوجرافيا المعاصرين .

وأهمية الفهرست الببليوجرافية [5] لا يمكن حصرها وإنما اقتصرت على بعض

---

(1) ابن النديم : الفهرست ط . فلوجل ص 157 .

(2) نفس المرجع ص 163 - 172 .

(3) الفهرست ط فلوجل ص 163 .

(4) وعلى سبيل المثال :

Subject Guide To Books in print

Commulative Book Index

British Books in print

(5) انظر الدراسة التي نشرت في مجلة «العربي » بالكويت حول أهمية الفهرست كأداة ببليوجرافية .

جوانب فمن ذلك أيضًا، ما ذكره في الفن الثالث من المقالة الأولى. في الكتب المؤلفة في لغات القرآن: . . « كتاب لغات القرآن لابن دريد لم يتم »[1] .

وكان ابن النديم فوق ذلك دقيقًا حريصًا على أن يورد بيانات الكتب بعد التأكد من الكتب في حدّ ذاتها ورؤيتها. فهذا الحديث عن جابر ابن حيان وأسماء كتبه في المقالة العاشرة والتي موضوعها الكيميائيون والصنعويون :

«له فهرست كبيرة يحتوى على جميع ما ألف في الصنعة وغيرها وله فهرست صغير يحتوي ما ألف في الصنعة فقط ونحن نذكر جملاً من كتبه رأيناها وشاهدها الثقات فنذكرها هنا . . . . »[2] .

3- وحول أهمية كتاب ابن النديم كذلك بجانب موسوعيته في معالجة الموضوعات وفي تناوله للوصف البيبليوغرافي لمصادر التراث الإسلامي. نجد أنه مرجع هام ــ يمثل أساسًا ــ مصدرًا للترجمة المتخصصة للعلماء المسلمين وغيرهم من غير المسلمين ممن استفاد منهم المسلمون .

ولنأخذ على سبيل المثال المقالة السابعة [3] وهي تدور حول الفلسفة . نجد أنه بعد أن يتكلم عن مقدمات حول الفلسفة يذكر لنا أخبار أفلاطون وأرسطاليس وغيرهما من فلاسفة اليونان وكتبهم ثم يتكلم عن فلاسفة المسلمين بادئا بالكندي وكتبه. وهو عندما يترجم ويتكلم عن العلماء لا يتوسع كثيرًا وإنما يذكر اسمه بالتفصيل وما وصلنا من كتبه مع تصنيفها علميا ؛ ففي حالة «الكندي» نجد الآتي :

– أسماء كتبه الفلسفية[4] .

---

(1) الفهرست ط فلوجل ص 35 .

(2) نفس المرجع ص 355 .

(3) الفهرست ط فلوجل ص 238 - 303 .

(4) نفس المرجع ص 255 ، 256 .

- كتبه المنطقية [1] .
- كتبه الحسابيات [2] .
- كتبه الكريات [3] .
- كتبه الموسيقيات [4] .
- كتبه النجوميات [5] .
- كتبه الهندسيات [6] .
- كتبه الفلكيات [7] .
- كتبه الطبيات [8] .
- كتبه الإحكاميات [9] .
- كتبه الجدليات [10] .
- كتبه النفسيات [11] .
- كتبه السياسيات [12] .

---

(1) نفس المرجع ص 256 .
(2) نفس المرجع ص 256 .
(3) نفس المرجع ص 256 ، 257 .
(4) نفس المرجع ص 257 .
(5) نفس المرجع ص 257 .
(6) نفس المرجع ص 257 .
(7) نفس المرجع ص 258 .
(8) نفس المرجع ص 258 .
(9) نفس المرجع ص 259 .
(10) نفس المرجع ص 259 .
(11) نفس المرجع ص 259 .
(12) نفس المرجع ص 260 .

- كتبه الأحداثيات [1] .
- كتبه الأبعديات [2] .
- كتبه التقدميات [3] .
- كتبه الأنواعيات [4] .

وهذه الكتب الأخيرة تبرهن على أن ابن النديم لجأ إلى اختيار هذا العنوان ليدل على ما لا يمكن إدخاله تحت الموضوعات السابقة. وكما أنه يريد أن يقول : موضوعات في أفرع آخرى .

بعد ذلك نجد عنوان «تلاميذ الكندي ووراقوه» وهذا يدل على أن الكندي فيلسوف العرب كما سماه ابن النديم كان بحرًا من العلوم فلا غرابة أن يكون حوله تلاميذ ووراقون ينسخون له ما يريد ويصححون ويجلدون كتبه في الموضوعات التي حدثنا عنها ابن النديم.

ومن الموضوعات الحيوية التي تضيف أن الفهرست لابن النديم له بُعد جديد وأهمية خاصة ما نقله لنا من المؤلفات والمؤلفين في العصور الإسلامية الأولى والتي ترجمها المسلمون الأوائل إلى العربية في مجالات كثيرة من أهمها الفلسفة اليونانية والطب اليوناني والرياضيات الهندسية والنظم الإدارية الفارسية. هذه الحركة الهائلة من التعريب يمكن أن تكون موضوع دراسة وتحقيق ونظر نستشف منها أسباب تقدم المسلمين في تلك العصور الزاهية .

منهج ابن النديم فى الفهرست :

لقد سار ابن النديم في تأليف كتابه على منهج موضوعي سبق فيه غيره من الباحثين في عصرنا الحالي ليصبح رائدًا في التأليف الموضوعي الببليوجرافي لدي علماء المسلمين،

---

(1) نفس المرجع .
(2) نفس المرجع ص 260 .
(3) نفس المرجع ص 260 ، 261 .
(4) نفس المرجع ص 261 .

وهو في أفكاره قد برهن على أن المسلمين الأوائل كـانت لديهم أسس البحث العلمي والتي من أهمها الأمانة والدقة والتثبت في الأخبار والأحداث التي ينقلها لنا .

ويرى بعض البـاحـثين أن فـهـرست ابن النديم هو من أقـدم كـتب التـراجم ومن أفضلها[1] فلقد جمع فيه أسماء الكتب التي عرفها حتي أواخر القرن الرابع للهجرة. ورتبها حسب مواضيعها، ثم أثبتها تحـت أسماء مؤلفيها. وأسلوبه في التأليف أن يقدم الكلام في الفنون التي بوبهـا إلى أن يستكمل أبحـاثه، ثم يترجم للمـؤلفين ويسرد أسـماء مؤلـفاتهم جميـعها، سواء أكـانت كلها مما يتعلق بالفنـون التي يتحدث عنها أم لم تكن. وقـد يغفل الوفاة والزمن ويطيل في بعض التراجم ويختصر في بعضها الآخر. وقد يسترسل في وصف بعض الأشـياء كـما فـعل عند حديثـه عن مذاهب الصـابئة ، والمانوية، فـذكر عـاداتهم، وحفلاتهم، وآراءهم، وآلهتـهم، وزعماءهم، كما يظهر من مطالعـة الفهرس أن ابن النديم قد اعتمد على من تقدمه من العلماء الذين وضعـوا قوائم وفهارس للمترجمات والمؤلفات والخزائن، لا سيما تلك التي كانت زمن المأمون، وهو العصر الذهبي للأمة[2] .

كما يري بـاحثون كذلك أن منهج ابن النديم في الفـهرست لا يحمل فكرة فلسـفية وراء تصنيفه للكتب في مقالاته العشرة التـالية. كما يرون كذلك عدم وجود ترتيب تاريخي وراء هذا التقسـيم . ويذهبون إلى أن مثل هذا التصنيف للكتب في القرن العـاشر الميلادي والرابع الهجري سابق لأي من التقسيمات الغربية [3] بستة قرون على الأقل [4] .

---

(1) محمد أحمد خلف الله: دراسـات في المكتبة العربية - سرس الليان، مصر مركـز التربية الأساسية ، 1958، ص22 ، 23 .

(2) محمد أحمد خلف الله: المرجع السابق ذكره ، ص 22 - 23 .

(3) مثل .

Dewey Decimal Classification
Universal Decimal Classification
Library of Congress Classification
Bliss Classification
Colon Decimal Classification

(4) خالد الحـديدي : فلسفـة علم تصنيف الكتب كـمدخل لفلسـفة العلوم - القـاهرة: مكتبـة النهضة المـصرية ، 1969، ص118 .

ومهمـا يكن مـن أمر فإن التصـانيف التي وردت بعد ابن الـنديم في الدول الغربية مثل «ديوي» قـسمت المعرفـة إلى عشرة فـصـول أو شُـعب. وكـل فـرع إلى عشـرة فروع أخرى وهكذا، فـمما لا شك فـيه أن «ديوي» وغيـره من التصانيف الغـربية استـفادت من التـصانيف الإسـلامية الـسابقة لـزمانه سواء كـانت عمـلية كابـن النديم أو معـرفية مـثل الفـارابي[1].

وفيما يلي نقدم المقالات العشرة التي قسم ابن النديم كتابه فيها :

اقتصاص [2]

ما يحتوي عليه الكتاب وهو عشر مقالات ،

المقالة الأولى : وهي ثلاثة فنون .

الفن الأول : في وصف لغـات الأمم من العـرب والعجم ونعـوت أقـلامهـا وأنواع خطوطها وأشكال كتاباتها .

الفن الثاني : في أسماء كتب الشرائع المنزلة على مذاهب المسلمين ومذاهب أهلها .

الفن الثالث : في نعت الكتاب الذي لا يأتيه البـاطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، وأسماء الكتب المصنفة في علومـه وأخبار القراء وأسماء رواتهم والشواذ من قراءتهم .

---

(1) الفارابي : التنبيه على السعادة، ضمن مجموعة رسائل طبعة حيدر أباد، الدكن سنة 1346 هـ وانظر حول تصنيف العلوم عند العرب .

- حالد الحديدي ، المرجع السابق دكره ص 37 - 147 .

- مقدمة تحقيق مفتاح السعادة ومصباح السيادة .

- عبد التواب شرف الدين : دراسات في المكتبات والمعلومات - الكويت : ذات السلاسل، 1983 .

(2) اقتصاص هنا بمعنى بيان أو قائمة .

المقالة الثانية : وهي ثلاثة فنون، في النحويين واللغويين .

الفن الأول : في ابتداء النحو وأخبار النحويين البصريين وفصحاء الأعراب وأسماء كتبهم .

الفن الثاني : في أخبار النحويين واللغويين من الكوفيين وأسماء كتبهم .

الفن الثالث : في ذكر قوم من النحويين خلطوا المذهبين وأسماء كتبهم.

المقالة الثالثة : وهي ثلاثة فنون، في الأخبار والآداب والسير والأنساب .

الفن الأول : في أخبار الإخباريين والرواة والنسابين وأصحاب السير والأحداث وأسماء كتبهم .

الفن الثاني : في أخبار الملوك والكتّاب والمترسّلين [1] وعمال الخراج وأصحاب الدواوين وأسماء كتبهم .

الفن الثالث: في أخبار الندماء والجلساء والمغنين والصفادمة والصفاعنة[2] والمضحكين وأسماء كتبهم .

المقالة الرابعة : وهي فنّانِ ، في الشعر والشعراء .

الفن الأول : في طبقات الشعراء الجاهليين والإسلاميين ممّن لحق الجاهلية وصنّاع دواوينهم وأسماء رواتهم .

---

(1) وهم طائفة من الكتاب ممن يكتبون الرسائل للملوك والحكام والولاة .

(2) الصفادمة والصفاعنة، جماعة ممن كان لهم دور في تسلية الناس والترويح عنهم، وهذا في تصوري، لكن الأمر يحتاج إلى مزيد من البحث عنهم وعن أسمائهم فيما بعد من عصور تلت ابن النديم وفي أصل المصطلح رغم أن ابن النديم يذكر لنا كتبا في الصفاعنة .

الفن الثاني :في طبقات شعراء الإسلاميين وشعراء المحدثين إلى عصرنا هذا[1] .

المقالة الخامسة : وهي خمسة فنون ، في الكلام والمتكلمين .

الفن الأول : في ابتداء أمر الكلام والمتكلمين من المعتزلة والمرجئة وأسماء كتبهم .

الفن الثاني : في أخبار متكلمي الشيعة الإمامية والزيدية وغيرهم من الغلاة والإسماعيلية وأسماء كتبهم .

الفن الثالث : في أخبار متكلمي المجبرة والحشوية وأسماء كتبهم .

الفن الرابع : في أخبار متكلمي الخوارج وأحنافهم وأسماء كتبهم .

الفن الخامس : في أخبار السياح [2] و الزّهاد والعباد والمتصوّفة والمتكلمين عن الوساوس والخطرات وأسماء كتبهم .

المقالة السادسة : وهي ثمانية فنون، في الفقه والفقهاء والمحدثين .

الفن الأول : في أخبار مالك وأصحابه وأسماء كتبهم .

الفن الثاني: في أخبار أبي حنيفة النعمان وأصحابه وأسماء كتبهم.

الفن الثالث : في أخبار الإمام الشافعي وأصحابه وأسماء كتبهم .

الفن الرابع : في أخبار داود وأصحابه وأسماء كتبهم .

الفن الخامس : في أخبار فقهاء الشيعة وأسماء كتبهم .

---

(1) أي عصر ابن النديم وهو ما تحقق لنا في ترجمته نهاية القرن الرابع الهجري وأوائل القرن الخامس الهجري رغم أنه يحدد الفترة الزمنية لحصره هذا الإنتاج الفكري في مقدمة الفهرست، هذا فهرست .. منذ ابتداء كل علم اخترع إلى عصرنا هذا وهو سنة سبع وسبعين وثلمائة للهجرة .

(2) أي الذين يسيحون في البلاد وهم في تصوري نوع من المتصوفين والزهاد .

الفن السادس : في أخبار فقهاء أصحاب الحديث والمحدثين وأسماء كتبهم.

الفن السابع : في أخبار أبي جعفر الطبري وأصحابه وأسماء كتبهم .

الفن الثامن : في أخبار فقهاء الشراة وأسماء كتبهم .

المقالة السابعة : ثلاثة فنون ، في الفلسفة والعلوم القديمة .

الفن الأول : في أخبار الفلاسفة الطبيعيين والمنطقيين وأسـماء كتبهم ونقولها وشروحها والموجود منها وما ذكر ولم يوجد وما وجد ثم عدم[1].

الفن الثـانى : في أخبار أصـحاب التعاليم والمهندسين والارثمـاطيقيين[2] والموسيقيين والحساب والمنجمين وصناع الآلات وأصحاب الحيل والحركات .

الفن الثـالث : في ابتداء الطب وأخبـار المتطببين من القدماء والمحدثين وأسمـاء كتبهم ونقولها وتفاسيرها .

المقـالة الثـامنة : وهي ثلاثة فنون ، فـي الأسمـار والخـرافـات والعـزائم و السـحـر والشعوذة.

الفن الأول : في أخبـار المسامرين والمخـرفين والمصورين وأسمـاء الكتب المصنفة في الأسمار والخرافات .

الفن الثـانى : في أخبار المعزمين والمشعوذين والسحرة وأسماء كتبهم .

---

(1) لا شك في أن هذه العبارة تدل على عبقرية ابن النديم في اتخاذ كافة الاحتياطات للدقة في إثبات الكتب التي أوردها في الفهرست أمامنا في تصوره ثلاثة حالات من لقب هؤلاء الفلاسفة :

1- الموجود منها 2- ما ذكر ولم يوجد 3- ما وجد ثم عدم .

(2) وهو مـصطلح يدل على الذين يعـملون في مجـال الحسـاب والرياضـيات ولهـا شبـيـه بالكلمة الإنجليـزية ARITHMETIC التي تعني الحسـاب : والحساب فرع من الرياضيات .

الفن الثالث :في الكتب المصنفة في معانٍ شتي لا يُعرف مصنفوها ولا مؤلفوها .

المقالة التاسعة : وهي فنَّان، في المذاهب و الاعتقادات .

الفن الأول :في وصف مذاهب الحرانية الكلدانيين المعروفين في عصرنا بالصابئة ومذاهب التنوية من المنانية والديصانية والحرمية والمرقيونية والمزدكية وغيرهم وأسماء كتبهم.

الفن الثاني :في وصف المذاهب الغريبة كمذاهب الهند والصين وغيرهم من أجناس الأمم .

المقالة العاشرة :تحتوي على أخبار الكيميائيين والصنعويين[1] من الفلاسفة القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم .

هذا هوالتصنيف أو التقسيم للكتب التي جمعها ابن النديم، قسمها إلى مقالات والمقالات إلى فنون، وقدم لكل مقالة وفن بمباحث مختصرة عن الموضوع التي تعالجه المقالة أو الفن أحيانا وليس في كل المقالات، ثم يورد لنا الترجمات، أي أسماد من يريد ذكر كتبه وهو لا يطيل في الترجمة كثيرًا كما سبق أن ذكرنا، وابن النديم في الفهرست أصبح رائدًا في التأليف الموسوعي[2] وفي وضع أسس علم الببليوجرافيا، وفي المراجع التي تترجم للأفراد، بطريقة موضوعية لا إسهاب ولا تطويل وانما كان يقدم النتائج دون المقدمات والغرض دون التطويل في العبارات كما ذكر في مدخل فهرسته .

كما أن ابن النديم، في الفهرست كان رائدًا في مجال تقسيم العلوم وهو بدأ هذه الحلقة آو هذا الدور الهام الذي يعتمد على تقسيم العلوم تقسيمًا علميًا وعمليًامن خلال الكتب وسوف نجد بعد ابن النديم من يجعل تقسيم العلوم علمًا قائمًا بذاته لذاته، يقول طاشكبرى زاده :

---

(1) من كلمة صنعة ، وما بعدها يحدد المعني، والفعل صنع، وصنائع وصناع وصنعويين من الفلاسفة .

(2) انظر أحمد زكي : موسوعات العلوم العربية ، مقدمة تحقيق مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده، دائرة معارف البستاني· مادة الكلوبيديا .

"علم تقاسـيم العلوم هو علم باحث عن التدرج من أعم الموضوعـات إلى أخصّها ليحصل بذلك مجموع العلوم المندرجة تحت ذلك الأعم[1] .

وطاش كبرى زاده جاء بعـد ابن النديم في القرن العاشر الهجري ليـكمل مسيرة ابن النديم فيما بدأه من جهود .

---

(1) انظر مفتاح السعادة، نشر دار الكتب الحديثة . ص ب 424 .

الفصل التاسع

دور علماء العرب والمسلمين في استخدام الأرقام وأثر ذلك في الحضارة الإنسانية



تقديم :

أصبح موضوع استخدام الأرقام العربية من الموضوعات التي تحتاج إلى إبراز دور علماء العرب والمسلمين في تطوير هذه الأرقام وأثر ذلك في الحضارة الإنسانية . ويثور أحيانا بين أوساط المثقفين تساؤلات حول ما شكل الأرقام العربية، هل هي الأرقام الحالية .

١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ٠

أم الأرقام العربية المستخدمة في كافة أنحاء العالم وبعض دول المغرب العربي :

1 2 3 4 5 6 7 8 9 0

ولعل مصدر هذا التساؤل يدفعنا إلى دراسة نستجلي بها دور العرب في استخدام هذه الأرقام ، ونؤكد على الدور الحضاري لعلماء العرب والمسلمين في استخدام هذه الأرقام.

من أجل هذا لابد من تقسيم هذه الدراسة إلى الأقسام التالية :

أولاً : استخدام الأرقام عبر العصور .

ثانياً : استخدام الأرقام عند العرب .

ثالثاً : توصيات الدراسة .

أولاً : استخدام الأرقام عبر العصور :

الحضارة العربية الإسلامية، حضارة شأنها شأن كل الحضارات تتأثر بما سبقها من حضارات، وتترك بصماتها على ما يلحقها من حضارات .

والعرب يعترفون بفضل الحضارات السابقة، لهذا فإن الحضارة العربية الإسلامية لم تكن وليد صدفة، أو دون ترتيب سابق .

والرياضيات، ولنقل الحساب وبالتالي الأرقام بصفة محددة، كان للحضارات السابقة أثر واضح في الحضارة العربية الإسلامية .

وسوف أقدم شكل هذه الأرقام عبر العصور عند المصريين القدماء والبابليين، والصينيين ، والأغريقيين ، والرومانيين ، والهنود .

أ - المصريون :

اتبع المصريون القدماء في نظام عددهم النظام العشري المستقى من عدد أصابع اليدين، وهو النظام المتبع الآن، وكان هناك خانة الآحاد والعشرات والمئات إلخ، ووضع المصريون رمزًا خاصًا للواحد في كل مرتبة من المراتب، وكانوا يكررون هذا الرمز بمقدار قيمة الرقم في الخانة الخاصة به، وفيما يلي نوضح أشكال الأرقام عند قدماء المصريين، مع نموذج تطبيقي لذلك[1] :

لقد أجمع كل الكتاب الإغريق على أسبقية مصر في كشف العلوم الرياضية، فقد ذكر أفلاطون أن الإله توت بمصر كان مخترعًا لفنون عدة منها الحساب والهندسة والفلك، وقال أرسطو إن مولد الرياضيات كان بمصر لأن طبقة الكهنة كان لديها من الفراغ ما يسمح بدراستها، واستنتج هيرودوت بأن الهندسة بدأت بمصر ثم نقلت إلى الإغريق .

وأول مرجع كما يذكر لنا علماء تاريخ الرياضيات[2] ، لدى المصريين القدماء في مجال الرياضيات هو قرطاس أحمس، وقد عثر عليه ريند Rhind سنة 1858 وترجمه إيزنلور Eisenlohr سنة 1877 وهذب الترجمة بيت Peet سنة 1923، وهذا القرطاس من عهد الأسرة الثانية عشرة (1849 - 1801 ق. م)، ويعتقد برش Birch أن ما ورد به من معلومات يرجع إلى سنة 3400 ق. م. وقد أسماه مؤلفه (إرشادات للحصول على معرفة كل الآشياء القائمة).

---

(1) Joy, RR: shape and number, 1. London: Macmillan education 1976, pp. 10

(2) عبد الحميد لطفي، أحمد أبو العباس: تاريخ الرياضيات - القاهرة : المطبعة الأميرية، 1957 ، ص 7 .

1 2 3 4 5

6 7 8 9 10

100 1 000 10 000 100 000 1 000 000 10 000 000

كتابة الأعداد عند المصريين القدماء

كيفية كتابة سنة 1975

one thousand 1 — nine hundred 9 — seventy 7 — five 5

ويحتوي الـكتاب على خمســة أبواب ، وفيه 87 مسألة مــوزعة على هذه الأبواب الخمسة :

الباب الأول : العد وكتابة الأرقام .

الباب الثانى : القواعد الأربع .

الباب الثالث : الكسور .

الباب الرابع : المربع والجذر التربيعي وحل معادلات الدرجة الأولى والمتواليات .

الباب الخامس : الهندسة .

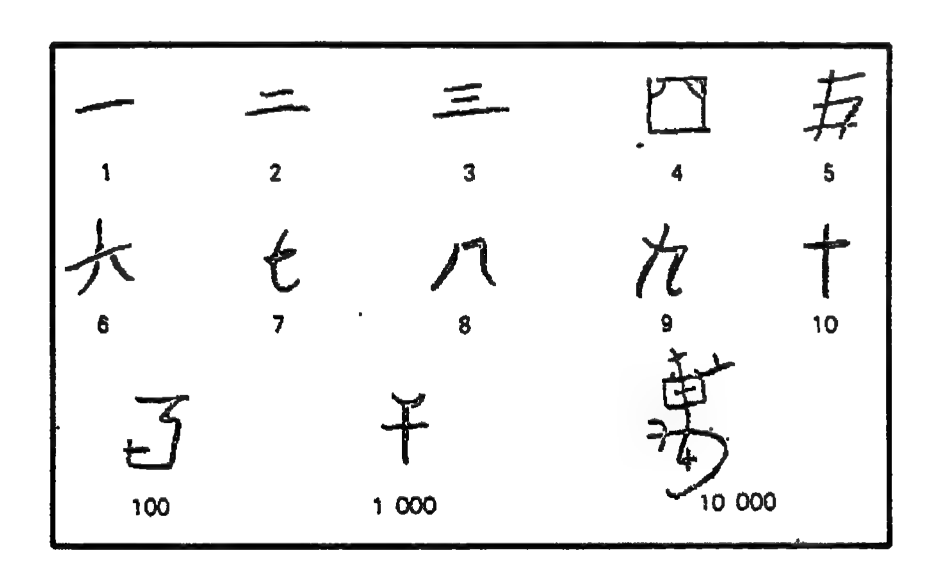
2- البابليون :

كان وادي الدجلة والفرات أحد عروش المجتمع الإنساني في العصور الأولى، وفيما يتعلق بتاريخ أول كشف للوحات رياضية وفلكية مكتوبة بالخط المسماري، كتبت إحداها بين سنة 2300 ق . و 1600 ق. م.

وفيما يتعلق، بالعد وكتابة الأرقام، استخدم البابليون الطريقة العشرية والطريقة الستينية، ولا توجد نماذج تحت أيدينا حاليا لتوضح شكل هذه الأرقام، ويري الباحثون أنه ربما يكون للبابليين تأثير في استخدام الهنود لنظام العد عندهم[1] .

3- الصينيون :

كان للصينيين الفضل في وضع أساس القيمة المحلية للرقم، أو الخانات، فمهدوا للهنود كشف الأرقام الهندية التي نستخدمها الآن، وفيما يلي نوضح شكل الأرقام الصينية :



(1) عبد الحميد لطفي، المرجع السابق ذكره 29 .

4- الإغـــــريق :

كان من نعم الله على الإغريق أن اتصلوا بالأمم القديمة اتصالاً تجـاريًا، فعرفوا فلسفة هذه الأمم وفنونهـا وأساطيرها، ولما نشطت الحـركة التـجارية بينهم وبين المصـريين حوالي القرن السـابع قبل الميلاد، نهلوا من مـعارف الكهنة المصريين، وبذلك نقلت الأفكار المصرية عبر البحار إلى بلاد الإغريق .

وقد كانت طريـقتهم في كتابة الأعـداد تشبه طريقة قـدماء المصريين، ثم استـخدموا الحروف الأبجدية ، ولذلك كان حسابهم معقدًا ، وفيما يلي شكل الأرقام عند الإغريق[1] :

شكل الأرقام عند الإغريق وتشـبه طـريـقـــــة المصـــــريـين القدماء.

I	Δ	H	X	M
1	10	100	1000	10 000
Γ	ΓΔ	ΓH	ΓX	
5	50	500	5 000	

كيفية كتابرة رقم 975

ΓH HHHH ΓΔ Δ Δ Γ

nine hundred — seventy — five

A	B	Γ	Δ	E	F	Z	H	θ
1	2	3	4	5	6	7	8	9
I	K	Λ	M	N	Ξ	O	Π	Ϙ
10	20	30	40	50	60	70	80	90
P	Σ	T	Y	Φ	X	Ψ	Ω	ϡ
100	200	300	400	500	600	00	800	900

نظام جديد من الأرقام باستخدام الحروف ويبلغ عددها 27 حرفا

(1) Joy. R.R,: shape and number 1, p 11..

5- الرومـــــان :

لقد كـانت طريق كتابة الأرقام عند الرومـان طريقة خمســية عشرية، دخلهـا الجمع والطرح، فالواحد يرمــز له بالأصبع أي بخط رأس، والخمسة يرمز لهـا باليد الواحدة ذات الأصابع الخمــسة، ولما كان الإبهام مــختلفًا عن باقي الأصابع فقد رســمت اليد هكذا V ، ورمز للعشرة باليدين، يد عليا وأخرى سفلى هكذا ثم اندمجت اليدان فأصبحتا X وهكذا. فالواحد يكــرر مرتين للاثنين، وثلاث مرات للثلاثة ، أمــا الأربعة فقد استــخدموا فيها الطرح، فاعتبروا 5 -1 أي خمسة يسبقها واحد أي Iv ، وكذلك في التسعة 1x وهكذا وفيما يلي شكل الأعداد عند الرومان [1] .

I	II	III	IV	V	VI
1	2	3	4	5	6
VII	VIII	IX	X		
7	8	9	10		
L	C	D	M		
50	100	500	1 000		

6- الهنـــــود :

لقد جعل الــهنود لكل رقم من الأرقام التسعــة الأولي رمزًا خاصًا به، واستــخدموه نفسه في الخانات الأخرى، وجعلوا رمزا عاشرا ليدل على خلو الخانة، أي على كون الخانة صفرًا، والصــفر معناه الخلو، ورمــزوا إليه بدائرة خالية، أو بهــا شرطة أفقيــة أو رأسية أو نقطة هكذا :



(1) 2.p2 .

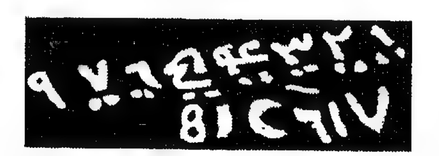
وقد آخذ العرب هذا النظام، وعدلوه ونقلوه إلى الغرب .

وكان يجاور الهند قوم ذكرهم ابن النديم وهم «أهل السند»، في كتابه الفهرست[1] . بأنهم مختلفو المذاهب ويقول: «بأن لهـم أقلام عدة قال لي بعض من يجول بلادهم إن لهم نحو مائتي قلم .

ولذا كان لابد للعرب من الحذر في اتبـاع النظام الأمثل في الترقيم، ولعل ابن النديم يقصـد بأهل السند في ذلك الزمان أهل الهند والسند وقـد أورد ابن النديم كذلك عن أهل السند طريقتهم في كتابة الأعداد بالحروف وفيما يلي نظام أهل السند :

وابتـداؤه (أ - ب - ج - د - هـ - و - ز - ح - ط) فـإذا بلغ إلى (ط) أعـاد الحرف الأول ونقطته تحته على هذا المثال :

فيكون (ي - ك - ل - م - ن - س - ع - ف - ص) يزاد عشرة عشرة فإذا بلغ إلى صاد يكتب على هذا المثال وينقط تحت كل حرف نقطتين هكذا :



(1)ابن النديم، محمد بن إسحاق: الفهرست، بيروت ، دار المعرفة ، 1978 ، ص 28 .

فيكون (ق - ر - ش - ت - ث - خ - ذ - ظ) فإذا بلغ (ظ) كتب الحرف الأول من الأصل وهو هذا (آ) ونقط تحته ثلاث نقط هكذا فيكون قد أتى على جميع حروف المعجم ويكتب ما شاء .

واضح أن الشكل الذي ورد في ابن النديم يشبه شكل الحروف المشرقية بكتابتها الحالية: (١ - ٢ - ٣ - ٤ ... إلخ) ولكن مع خلاف بسيط في شكل رقم (٤ - ٥).

وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على أن العرب والسند كانت لهم حروف أبجدية متشابهة ،في الوقت الذي تعتبر فيه السند والهند منطقة واحدة (جغرافية واحدة)، وذلك في التاريخ القديم .

ويمكن أن يكون العرب أخذوا شكل الأرقام كما ورد في ابن النديم ليصبح مع مرور الزمن شكلاً للأرقام المشرقية الحالية.

وإذا نحن قارنا الأرقام المغربية بالأرقام المشرقية لن نجد اختلافا كبيرا بينهما ويمكن كتابة الأرقام المغربية هكذا مقلوبة :

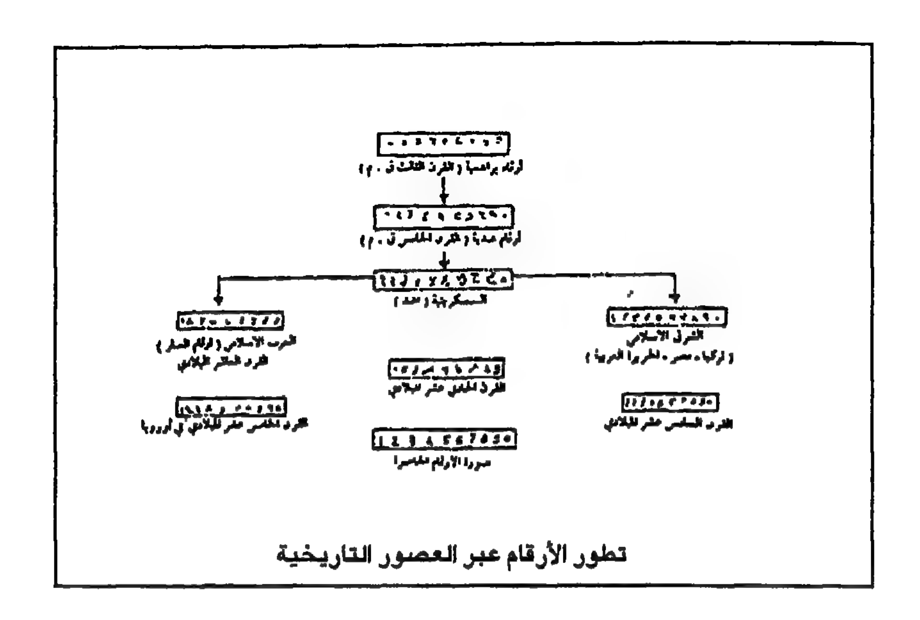
1 2 3 4 5
6 7 8 9

نري أن شكل (٢ -٣ - ٤ - ٥) يمكن اعتبارها شكلاً واحدًا للأرقام الشرقية مع إضافة خط واحد إليها .

أما رقم (١-٦-٧-٨-٩) فهي تشبه الأرقام المغربية .

والخلاصة أنه لا يوجد فرق كبير بين الطريقة المغربية والطريقة المشرقية، وهو ما سيتضح لنا في نهاية الدراسة .

أما شكل الحروف عند الهنود وتطورها إلى ما وصلت إليه الآن فيمثلها الشكل التالي:



تطور الأرقام عبر العصور التاريخية

ثانيًا : استخدام الأرقام عند العرب والمسلمين :

يرجع الفضل الأكبر لتعاليم الإسلام في اهتمام المسلمين بالرياضيات وكافة العلوم المختلفة ، وكانت هذه التعاليم ولا تزال تحض على العلم وطلبه «فالعلم فريضة على كل مسلم ومسلمة »، « واطلبوا العلم ولو بالصين»، كما توجه الأنظار إلى السموات وما فيها، وإلى الأرض وما عليها وتتطلب الأحوال الشخصية وما فيها من مواريث، والمعاملات التجارية وما فيها من عقود إلى أجل مسمى معرفة التقاويم، والأصول الحسابية والهندسية، كما تتطلب العبادات معرفة مواقيت الصلاة، وتعيين جهة القبلة، ومعرفة هلال رمضان، ووقت الحج. . إلخ، مما يقتضي تتبع حركة الشمس والقمر، كل هذا دعا إلى البحث وراء العلوم، وخصوصًا علم الفلك الذي يستلزم معرفة الرياضيات المختلفة من حساب وحساب المثلثات، وهندسة وجبر، وكل ما يمت بصلة إلى علوم الطبيعة وما وراءها [1].

---

(1) عبد الله طحطاح: إسهام علماء الإسلام في الرياضيات، عالم الفكر (الكويت) المجلد (11) ، العدد (2) ، أبريل - يونيو 1980 ، ص 283 - 312 .

كيف اتصل العرب بالحضارات الأخري ؟:

اتصل العرب بالإغريق عن طريق السريانيين في آسيا الصغرى، وبواسطتهم اتصلوا بمسيحيى الإغريق، وعن طريق الرحلات والأسفار، وعن طريق استدعاء الخلفاء لعلماء الإغريق، ونقلهم إلى اللغة العربية العلوم الإغريقية، كما اتصل العرب بالفرس والهنود، واتصلوا بهم اتصالا وثيقًا ، وبهذا تعددت ثقافات العرب وحضاراتهم. وفي أيام عثمان بن عفان ، كان اتصال العرب بالهنود، وفي أثناء فتح الحجاج الثقفي للسند، 710م، وفي أثناء فتح أبي جعفر المنصور لكابل وكشمير سنة 760 م.

ويري الباحثون [1] أن فضل العرب على الإنسانية كبير وذلك لما يلي :

1 - كانوا حفظة أمناء للكنوز العلمية الإغريقية ، وأبقوها سليمة مزدهرة، وأنقذوها من الرومان .

2- كانوا وسيلة لإظهار الكنوز العلمية الهندية التي ازدهرت في المشرق ، في الوقت الذي ازدهرت فيه العلوم الإغريقية في المغرب .

3- وصلوا بين العلوم الإغريقية والعلوم الهندية ومزجوا بينهما، وسلموها سليمة نقية إلى الغربيين حينما هبوا من سباتهم، وخلعوا عن أكتافهم رداء الخمول، ونزحوا إلى الأندلس حيث جامعات أشبيلية وقرطبة وغرناطة، وإلى غير الأندلس، باحثين وراء هذه العلوم، وتعلموا اللغة العربية، ونقلوا ما أخذوه من العرب إلى اللغة اللاتينية .

4- أضافوا إلى العلوم التي أخذوها فتوحات علمية زاهرة، وكشوفا قيمة جديدة نسبت لغيرهم، وظن أنها كشفت بعدهم ؟ .

---

(1) عبد الحميد لطفي : المرجع السابق ذكره، ص 64 وحول استخدام الأعداد أو الأرقام انظر كذلك :

- دائرة المعارف الإسلامية ، مادة حساب .

- الإقليدس ، أبو الحسن أحمد بن إبراهيم (341هـ): الفصول في الحساب الهندي / تحقيق أحمد سعيدان. عمان (الأردن): اللجنة الأردنية للتعريب والنشر والترجمة 1973 .

- ديتريش، البير: دور العرب في تطور العلوم الطبيعية . اللسان العربي (الرباط) العدد6 ، يناير 1969 ، ص 96- 105 .

ما هى قصة الأرقام العربية :

لا شك في أن العرب والمسلمين شأنهم شأن أصحاب الحضارات الأخرى يتأثرون بغيرهم ويؤثرون فيهم .

ولكن البعض يقع في الخطأ عندما يعتبر أن الأرقام العربية أرقاما هندية، أو أن الصفر ليس عربيًا ، أو أن الأصح أن تكتب الأرقام العربية هكذا .

١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ٠

وليس : 1 2 3 4 5 6 7 8 9 0 أو أن الصحيح الشكل الأخير وليس الأول .

وهذا يرجع إلى أن الأمور العلمية أصبح يختلط فيها الحابل بالنابل وأصبحت غير واضحة لكثير من الناس. ولكن القصة تبدأ عندما اطلع العرب على الأنظمة المختلفة للترقيم عند الشعوب التي أخضعوها والتي كانت تربط بينهم وبينها أواصر الصداقة، استحسنوا النظام الهندي، وكان عند هؤلاء أشكالا متعددة، فأخذ العرب وانتقوا منها ما رأوه مناسبا واكتفوا بطريقتين مختلفتين لكتابة الأرقام :

1- الطريقة المشرقية ، واستعملها عرب بغداد، وتطورت قليلاً حتي أصبحت الأرقام التي نستعملها الآن في مصر والعراق وسوريا ولبنان وفلسطين وبلاد العرب وهي : (١-٢-٣-٤-٥-٦-٧-٨-٩-٠) .

2- الطريقة المغربية واستعملها عرب الأندلس، وتطورت قليلاً حتي أصبحت الأرقام التي تستعمل الآن في بلاد المغرب وهي :

(1 2 3 4 5 6 7 8 9 0)

وقد أخذ الغربيون الطريقة المغربية عن طريق الأندلس. ولا يزال المغاربة الآن يستعملون طريقة أجدادهم في كتابة الأرقام، فلا يظن ظان بأنهم يكتبون الأرقام الإفرنجية، وإنما الفرنجة هم الذين يكتبون الأرقام عن الطريقة المغربية، ولا يزال الغرب يطلق على هذه

الأرقام اسم الأرقام العربية، بينما يطلق عليها العرب اسم الأرقام الهندية وغدا بعض الكتاب الغربيين يطلقون عليها اسم الأرقام الهندية العربية .

ما هي قصة الصفر لدى علماء المسلمين :

ينكر كثير من الباحثين أن يكون «الصفر» هنديا ، ويصر البعض الآخر على أنه عربي.

والواقع أن الصفر وغيره من الأرقام ليس في شكله بقدر ما هو في قيمته الوضعية، ويمكن بوساطتها أن نعبر عن أكبر عدد وأصغر عدد فيكفي أن نزيد في الأصفار عن يمين العدد ليكبر، وعن يمين مقام الكسر ليصغر .

ويرى بعض الباحثين أن شكل الصفر عند الهنود يكتب دائرة فيها نقطة هكذا ⊙ ، وكان ذلك في المدة الأخيرة، أي خانة خالية، وقد أخذ عرب المشرق النقطة وتركوا الدائرة، وأخذ عرب المغرب الدائرة وتركوا النقطة .

ويري البعض الآخر أن الحسّاب المسلمين كانوا يعرفون الصورة الإغريقية للصفر دائرة فوقها خط ويصل النساخ بين الدائرة والخط الذي فوقها فتصبح .

وعلى ذلك تصبح الصورة الكاملة للصفر لدى الإغريق هي ذاتها الصورة الهندية، وخاصة إذا علمنا أن التقليد الهندي لكتابة الأرقام كان يقتضي أن يوضع خط فوق الرقم وعلي الرغم من هذا ، وكما قلت في بداية الكلام عن الصفر إن العرب حددوا قيمة الصفر واستخدامه ، أما موضوع شكله، فهو نقل حضاري وقبل النقل فهو اختيار من متعدد، وتطويعه بالشكل الأخير ليصبح للعرب أرقام سواء كانت بالطريقة المشرقية أو بالطريقة المغربية .

ثالثًا : توصيات الدراسة :

بعد ما تأكد لنا أن العرب كان لهم الفضل الأكبر في نقل نتائج حضارات من سبقهم

إلي الإنسانية، وأن اهتمام العرب أنفسهم بما لدى الإغريق والهنود نبه الهنود إلى استخدام النظام الحسابي المطور في شكله العربي الأخير وعلى ذلك فإنني أرى وأوصي بالتوصيات التالية :

1- ينبغي ألا نتمسك بالشكليات ونقول أيهما أصح الطريقة الشرقية وهي :

١ – ٢ – ٣– ٤ – ٥– ٦– ٧– ٨– ٩– ٠

أم الطريقة المغربية وهي :

1 - 2 - 3 - 4- 5 - 6 - 7 - 8 - 9 - 0

ولكن يجب أن نقرر أن كلا الطريقتين عربيتان أما ما شاع في العالم فهو الطريقة المغربية وأطلق عليها الأرقام العربية .

2- ينبغي أن نرجع في دراستنا وننبه الاهتمام إلي فضل العرب وعلماء المسلمين في قيامهم بالدور الحضاري ونشير إلى البيروني والخوارزمي واليعقوبي و الإقليدس فالبيروني في كتابه عن الهند يذكر بأمانة أنه لقي الهنود ووجدهم يستعملون مجموعات شتى من الأرقام وأن ما أخذه العرب هو أحسن ما عند الهنود، والبيروني عاش في الفترة (973 - 1048م) وأول كاتب عربي كتب في الحساب الهندي هو أبو جعفر محمد بن موسى الخوارزمي الذي عاش في عصر المأمون. وكتاب الخوارزمي مفقود بالعربية، ولكن وصل إلينا بضعة كتب لاتينية هى ترجمة له أو أثر منه. والخوارزمي عمل في مكتبة الخليفة المأمون في الفترة من 813 - 833 م .وأقدم وصف عربي نعرفه للأرقام الهندية نجده في كتاب اليعقوبي (التاريخ) الذي انتهي فيه إلى أحداث سنة 872م، وقد وضعه سنة(269 هـ – 872 م) ، وفيه يعطي صور الأرقام الهندية المشرقية.

وأقدم كتاب في الحساب الهندي وصل إلينا هو كتاب الفضول في الحساب الهندي، لأبي الحسن أحمد بن إبراهيم الإقليدس ، وقد كتبه في دمشق سنة 341هـ (952 / 953 م).

3- إن ثلثي عدد الأرقـام في السلسلتين الهندية (المشـرقية) والغـبارية (المغربـية) يكاد يكون شكلهما واحدا في السلسلتين ، ولا سيما إذا ما عرف أن التطور اقتصر في بعضها على انحراف زاوية رسـمه أو على انحنـاء مخالف، أو على اسـتطالة في بعض أجـزائها أو اختصار كما في الأرقام ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٧ ، ٩ .

رابعًا : ينبغي التأكيد على أن كلا الشكلين المغربي والمشرقي عربي بعد تعديلات على الشكل الهندي، وهذا يعتبر من ابتكار الحضارة العـربية ، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أن نؤكد على أن الفضل الأكبر للعرب لاستخدامـهم الأرقام في العمليات الحسابية المختلفة وجعل قيمة للصفر حتى رغم وجوده عند الإغريق والهنود .

ونقدر في النهاية وطبقًا للتصور الحضاري أن الشكل الحالي للأرقام المشرقي والمغربي عربي ليس في الشكل ولكن في الموضوع؛ أي استخدام العـمليات الحسابية والتي عرف بها العلماء العرب .

الفصل العاشر

الوثائق ومناهج البحوث



مقدمة :

لم تعد الوثائق مجالاً للدراسات التاريخية فقط كما يتجه فكر البعض منا، بل أصبحت مسرحا لعدة علوم ، ومن ذلك ، مناهج البحث في التربية ، ومناهج البحث في الاجتماع والعلوم الاجتماعية .

وسوف تكون من مهمة هذه الدراسة إبراز هذه الجوانب الحيوية في دراسات الوثائق للربط بين الوثائق وبين مناهج البحوث المختلفة وخاصة التاريخية، والتربوية، والاجتماعية.

وعلى ذلك فإن هذه الدراسة تشتمل على الموضوعات التالية :

1- البحث الوثائقي والوثائق .

2- البحث التربوي والوثائق .

3- البحث الاجتماعي والوثائق .

4- مجالات البحث الوثائقي .

5- الوضع الحالي للوثائق في العالم العربي .

أولاً : البحث الوثائقي :

والمقصود به البحث التاريخي أو البحث الاستردادي وهنا يوجه الباحثون في العلوم المختلفة طلابهم إلى التدريب على البحث عن الوثائق للتحقق من صدق الفروض التي وصلوا إليها بعد تجميع أكبر قدر ممكن من البيانات اللازمة لبحوثهم .

« ويتجه الباحث إلى البحث عن الوثائق والأصول التاريخية اللازمة لدراسته، وليس من الضروري أن توجد وثائق وافية عن كل حوادث التاريخ، إذ تنطمس آثار منها وتزول دلالاته، بتعرضها في ظروف مختلفة للتلف أو الضياع، مثل ظروف الثورات أو الحرائق أو الرغبة في التخلص منها وإتلافها عن عمد حينما تكون في حوزة من لا يفهم قيمتها التاريخية، أو من يهمه منع تداول معلوماتها بين الناس وبذلك يضيع الكثير منها بالنسبة للتاريخ، وكأن الأفكار والحوادث التي كانت تحملها في طياتها وثناياها لم تكن في الوجود.

وعلى ذلك فكثيراً ما يجد المؤرخ فجوات في مجري التاريخ ، لا يمكنه أن يملأها ، وستبقى حلقات كثيرة من التاريخ مجهولة إلى الأبد . وليس هناك ما يمكن أن يعوض عن ضياع تلك الوثائق ، وحيث لا توجد الوثائق ينعدم وجود التاريخ .

والبحث عن الوثائق beuristic من العمليات الأساسية في كتابة التاريخ، وإن كشف كمية من الوثائق الهامة عن موضوع معين هو الذي يحدد إمكان الاستمرار في بحثه أو العدول عنه إلى موضوع آخر . والباحث الذي يكتب دون أن يحصل على مجموعة من الوثائق الأساسية الجديدة، أو التي لم يكن قد سبق استخدامها استخداما علميًا مكتملاً، تنقص قيمة بحثه العلمية أو تتضاءل أو تنعدم، مهما بذل من مجهود .

وقد لاقى الباحثون والمؤرخون القدامى صعوبات جمة في سبيل الوصول إلى الوثائق التاريخية . وإذا كانت الحوادث التي قصدوا الكتابة عنها قريبة نسبيًا من العهد الذي عاشوا فيه ، فإنهم كانوا يرجعون إلى روايات بعض الأشخاص الذي شهدوا الحوادث، ويقارنون بينها ، وينقدونها ، ويستخلصون منها ما يمكن الوصول إليه من الحقائق التاريخية .

على أن هذه الطريقة لا تكون سليمة دائمًا لتعرض الروايات الشفوية للتحريف والتغيير، وإن كان تدوين الروايات الشفوية من شأنه أن يوقف في الغالب ما يكون قد دخل عليها من التغيير عند الحد الذي سجلت فيه .

فالوثائق ضرورية جدًا للعهد القريب نسبيا من المؤرخ . فضلاً عن الأزمنة البعيدة عنه. وفي أغلب الأحيان تنتقل الوثائق من حوزة الأفراد إلى الأماكن العامة، وتحفظ في دور الأرشيف ودور الكتب وفي المتاحف والأديرة والكنائس، ولقد وضعت الفهارس للكثير من الوثائق المحفوظة في الأماكن العامة، إلا أنها في أحوال كثيرة تكون غير وافية. ويكتفي أغلبها بوضع أرقام مجلدات الوثائق مع بيان الشهور والسنوات التي تتناولها، دون أن تصف مضمون محتوياتها، وهي بين قديم وحديث ومخطوط ومطبوع. كما أنه توجد وثائق كثيرة لم تنظم ولم توضع لها الفهارس الأولية بعد، في كثير من الدول سواء مصر أو في الخارج وتعد هذه الوثائق بالنسبة للباحثين في حكم المجهولة، ولا يمكن الإفادة بها قبل تقسيمها وترتيبها أوليًا على الأقل » .

ثانيًا : البحث التربوى والوثائق :

الإحاطة بالبحوث التربوية أمر عسير إلي حد ما ، لأن البحث التربوي يشمل أجزاء من علوم كثيرة مترابطة، والوثائق باعتبارها مصادر لتجميع البيانات التربوية اللازمة هي مصادر هامة لا شك في محتوياتها، وعلى الباحثين في مجال التربية ضرورة الوصول إليها.

ويشخص « ديوبولد ب فان دالين في كتابه حول مناهج البحث في التربية وعلم النفس بعضا من العلاقة التي تربط الوثائق بالتربية « فلو جمعنا كل عناوين الدراسة التاريخية في ميدان التربية لشغلت قوائم هائلة، بعض هذه الدراسات يصف التربية في فترات تاريخية مختلفة أو مناطق جغرافية متباينة أو مجالات تخصص متميزة وبعضها يبحث في تطور بعض المؤسسات أو المنظمات التربوية أو طرق التدريس، أو المناهج، أو القوانين التعليمية، أو طرق إعانة المدارس أو المباني المدرسية، أو الكتب المدرسية القديمة، أو ما أسهم به بعض في ميدان التربية . . ومن المشكلات التاريخية التي تحتاج إلى بحث مانبه

وودي Woody المشتغلين بالتربيـة البدنية إليه من ضرورة بذل مزيد من الاهتـمام بالبحوث في هذا الميدان . . ولا تزال المعاهد والاتجـاهات والحركات والرجال والنساء الذين أسـهموا في تطور التربية البدنية والألعاب الرياضية ينتظرون أن يوجه التاريخ إليها اهتمامه. ولا تزال جوانب أخرى كـثيرة في التربيـة تنتظر أن يوجه التاريخ إليهـا اهتمامه أيضا، وسـوف تفقد البشرية إلى الأبد قدراً ضخمًا من المادة العلمية، ما لم يوجـه المشتغلون بالتربية اهتماما أكثر إلى البحوث التـاريخية، ففي كل سنة يسـتبعد من ملفـات الأساتذة المتقاعديـن الكثير من الخطابات والوثائق وما إلـى ذلك من المواد العلمية الهـامة، وتعجـز المنظمات التربوية غـير الناضجة عن الاحتفاظ بسـجلات منظمة لأنشطتها كما تستبعـد الكتب المدرسية والسجلات الخاصـة بالمدارس والمجـتمـعات المحليـة من المخازن ويكون مـصيـرها الإعدام. ويسـتطيع الباحثون الشبان أن يقدموا للتربية مساهمة بالغة الأهمية بإنقاذ بعض هذه المصادر الأولية من الفناء، ويستطيعون بشيء من التعمق أن يجدوا كثـيراً من المشكلات التاريخية العاجلة الهامة الجديرة بالبحث .

ولكي ننهض بحل كـافـة المشكلات التي أثارها «فـان دالين» فإن الأمـر يحتـاج إلى تدريب الطلاب على مهـارات الاهتمام بجـمع وقراءة وتحليل الوثائق وخاصـة إذا كان نظام التعليم يعتـمد على برامج غير مقيـدة لقدرات الطلاب والسماح لهم بتنميـة معلوماتهم من خلال زيارات دور الوثائق والمتاحف والمكتبات الكبرى .

كما أن الأمر يحتاج إلى تطوير المناهج الدراسية بشكل يسمح للطلاب عامة ودارسي التاريخ بصفة خـاصة في الجامعات والمعاهد العليـا والمؤسسات البحثيـة والأكاديمية بضرورة الاهتمام بالوثائق .

وقد حدد «فان دالين » في كتاب سابق الذكر الوثائق والسجلات والآثار اللازمة:

يتكون الجانب الأكبـر من المادة التي يعتمد عليها المؤرخ من السـجلات التي حفظت عن قصد بغرض نقل المعلومات، وتوجد السجلات التي تحفظ الأفكار والأحوال والأحداث الماضية في أشكال متعددة مكتوبة ومصورة وميكانيكية ، ومنها على سبيل المثال :

1 - **السجلات الرسمية:** الوثائق التشريعية أو القضائية أو التنفيذية التي تصدرها الحكومات المركزية أو المحلية مثل الدساتير والقوانين والعهود أو المواثيق ومحاضر المحاكم وقراراتها وقوائم الضرائب والإحصاءات الهامة والبيانات التي تحتفظ بها الكنائس مثل سجلات التعميد والزواج والسجلات الخاصة بالنواحي المالية واجتماعات مجالس الإدارة، والمعلومات التي تضعها الهيئات التعليمية المركزية والمحلية أو اللجان الخاصة أو المنظمات المهنية أو إدارات المدارس أو السلطات الإدارية مثل محاضر الاجتماعات و تقارير اللجان وأوامر وتعليمات السلطات الإدارية و «الكتالوجات» ، والمعلومات المسحية عن المدارس والتقارير السنوية والميزانيات وبرامج الدراسة وجداول الحصص وكشوف المرتبات والجوائز والمكافآت وسجلات الحضور والسجلات الصحية وتقارير الأمن والحوادث وتقارير النشاط الرياضي .

2 - **السجلات الشخصية :** اليوميات والسير الذاتية والخطابات والوصايا والأعمال والعقود والمذكرات والمحاضرات والمسودات الأصلية للخطب والمقالات والكتب .

3 - **التراث الشفوي:** الأساطير والحكايات الشعبية وقصص العائلات والرقصات والألعاب والخرافات والاحتفالات وذكريات شهود العيان عن الأحداث والتسجيلات .

4- **السجلات المصورة :** الصور والأفلام المصغرة والرسم والتصوير والنحت .

5- **المواد المنشورة :** الصحف والكتيبات والمقالات الدورية والأعمال الأدبية والفلسفية التي تتضمن معلومات عن التربية .

6- **السجلات الميكانيكية :** أشرطة التسجيلات للمقابلات والاجتماعات والأسطوانات التي تسجل أداء التلاميذ في الكلام أو القراءة .

وفي بعض الحالات لا يعتمد المؤرخ على التسجيلات والتقارير وروايات الآخرين، بل يعالج بنفسه الأشياء التي بقيت من الماضي، هذه الآثار أو البقايا التي وصلتنا من الأزمنة السابقة دون أن يكون الغرض منها نقل حقائق أو معلومات معنية دليل غير مقصود على أحداث جرت في حياة الناس. فقد تفضي إلينا اللعب والأسلحة والأدوات وبقايا الهياكل

العظمية التي نعثر عليها في أمـاكن الدفن بمعلومات كثيرة عن الماضي . وفي بعض الأحيان تعبـر الآثار عن الأحوال والأشيـاء التي كانت تحدث في الماضي بدرجـة أفضل من الوثائق الرسمية. وعلى سبيل المثال، قد نجد قانونـا يقرر أن بقاء التلاميذ في المدرسة إجباري حتى يبلغوا السادسـة عشرة من عمـرهم، ولكن كشوف المرتبات، والصـور المأخوذة في المصانع والحقول، وغيرها من الأدلة غير المقصودة قد تثبت أن كثيرًا من التلاميذ تركوا المدرسة قبل هذه السن .

وقد يجد المؤرخ أنواعًا متعددة من الآثار :

1- **الآثار المادية:** مـثل المبـاني والمرافق والمواقع والأثاث والمعـدات والأزياء والآلات والجوائز وشهادات التفوق وبقايا الهياكل العظمية .

2- **المطبـوعات :** مثل الكتب والدبلومـات غير المحررة، وكشـوف السجلات التي لم يدون فيها شيء والعقود والشهادات وكشوف الحضور وبطاقات التقارير وإعلانات الصحف.

3- **المخطوطات :** مثل كتابات التلاميذ ورسومهم وتمريناتهم. ولما كانت البقايا والآثار أدلة ظاهرة يستطيع البـاحث أن يفحصـها بنفسه فـهي أكثر صدقـا من السجلات كمـصدر للمعلومات، ومع أن الباحث يستطيع أن يقيس أداة قديمة كانـت تستخدم في عقاب التلاميذ ويزنها ويصفها ، إلا أنه يضطر عادة إلى الرجوع إلى التقارير التي كتبها بعض القدماء لكي يفسر كيف كانت تستخدم ولماذا، ومتى.

وليس من الضروري أن تنقسم المادة الأصلية إلى مجموعات مستقلة مانعة، فقد تكون عنصرًا مـا سجلاً أو أثرًا، ويتوقف ذلك على الغـرض من استخدامـه وعلى هدف صاحب الوثيقة أو الأثر، فالاستمارة البيضاء لتـسجيل المواد والدرجات على سبيل المثال تعتبر أثرا. ولكن إذا كتبت عليـها المقررات والدرجات واسم التلميـذ أصبحت الاستمـارة تحتوي على معلومات هادفة، أي أنها تصبح وثيقة . ويشبـه ذلك التسجيل الصوتي لحديث تلميذ ما ، فقد يكون الغرض منه مجـرد اختبار الجهاز وليس الاحتفاظ بأيـة معلومات وقد يكون هدفه تسجيل حديث التلميذ لتحليله فيما بعد .

ثالثا - البحث الاجتماعي والوثائق :

درس علماء الاجتماع والبحث الاجتماعي أخيرًا قضية العلاقة بين البحث الاجتماعي والوثائق، وحددوا أهم أنماط وأنواع الوثائق التي تمثل بالنسبة لهم أهمية خاصة، «فالأحداث المسجلة على هذه الوثائق تمثّل في حـد ذاتها، وفيما تعنيه من دلالات تتـعلق بالأشخاص. وتنقسم الوثائق بصفة عامة إلى قسمين هما الوثائق الشخصية Personal Documents والتي يصف كاتبها أحداثا شارك هو شخصيًا فيها، أو يعرض فيها اتجاهاته ومعتقداته الشخصية . وتتميز تلك الوثائق بأنها ذاتية، ومن ثم يمكن تمييـزها بسهولة عن الوثائق الرسمية أو العامة التي تصور الأنشطة الاجتماعية .

ونحن لا نخطئ إذا قلنا إن وثائق الحياة الشخصية حينما تكون مكتملة إلي حد كبير، تشكل مادة رائعة لعلم الاجتماع، وإذا كان علـم الاجتماع يستعين بأنواع أخرى من الوثائق فإن ذلك مرجعه تلك الصعوبة العلمـية التي تواجه الحصول على عدد كاف من هذه الوثائق يغطي كافة المشكلات الاجتماعية حينما يصف حياة الجماعات الاجتماعية .

والوثيقة الشخصـية بصفة عامة هي وصف شخص تلقائي يـقدمه شخص معين عن سلوكه، وخبراته ومعتقداته، ويتضـمن هذا التعريف كافة السير الذاتية Autobiographies واليوميات الذاتية Diaries والخطابات وكل الوثائق الفنية التي تصف خـبرات شخص معين ومعتقداته واتجاهاته، أو التي تلقي ضوءًا على الخلفية الثقافية لهذا الشخص .

أما مصطلـح تاريخ الحياة Life History فهو في معناه المحدود لغـير السيرة الذاتية الشاملة، ولكنه أخذ يكـتسب في الوقت الحاضر معانـي أوسع من ذلك لكي يشير إلى أي نوع من الترجمات الذاتية .

أما أهم الأنواع الأخرى من الوثـائق فهي تلك التي تصف أحداثًا معـينة سواء كانت وثائق أولية أو ثانوية، وتضم هذه الوثائق كلا من السجلات Records والتقارير Reports ، والسجلات هي وثائق تحفظ مـا يقع من أحداث في مواقف معينة مثل الســجلات البرلمانية، ومحاضر الاجتماعات ، وسجلات المحاكم والإحصاءات الرسمية، أما التقارير فهي تختلف

عن السجلات من حيث إنها عادة ما تكتب بعد وقوع الأحداث، وهي تهدف في الغالب إلى إعطاء انطباع معين عن حادثة أو واقعة أكثر مما تهدف إلى مجرد تسجيل هذه الواقعة .

وطالما أن الوثائق هي المصدر الأساسي للمعرفة عن الماضي، فإن دراستها وتحليلها أصبحت تمثل الأداة الرئيسية للبحث التاريخي ، ويشمل البحث الوثائقي مجالات متعددة نذكر منها :

(أ) السيرة biography .

(ب) تاريخ النظم والتنظيمات .

(جـ) المصادر والتأثيرات .

(د) التحرير والتحقيق .

(هـ) تاريخ الأفكار .

(و) الببليوجرافيا Bibliography .

على أن البحث الوثائقي لا تقتصر مهمته على مجرد اكتشاف الحقائق، فمن الممكن أيضا التحقق بواسطته من صحة بعض الفروض، وذلك من خلال جمع الشواهد التاريخية التي نصنفها ونحللها، ونخرج منها بتعميمات ومبادئ. وليس هذا المنهج مقصوراً على علم الاجتماع وإنما هو يستخدم استخداماً واسعاً في التاريخ ، والقانون، والآداب، والفلسفة والميادين المتصلة بها .

وقد درس بعض علماء الاجتماع أنواع مصادر البيانات التي ينبغي الرجوع إليها وحددها فيما يلي :

1- الوثائق والمستندات والسجلات الرسمية المحفوظة .

2- العلوم والفنون والآداب والتشريعات .

3- اللغات والمؤلفات الأدبية الواقعية والخيالية .

4- الأديان والأساطير .

5- التنظيمات السياسية ومختلف التشكيلات الشعبية .

6- تطور الأشكال الاجتماعية .

واضح حتى الآن أن الوثائق بالنسبة للمؤرخ وبالنسبة للتربوي وعالم الاجتماع تعتبر هامة جدًا، خاصة في مجال البحث الوثائقي أو الاستردادي لكل علم من هذه العلوم .

رابعًا : مجالات البحث الوثائقي :

لكي نحدد مجالات البحث الوثائقي علينا أن نلقي الضوء حول مفهوم البحث، والبحث الوثائقي وأهمية كل ذلك ثم مجالات البحث الوثائقي .

«ويعود مصطلح البحث إلى العصور القديمة، فهو قديم قدم الإنسان نفسه. ومنذ نشأت حاجته إلى تلبية رغبات تحقق له الرغد والرفاهية، معيشية كانت أم فكرية، والبحث العلمي إلى يومنا هذا جزء لا يتجزأ من حياة أي أمة؛ حتى لقد بلغ من اهتمام الحكومات به أن هيأت له أسباب التقدم نحو تشكيل الهيئات المتخصصة ورصد الميزانيات اللازمة .

ومفهوم البحث هو الطريقة المنظمة أو الفحص الاستفساري المنظم لاكتشاف حقائق جديدة، والتثبت من حقائق قديمة والعلاقات التي تربط فيما بينها والقوانين التي تتحملها».

كما عرف البعض البحث بأنه محاولة لاكتشاف المعرفة، والتنقيب عنها، وتطويرها وفحصها، وتحقيقها بتقص دقيق ونقد عميق ثم عرضها عرضا مكتملا بذكاء وإدراك، لتسير في ركب الحضارة العالمية، وتسهم فيه إسهاما شاملا ، ومصطلح البحث الوثائقي كما يري البعض من الباحثين «يعود إلى النشاطات العلمية التي يقوم بها الطالب الباحث لتعلم الحقائق والمبادئ الجديدة، عن طريق دراسة الوثائق والمسجلات Records ». وعلى الرغم من أن هذا النوع من البحوث يمكن أن يستخدم في جميع المجالات الأكاديمية، إلا أنه ذو أهمية خاصة في دراسة التاريخ والآداب واللغات والإنسانيات على وجه العموم . . . ويستخدم علماء التاريخ هذه الطريقة بشكل ثابت مما أدى إلى تسميتها في كثير من الأحيان

بالطريقة التاريخية Historical Method ، وينبغي أن نشير في هذا المجال إلى أن التاريخ ليس مجرد قائمة بالأحداث في ترتيبها الزمني، بل إنه السجل الدال على إنجازات الإنسان، إنه رواية حقيقية متماسكة للعلاقات بين الأشخاص والأحداث والزمان والمكان. . وتعتبر هذه الطريقة أي طريقة البحث الوثائقي، وهي التي تتصل بتجميع وتحليل البيانات والمعلومات أقدم شكل من أشكال البحث الحقيقي، ولقد استخدمها المؤرخون اليونان القدماء، واستخدمها أرسطو في دراساته عن الدراما والشعر اليوناني . . . ولقد طرأ على هذه الطريقة الوثائقية الكثير من التنقيح في العصر الحديث . . وبالتالي أصبحت أكثر دقة مما كانت عليه أيام الفلاسفة وعلماء التاريخ اليونان. ويتضمن البحث الوثائقي بصفة أساسية وضع الأدلة المأخوذة من الوثائق والمسجلات مع بعضها بطريقة منطقية، والاعتماد على هذه الأدلة في تكوين النتائج التي تؤسس حقائق جديدة أو تقدم تعميمات سليمة عن الأحداث الماضية أو الحاضرة أو عن الدوافع والصفات والأفكار الإنسانية » . ومجالات وأنواع الأدلة الوثائقية التي يعتمد عليها في البحث الوثائقي كما لاحظنا في مناهج البحث السابقة تنحصر في المجالات التالية :

1- المسجلات والوثائق الرسمية :

«وهذه يمكن أن تشمل المسجلات الشرعية التي تصدرها المحاكم مثلاً، القوانين وغيرها من الأحكام التشريعية ومضابط الاجتماعات والتقارير الإدارية (كالتقرير الرسمي لمؤسسة حكومية أو مدير جامعة لمجلس الجامعة . . إلخ)، تقارير اللجان في المنظمات النوادي المختلفة، والتقارير السنوية، الشهادات الشرعية الخاصة بالأفراد (العقود والاتفاقات) أو التي تمنحهم قوة معينة على أفراد أو جماعات آخرين (كالإجازات والمواثيق. . إلخ) وغير ذلك من الوثائق المشابهة التي تدل على القرارات والأعمال الرسمية. . وهذه الوثائق تشكل من غير شك مصادر للمعلومات الدقيقة نظراً لحرص الجهات الرسمية على دقة هذه الوثائق واكتمالها وحفظها بعناية .

2- التقارير الصحية :

وهي تزودنا بالحقائق الضرورية، وتعتبر سجلاً دائمًا للأحداث التي تحدث يوما بعد يوم في العالم .

وتزداد أهمية الصحف كـمصادر للمعلومات، عندما لا تكون هنـاك رقابة عليها في البلد الذي تصدر فيه ، ومع الرقـابة تصبح الصحف مجرد وسط إعلامي للدعـاية الرسمية حيث تميل نحو التحيز السـياسي أو الاقتصادي وتتشكل الافتتاحيات وكـتابات التحرير طبقا لذلك . . ولكن يجب على كل حال أن نميز بين التقرير الحقيـقي والتعبير عن رأي (كما هو الحال في مقال رئيس تحرير إحدى المجلات) .

ومن الواضح أن الصـحف والمجلات لا تكون بدقـة واكتـمال المصـادر الرسمـية أو العلماء، وعلى ذلك فعلى الباحث أن يستخدم الصحف والمجلات عند عدم توفر السجلات الرسمية .

3- تقارير شهود العيان عن الأحداث :

إن الذاكرة كثيرًا ما تخون ، ويوجد مثل لاتيني «الكتابة تبقي والكلام ينسي Verba Volant Scipta Manet فإن شهادة شاهد عيان مكتـوبة وقت الأحداث نفسها سوف تكون آكثر ثقة من محاولة الشخص تذكر الأحـداث بعد مضي وقت طويل عليها، أي أن التقرير أو السجل المكتوب يبـدو عادة أكثر مدعـاة للثقة من التقرير الشـفوي، وإن كان ذلك ليس صحيحًا على إطلاقه .

4- المصادر الشخصية (كالرسائل والمفكرات):

يفترض أن الأوراق الشخصية كالرسائل والمفكرات لم يكتبها أصحابها بغرض النشر، وعلى ذلك فهي تكشف مـعلومات عن الأحداث أكثـر تفصيلاً وصراحـة مما تفعله الوثائق والمسجلات العامة، وهذه البيانات والمعلومات التي يستقيها الباحث من الكتابات الشخصية، تعتبر ذات أهمية في عمل الدراسات البيليوجرافية .

5ـــ المذكرات والتراجم Biographies, Autobiographies, Memoirs :

وهذه المصادر ، إذا كانـت موثوقا فيهـا ، تكون مفيدة في مـراجعة الحقـائق المتوفرة فعلاً عـن حياة الشخص، ولكن هذه المصـادر نادرًا ما تؤسس حقائق جـديدة، والمعلومات المنشورة في قصـة حياة الأشخاص الذين تهـمنا مذكراتهم يمكن أن تفيـد في تتبع نمو وتأثير

بعض الحركات والأفكار التاريخية . . إن حياة وأفكار الرجال الذين وضعوا الدساتير الأولى في حياة الأمة، أو أولئك الذين قاموا بالثورة الوطنية ، لها أهمية بالغة في الدراسات السياسية والاجتماعية والتاريخية وغيرها .

6- الدراسات والكتابات التاريخية :

وإذا اعتمدت هذه الدراسات على الفحص العلمي فإن الكتابات التاريخية يمكن استخدامها ببعض الثقة، وإن كان فحص المواد والمصادر الأصلية يكون أفضل دائمًا . . إن المستخلصات التاريخية تعتمد عادة على المصادر المباشرة .

7- الدراسات الوصفية التى تمت فى وقت سابق :

وذلك في حالة عدم وجود دراسات في الوقت الراهن مشابهة لها في نفس الموضوع والطريقة التي تمت بها، وذلك مثل القيام بتجارب أو دراسات مسحية .

8- الكتابات الأدبية والفلسفية :

إن الإنتاج الأدبي كالأشعار والروايات والمسرحيات والمقالات يمكن أن تزودنا بالمعلومات عن الأحداث الفعلية، ولكن الباحث يميل غالبًا إلى فحص هذا الإنتاج بالنسبة للأفكار التي يحتويها . . وفي الدراسات الأدبية واللغوية فإن الكتابات نفسها تشكل المصدر الضروري الحقيقي الوحيد عن البيانات والمعلومات .

9- البقايا الأثرية والجيولوجية :

وهذه تفيد في البحث التاريخي لأنها تدرس بنفس الطريقة التي تدرس بها الوثائق المكتوبة ، وهي تكشف عن بيانات تستخدم في تكوين النتائج والفروض .

10 ـ متنوعات وأعمال أخرى Miscellaneous :

وهذه تشمل الأعمال الفنية والموسيقية والآثار والمخلفات وغيرها من مصادر المعلومات المختلفة التي تعتبر مصادر وثائقية هامة في أنواع معينة من البحوث أو في حالة عدم وجود معلومات وبيانات أخرى .

خامساً ـ الوضع الحالى للوثائق فى الوطن العربى :

اتضح لنا في السطور السابقة أهمية الوثائق في علاقتها بمناهج البحوث المختلفة التاريخية والتربوية والاجتماعية .

ويطول بنا المقام إذا أردنا عقد الصلة بين الوثائق ومناهج البحوث الأخرى .

إن الوثائق مصدر هام من مصادر المعلومات لأنه مصدر صادق لا شك في محتوياته، لأن صاحب الوثيقة عندما أصدرها لم يكن يعلم مقدما أنها ستصبح مصدرا يرجع إليه فيها . مما يضيف إليها بعدا آخر من أبعاد الصدق وخلوها من أي تأثير أو جوانب أو عوامل تشكك في محتوياتها .

إننا إذا حاولنا التصدي لموضوع نشخص فيه واقع الحال بالنسبة للوثائق العربية الإسلامية نجد أن هذا الموضوع لا يمكن تشخيصه بسهولة، ذلك لأن الوثائق مبعثرة هنا وهناك، ولا يوجد من يهتم بها جمعا وتنظيما وتحليلاً ، فضلاً عن أماكن حفظها؛ أي دور الوثائق ، فإنها تحتاج إلى رعاية واهتمام المسئولين .

ورغم الصعوبات التي تحيط بالوثائق العربية فإننا نلاحظ الموضوعات التالية باهتمام .

أ- تدريس الوثائق العربية الإسلامية :

ما تزال جامعة القاهرة - كلية الآداب - قسم الوثائق والمكتبات ، المؤسسة العلمية الوحيدة بالوطن العربي التي تمنح رسائل الماجستير والدكتوراه لخريجيها من الحاصلين على شهادات الليسانس في الوثائق والمكتبات ممن درسوا مواد الوثائق بجانب مواد المكتبات .

ويشارك جامعة القاهرة حتي مرحلة الليسانس في نفس المواد تقريبًا جامعة أم درمان - كلية الآداب - قسم الوثائق والمكتبات، جامعة قطر - كلية الإنسانيات - قسم التاريخ والمكتبات .

ونحن ما زلنا نتطلع إلى ضرورة إدراج هذه المواد ضمن برامج الجامعات العربية والإسلامية الأخرى وكذلك إدراجها ضمن برامج التعليم العام ، حتى يمكن بناء أجيال قادرة على توظيف البيانات المتضمنة في الوثائق العربية الإسلامية .

كما أننا بحاجة إلى تقييم الواقع الحالي للبرامج الخاصة بالوثائق من حيث طريقة التدريس والمعلم ومحتويات هذه البرامج بالتفصيل، وما يمكن تطويره من وسائل وأدوات وكتب تعين الطلاب على تنمية معلوماتهم حول الوثائق :

إننا ينبغي أن نعترف بأن الأجيال تتطلع إلى خطط قوية من أجل النهوض بأمر الوثائق وتدريسها .

2- جمع الوثائق وتنظيمها وتحليلها :

ما زالت الوثائق العربية والإسلامية بحاجة إلى جهود كبيرة من أجل جمعها من هنا وهناك .

كما أن عملية تنظيمها تحتاج أيضًا إلى خطوات طويلة ، وكذلك موضوع نشرها وتحقيقها وتحليلها .

وإذا كنا نتكلم عن هذه الأمور فإن الأمر يقتضي الإشارة إلى أن معطيات العصر من التقدم الكبير في مجال العلوم والتكنولوجيا وفي مجال وسائل الاتصال وخاصة تكنولوجيا المعلومات يتيح لنا أكبر استفادة ممكنة في جمع وتنظيم وتحليل وثائقنا العربية .

3- التعاون بين الدول العربية :

لا يزال موضوع التعاون بين الدول العربية فيما يتعلق بموضوع الاهتمام بالوثائق العربية ضعيفا .

ولا يتصور المرء جدوى أي نشاط وثائقي دون وجود أواصر الصلة والرابطة التي يمكن من خلالها تنسيق الجهود على المستوى العربي .

فقد وُجد في الأيام الأخيرة المجلس العربي للوثائق في بغداد المنبثق من المجلس العالمي للوثائق، وكان يصدر في الآونة الأخيرة نشرة «الوثائق» .

كما نسمع كذلك عن جهود إدارة التوثيق والإعلام بجامعة الدول العربية بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بتونس ولعل المثل البارز المعهد الأعلى للتوثيق بجامعة تونس، حيث يحاول وضع الجهود العربية محل تخطيط وتنسيق وتنفيذ .

إننا نتطلع إلى ضرورة توافر اتحادات وجمعيات عربية ونشر علمي للمجموعات العربية من الوثائق ، حتى نستطيع الاعتماد عليها في الحصول على أوفى وأدق البيانات السليمة الصادقة.

كما نتطلع كذلك من أجل تدعيم أواصر التعاون بين الدول العربية كافة إلى التوسع في مجال التشريع الوثائقي .

ذلك أن التشريع الداخلي لكل دولة عربية على حدة يضمن لنا وجود الاهتمام المحلي وبالتالي الاهتمام القطري على المستوي العربي .

لقد نشرت دراسة في الأيام الأخيرة عن جامعة الرياض موضوعها دراسات تاريخ الجزيرة العربية : مصادر تاريخ الجزيرة العربية .

وهي تدل صراحة على مدى التعاون العربي من أجل الوصول إلى كافة البيانات التي تتعلق بالجزيرة العربية .

وإذا نحن وصلنا في هذه الدراسة إلي الجزء الخارجي بالوثائق العربية نجد اهتمام الباحثين من الدول العربية بتغطية هذا الجزء مما يدل على مدى الحرص على التعاون العربي في هذا المجال رغم اقتصار هذا التعاون على بعض الجهود المشار إليها، إلا أنه يبشر بالأمل الكبير من أجل إعادة الأيام الزاهرة للأمة الإسلامية لبناء حضارة عالية راقية .

ونحن من خلال مجموعات الوثائق العربية المتناثرة هنا وهناك نستطيع أولاً البدء بتجميع هذه المجموعات وحصرها لإمكان دراستها ونشرها وتحقيقها وتحليل المعلومات المتضمنة فيها، وتلك بداية الطريق نحو الاهتمام بوثائقنا العربية .



الفصل الحادي عشر

تصنيف العلوم والمعارف في الإسلام



تمهيـــد :

تتناول هذه الدراسة موضوعا من أهم الموضوعـات التى تتصل بالفكر الإنسانى بصفة عامة، والحضارة الإسلامية بصفة خاصة .

وهو دور علمـاء المسلمين فى مجـال تقسـيم العلوم أو تصنيف العلوم والمعـارف فى الإسلام، وهذا الدور، رغم أنه حـضارى إلا أننا نفـتقد الدراسـات الجادة حوله، فـما زال الطريق مفتوحا أمام الباحثين للتوسع فيه ودراسته دراسة جادة متأنية .

ما المحاولات الأولى فى مجال نظرة علماء المسلمين إلى تقسيم العلوم ؟ .

وكيف تطور مفهوم التصنيف في الاسلام ؟ .

وما الدور الحضارى لنظم التصنيف فى نظر علماء المسلمين ؟ .

هذه بعض تساؤلات تحتاج إلي توضيح وإلى إلقاء الضوء عليها بالدراسة، وعرض لبعض النظم التى وصلت إلينا فى كتب علماء المسلمين .

وهى ولا شك تثير قضية حضارية تؤكد الاتصال الحضارى وتبرز دور علماء المسلمين فى مجـال التصنيف وتفتح الطريق أمامنـا كى نوجه الباحثين إلى البـحث عن ذلك التراث الإسلامى وتأصـيله فى دراساتنا حتى لا تصبح الأمـور واقفة عند حد مـفكرى الغرب فى مجال تصنيف العلوم فى العصور الوسطى .

إن هذه القضية كغيرها من القضايا التى تتصل بالتراث الإسلامى تحتاج إلى الكثير من الدراسات حـتى لا نترك الفـرصة أمام غـيرنا من النيل من تراثنا وحـتى لا تضيع الحـقائق العلمية فى زحمة الفيضان أو الانفجار المعرفى الهائل الذى يتحدثون عنه اليوم .

أولا : مفهوم التصنيف في الإسلام :

ويراد بكلمة تصنيف classification معينان :

أولهما : أنه « العملية الذهنية التى يتم من خلالها إدراك التشابه أو الوحدة » وهذا هو المعنى المنطقى Logical .

وثانيهما : أنه « عملية ترتيب الأشياء الفعلية الواقعية بحيث تمثل الترتيب المجرد وهذا هو المعنى العملى practical . نفهم من ذلك أن نظام التصنيف الفلسفى عبارة عن تصور للمعرفة البشرية يوضع لشرح وتوضيح علاقات أجزاء المعرفة بعضها بالبعض الآخر. وهذا الفهم يصدق على المعنى الأول وهو المعنى المنطقى .

أما المعنى الثانى فالمراد به بالنسبة لموضوع بحثنا هو ترتيب العلوم من حيث الخصوص والعموم. وليس من شك فى أن تصنيف العلوم يتصل اتصالا وثيقا بالمنهج العلمى، ذلك آن الغاية من تصنيف العلوم هى بيان حدودها والعلاقات القائمة بينها. وقد أوضح الفارابى 339 هـ، هذا المعنى فى مقدمة كتابه « إحصاء العلوم » وذلك فى قوله « قصدنا أن نحصى العلوم المشهورة علما علما، ونعرف جمل ما يشتمل عليه كل واحد منها، وأجزاء ما له من أجزاء وجمل ما فى كل واحد من أجزائه » .

شطران في عبارة الفارابي :

أحدهما خاص بالإحصاء، وثانيهما يمكن اعتباره خاصا بالتصنيف. وهو الذى يبتدئ بالقول « نعرف جمل ما تشتمل عليه كل واحد منها. . . » فمعرفة الجمل والأجزاء هى الخاصة ببيان الحدود والعلاقات وهو مرادنا من التصنيف .

وقد أثارت عبارة الفارابى تساؤل الدكتور عثمان أمين عن مراد الفارابى من كتابه «هل أراد أن يكون كتابا يقتصر على تحديد أشهر العلوم المعروفة لعهده مع بيان مسائلها إجمالا أم أراد به أن يكون تقسيما أو تصنيفا للعلوم يبين مذهبا معينا لها في ترتيبها» .

قد انتهى الدكتور عثمان أمين إلى رأى يقول بأن الفارابى أراد إحصاء ولم يرد تصنيفا أو تقسيما للعلوم .

يسهل دحض هذا الرأى ببيان أن كل علم من العلوم هو فى أحد مفاهيمه علم تصنيفى Ciassificatory Science بمعنى أن الخطوة الأولى فى أى علم من العلوم هى رسم حدوده وبيان أجزائه وعلاقاتها ببعضها وبغيرها من العلوم وقد أدراك الفارابى هذا المعنى، وذلك فى قوله « إن الانسان إذا أراد أن يتعلم علما وينظر فيه علم على ماذا يقدم وفي ماذا ينظر » .

على ضـوء هذا الفهم الذى يـرسم حدود العلوم وأجـزاءها وعـلاقاتهـا كان عـمل الفارابى عملا تصنيفيا. ودليلنا فى ذلك مقارنة عمل الفارابى فى « إحصاء العلوم » بنظريته فى تصنيف العلوم. تلك النظرية الواردة فى كتـابه « التنبيه على سبيل السـعادة »، إذا قسم العلوم الفلسـفية إلى نظرية وعـملية. وذلك فى قوله: « صناعـة الفلسفـة صنفان صنف به يحصل معرفة الموجودات التى للإنسان فعلها. وهذه تسمى النظرية، والثاني به تحصل معرفة الأشياء التى شأنها أن تفعل وهذه تسمى الفلسفة العملية » .

ويؤكد ما انتهينا إليه عبارة الدكتور عـثمان أمين نفسه التى يقول فيها « المطابقة ظاهرة بين المذهب العـام للفارابى فى ترتيب الـعلوم وبين الترتيب الذى اتبـعه بالفـعل فى كتـابه الإحصاء .

فإذا كان من معانى التصنيف أنه نظام لتـرتيب العلوم بحسب العام والخاص. فلماذا يكون عمل الفارابى فى « التنبيه علي سبيل السعادة » عـملا تصنيفيا في نظر الدكتور عثمان أمين، وعمله فى « إحـصاء العلوم » عمـلا إحصائيـا؟ مع أن المطابقة تامة بين مـا جاء في الكتابين. قـد لا يكون الفارابى فى كتابه « إحـصاء العلوم » قصد أن يعـرض تصورا لنظام المعرفة ومع ذلك كان بـوسعه أن يعرض ترتيبا آخر للعلوم بـخلاف ما عرض. ولذلك نرى أن عرضــه ترتيب العلوم على النحو الذى عـرض عليه راجع أصلا إلى تـصور ذهنى لنظام المعرفة وإن لم يكن مصرحا به كما جاء فى كتابه « التنبيه على سبيل السعادة » .

ثانيا : العلوم والمعارف في الإسلام :

لا شك فى أن كثرة العلوم والمعارف في الإسلام هى التى دفعت علماء المسلمين إلى وضع النظريات والفلسفات نحو تقسيم العلوم .

والمسلمـون عندما أرادوا تحـديد فلسـفة تقـسـيم العلوم رجـعوا إلى فكر اليـونان، واستـفادوا من النظم اليـونانية في مـجال تقسـيم العلوم، ولكن الإضافـات التى أضافـها العرب، وخاصة العلوم التى تتصل بالتراث الإسـلامى كعلوم القرآن والحديث والفقه وعلم الكلام والتوحيد وغير ذلك من علوم اللغة والنحو والأدب. هذه العلوم لا نستطيع أن نجزم

بأنها يونانية، لكن نـعترف ونحن أبناء هؤلاء العلماء بأن العلوم الدنيـوية كالطب والهندسة والفلك والرياضـيات... إلخ ترجع إلى منـابع أخرى فنحن قـد تأثرنا بما فى الحضـارات الأخرى .

يقول عـلماء الغـرب إن الفلسفـة العربيـة ما هى إلا امتـداد للفلسـفة اليونـانية وأن الفلاسفة العرب نقلوا نقلاً مباشراً خلال ما ترجموه عن فلاسفة اليونان، وأنهم كانوا امتدادا لأرسطو الذي انتقلت تعاليـمه إليهم عن طريق مدرسة جنديسابور، آو الأفـلاطونية الجديدة التي انتقلت تعاليمها إليهم عن طـريق مدرسة الإسكندرية، وأن المدرسة الإسلامية لم تكن إلا اقتباسا، أو تلخيصا أو شرحا للفلسفة اليونانية .

وتصوير الفلسفة الإسلاميـة بهذا الشكل تصوير خاطئ، فليس هناك من شك في أن الحقـيقـة الفلسـفية واحـدة لا تختـلف في بلد عنها في الآخـر وكمـا يقول المعلم الثـاني «الفارابي».

وليس هناك من شك في أن الفـلاسفة العـرب درسوا الفلسفـة اليونانية وهضـموها وشرحوها حـتي ليقال إن خيـر من شرح أرسطو كان «ابن رشد»، وعن طريق التـرجمات اليونانية لكتابات «ابن رشد» العربية استطاع الغرب أن يدرس المعلم الأول، كما أن الفلاسفة العرب اصطنعوا اللغـة العربية أداة للتعبير عن الفلسـفة بعد أن كانت لغتهـا الإغريقية ، أو السيريانية .

وليس هناك من شك كـذلك في أن الفلسفة الـيونانية تفـاعلت في أذهان المسلمين، أعطوها وأخذوا منهـا، وكانت الفلسفة الإسلامـية نتاجا لهـذا التفاعل، مركـبا جديدا من تقاليد جديدة، وديـن جديد، وبيئة جديدة، وأفكار جديدة، وقيـم روحية جديدة، وظلت هذه الفلسـفة الإسلامـية قـائدة رائدة في مدارس الشرق والـغرب حتى إلى مـا بعد عـصر النهضة.

كانت هناك حـركة فكرية نشطة إذن فـي صدر الإسلام ومـا تلاه من العصـور حتى العصر العـباسي الأول .. ونشأت عن هذه الحركة الفكرية التي انبـثقت عن الإسلام علوم

شتى، وأول هذه العلوم ما كان متصلا منها باللـغة العربية من حيث ضبط القراءة والكتابة، وهو موضوع كبير اهتم به العرب اهتماما بالغا .

ظهرت علوم فـقه اللغة وفكروا في تأليف المـعاجم، وأولها العين للخليل بن أحـمد وكان العرب بذلك أول من أنشأ علم المعاجم .

ثم ظهر علم النـقد ومن علمائه الجـاحظ وابن سلام وابن قتـيبة وقـدامة بن جعـفر صاحب كـتاب «نقـد الشعـر» وابن رشيق صاحب «الـعمدة» والجـرجاني صـاحب «أسرار البلاغة» وابن الأثيـر صاحب «المثل السائر» ثم علم العروض قـعّد قواعده، ووضع أوزانه، وأخرج تفصيلاته الخليل بن أحمد .

وظهر كذلك علوم القرآن، كـعلم التفسير وعلم إعراب القـرآن والقراءات والتجويد ونسخ القرآن وإعجاز القرآن . كما ظهرت علوم الحديث المختلفة .

كمـا ظهر علم الـكلام وهو من أهم العلوم التي أدخلها العـرب وظهر كـذلك علم التصـوف الإسلامي وهو عـلم له أدبه الخاص ، وله مـصطلحاته: الحب والعـشق والسكر والصحو والمشاهدة واليقين . . إلخ .

ولم يقتـصر العرب علـى العلوم الجديدة التي أتى بها الإسـلام، بل برزوا في علوم أخرى كـعلم التاريـخ والحساب والفـلك، ونشأت مع هذه العلوم حـركة للنقل إلى اللـغة العربية. وما جاءت أيام هارون الرشيد حتى كـانت هذه الحركة في قمتها؛ إذ أولاها الرشيد كل عنايته وجمـع المترجمين في مكـان واحد وفوض أمرهم إلى شيخهم يوحنا بن ماسويه، وترجم في أيامه الكثير من الكتب العلمية منها كـتاب اقليدس في الهندسة وكتاب المجسطي في الفلك لمؤلفه بطليمـوس، واستمرت هذه الحركة على عهـد ابنه المأمون في بيت الحكمة حيث كان شيخ المترجمين على أيامه هو حنين بن إسحق .

وكان أسلوب الترجمة هو ترجـمة المعاني وما يتفق والتعاليم الإسلامـية كما تعددت مدارس ومـراكز الترجـمة، فهذه «مـرو» حاضرة فـارس العلمية تنقـل عن التراث العلمي الفارسي مـا يتصل بالحـساب والنجوم، وهذه جند يـسابور تنقل إلى العربيـة علوم الطب، وهذه حران تنقل عن اليونانية الفلك والرياضيات والهندسة .

ثالثاً : التصنيف العلمي للمعارف والعلوم قبل الإسلام :

إن أول نظام وصل إلينا هو ذلك الذي ينسب إلى أفلاطون فيما يقوله ريتشارد سون Richardson في كتابه عن التصنيف النظري والعملي .

ومهما يكن من أمر فقد وصلنا عن أرسطو خطة مجملة تعين على إدراك شيء من تقسيم المعرفة البشرية في نظره :

يميز أرسطو بين ثلاثة أنواع من التفكير :

النظري Theoretical

العملي Practical

المنتج Productive or mechanical

هذه الأنواع الثلاثة من التفكير تقابل الفلسفة النظرية والعملية والصناعات الإنتاجية.

والملاحظ في التقسيم الأرسطي اعتباره آلة Organon أو أداة أو مدخلاً لكل العلوم. وليس شعبة من الفلسفة. فالفلسفة النظرية عنده تشمل العلم الإلهي والرياضي والطبيعي والفلسفة العملية تشمل الأخلاق والاقتصاد أو علم تدبير المنزل وكذلك السياسة .

والصناعات الإنتاجية في نظره هي الشعر والخطابة، ولذلك كان من الأقسام الرئيسية لنظام المعرفة : الشعراء والخطباء .

هذا التقسيم الأرسطي للعلوم في نظر المستشرق الإيطالي كارلو نللينو «اتخذته أكثر فلاسفة العرب والمتكلمين» .

وسوف نلاحظ اتجاه المسلمين في بداية محاولاتهم لتقسيم العلوم والمعارف وتصنيفها اتباع أرسطو من حيث تقسيم العلوم إلى علوم نظرية وعلوم عملية ، ومع الاستمرار في وجود نظم لتقسيم العلوم والمعارف في الإسلام نلاحظ انفراد المسلمين بتقسيم خاص لعلومهم بحيث نستطيع أن نقرر أن علماء المسلمين سبقوا غيرهم من أصحاب التصانيف المعاصرة مثل :

تصنيف ديوي العشري	Dewey Decimal Classification
تصنيف مكتبة الكونجرس الأمريكي	Library of Congress Classification
تصنيف بليس	Bliss Classification
تصنيف كولون	Colon Classification
التصنيف العشري العالمي	Universal Decimal Classification

وسوف نلاحظ أن نظم تصنيف العلوم والمعارف في الإسلام كانت كذلك نظمًا فلسفية كما كانت أيضا نظما ببليوجرافية عملية، كما كانت أيضا نظما تربوية ، وهذا ما سوف نبرزه في الصفحات التالية .

رابعًا : نظم تصنيف العلوم والمعارف في الإسلام :

1- جابر بن حيان ت 160 هـ :

إن أقدم تصنيف، أهمله المؤرخون، هو تصنيف جابر بن حيان المتوفي عام 160هـ. ذلك التصنيف الوارد في كتابي «الحدود»، «وإخراج ما في القوة إلى الفعل» وهما ضمن المختارات من رسائل جابر بن حيان التي نشرها بول كراوس .

يبدأ جابر تصنيفه بتحديد المراد من الحد في قوله « هو الإحاطة بجوهر المحدود على الحقيقة حتى لا يخرج منه ما هو فيه ولا يدخل فيه ما ليس منه». لم يزد جابر في تعريفه للحد على ما قاله أرسطو في التعريف الجامع المانع؛ فالتعريف عند أرسطو هو التوصل إلى الماهية عن طريق الجنس Gennus والفصل Difference واشتراط الفصل أو الخاصة في التعريف أمر له دلالته حتى لا يدخل في الشيء ما ليس من صفاته الأساسية ولا يخرج منه ما هو من مقوماته الضرورية، ولذلك كان التعريف التام هو الذي يجمع ما هو أساسي في الشيء يميزه عن غيره ويمنع ما ليس خاصة له من الدخول فيه، ومن هنا كانت تسمية التعريف التام بالجامع المانع .

وفي أهمية الحدود أو تعريف الألفاظ العلمية يقول جابر « أما الحدود فينبغي أن ينظر فيها كل ساعة، وإن إعطاء الحد أعظم ما في الباب » .

فجابر في عبارته تلك أدرك خطر تحديد المعاني في الموضوعات حتي تبين معالمها بما لا يدع مجالا للالتباس . ، وليس هذا بالأمر الهين، فابن سينا يعترف بالعجز والقصور عن «إيفاء الرسوم والحدود حقوقها غير الحقيقية خطأها وأمن الخطأ فيها» .

ويلاحظ على ما ذكره جابر خاصا بالتعريف أنه أردف الكلام في مفهوم التعريف بالكلام في ما صدقه أي الأفراد التي يصدق عليها. إذ قال عن الحد التام المأخوذ من الجنس والفصل «صار لا يحتمل زيادة ولا نقصانا» . وأعطى المثال على أن زيادة الحد تؤدى إلي زيادة المحدود. أي الزيادة في المفهوم تؤدى إلى النقصان في الماصدق، والعكس صحيح. فنقصان المفهوم يؤدى لا محالة إلى زيادة الماصدق. هذا وقد اتخذ جابر لنفسه طريق القسمة الثنائية الأفلاطونية سبيلا إلى معرفة الحد وإلى تقسيم العلوم. ودليلنا في ذلك قوله « لما كانت العلوم على ضربين: علم الدين وعلم الدنيا، فكان علم الدين فيها منقسما قسمين : شرعيا وعقليا، وكان العقلي منها منقسما قسمين . . . ».

إذن جابر يجعل العلوم دينية ودنيوية . الدينية منقسمة إلى شرعية وعقلية ، الشرعية ظاهرة وباطنة، والعقلية منقسمة إلى علوم معان وعلوم حروف، والأخير ينقسم إلي طبيعي وروحاني. الطبيعي أقسامه أربعة هي الكيفيات الأربعة: الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة. والروحاني ينقسم إلي نوراني وظلماني، أما علوم المعاني فهي فلسفية وإلهية .

هذا عن العلوم الدينية. وهي أسبق في الذكر عند جابر من العلوم الدنيوية لأن التفرقة بين الديني والدنيوي على أساس زمن الانتفاع .

والعلوم الدنيوية نوعان : شريف ووضيع. الشريف علم الصنعة أو الكيمياء والوضيع علم الصنائع التي يحتاج إليها علم الصنعة أو الصنائع المستغني بها عن سواها في كسب الإنسان الدنيوي .

واضح تماما من تصنيف جابر أنه لا يتبع التقليد الأرسطي في تقسيم العلوم؛ بل انفرد بترتيب العلوم على النحو الذي عرضناه .

على أننا نجد له تصنيفـا آخر يجعل العلوم سبعة أحدها علم الصنعـة. وهذه السبعة هي : علم الطب، علم الصناعة، علم الخواص، علم الطلسمات، علم استخدام الكواكب العلوية، علم الطبيعة ، علم الصور وهو تكوين الكائنات .

استوحى جابر تصنيـفه هذا من تقسيم أفلاك الكواكب إلى سبـعة ولذلك جعل جابر القول في تصنيف العلوم تحت عنوان « القـول في السباعية » . وأفـاض جابر في كل علم من هذه العلوم السبعة المختلفة لبيان أقسامها الفرعية .

2- الكندى ت 260 هـ :

يعد الكندي أول مصنف للعلوم عند العرب، وهو صاحب قسمة العلوم إلى قسمين: دينية وفلسفية أو دينية ودنيوية أو علوم إلهـية وعلوم إنسانية ، وكان ذلك اتجاها جديدا على فلسـفة تقسـيم العلوم، لا نسـتطيع أن نقول إنه أخـذه من الغرب، وإنما هو ابتكـار جديد للكندي، دفعه إليه أن الإسلام جاء بعلوم لا غنى له عنها .

والكندي لم يعمد إلى وضع تصنيف للعـلوم قائم بذاته من حيث هو تصنيف نظري للمعـارف، كما فعل الخـوارزمي أو الفارابي من بعده، ولكن تصنيـفه للعلوم كان تصنيـفا عمليـا جاء أثناء ترتيـبه لكتب أرسطو في رسـالته التي أسـماها « كتب أرسطـوطاليس وما يحتاج إليه في تحصيل الفلسفة » .

فابن نبـاته يذكر من كلام الكندي في الفلسـفة « علوم الفلسفـة ثلاثة : أولها العلم الرياضي، وثانيها العلم الطبيعي ، وثالثها علم الربوبية وهو أعلاها بالطبع ».

ولكن إذا كـان الكندي يقسـم الفلسفـة التي هي علم كل شيء إلى علم وعـمل أو فلسفة نظرية وعملية - كما فعل أرسطو - فهو يقسم العلم النظري إلي قسمين كبيرين هما: علم الأمور الإلهية وعلم الأشياء المصنوعة المخلوقة. فـهذا نوع من التقسيم يفترق من حيث الروح عن التـقسيـم الأرسطي ينم عن اهتمـام الكندي بدين موحى به فـي مقابل التدين بالفلسفـة، ويستـدل بترتيب الخالق للمـوجودات بين الغليظ اللطيف علـى التدرج من علم المحسوسات إلي علم الإلهيات . ومع ذلك نجد للكندي في رسالته في كمية كتب أرسطو -

تقسيـما يجعل العلوم الفلسفـية أنواعًا أربعة: أولها المنطقـيات ولم يكن المنطق عند أرسطو جزءا من الفلسفة .

3- **الفارابى ت 339 هـ :**

أجمع الباحثـون على أن للفارابي كتابين هما «إحصاء العلوم» و «التنبـيه على سبيل السعادة» من بين كتبه الكثيرة.

وقد وقع الاخـتلاف على قصـد الفارابي من «إحصـاء العلوم» هل أراد به أن يكون كتابا يقتصر على تعديد أشهر العلوم المعروفة لعهده مع بيان مسائلها إجمالا ، أم أراد به أن يكون « تقسيما » أو « تصنـيفا » للعلوم يبين مذهبا معينا له في ترتيبـها ، على نحو ما نجد عند ابن سينا في رسالته عن «أقسام العلوم الفـعلية» وعند ابن حزم في كتابه «مراتب العلوم وكيـفة طلبـها». وعلى نحـو ما نعـرف عند طائفة من المفكرين الـغربيين المحدثـين مثل : «فرنسيس بيكون» و «أوجست كونت » و «هربرت سبنسر » .

والذي يبدو لنا أنه لا محل لهذا الاختلاف : فـإن الفارابي لم يقصد أن يكون كتاب «الإحصاء» بحثا في ترتيب العلوم وتصنيفاً ، وقـد رأينا أنه استهل كتابه بقوله « قصدنا في هذا الكتاب أن نحصي العلوم المشهورة علما علما ، ونعرف جمل ما يشتمل عليه كل واحد منها، وأجزاء ماله منها أجزاء، وجمل ما في كل من أجزائه »، فالظاهر أن الفارابي إنما أراد هنا «إحصاء» العلوم نفسها وبسط الكلام فـيها ، ولم يرد أن يتعرض للكلام عن مذهبه هو في تصنيف العلوم، ولكن هذا لا يمـنع من أن نلاحظ أن كتـابه هذا قد جـاء وفقا لتـرتيب عقلي معين لم يصرح به الفارابي هنا، وإن كان قد أوضحه في أكثر من موضع من مؤلفاته الأخرى . فكان ما راعاه الفارابي من الترتيب في كتاب « الإحصاء» جاء على سبيل التطبيق العملي لنظريته العامة في تقسيم العلوم .

أما نظرية الفارابي في تقسيم العلوم فقد أجملها في كتابه «التنبيه على سبيل السعادة» إذ قسم العلوم إلى قسمين كبيرين :

1- قسم تحصل به معرفة الموجودات التي ليس للإنسان فعلها وهو العلوم النظرية .

2- وقسم تحصل به معرفة الأشياء التي شأنها أن تفعل، والقوة على فعل الجميل منها: وهو العلوم العملية والفلسفة المدنية .

والعلوم النظرية تشتمل على ثلاثة أصناف : (1) علم التعاليم (أي العلم الرياضي)، (2) والعلم الطبيعي ، (3) والعلم الإلهي (أو علم ما بعد الطبيعة) وكل واحد من هذه العلوم يشتمل على صنف من الموجودات التي شأنها أن تعلم فقط .

أما العلوم العملية والفلسفة المدنية فهي صنفان :

1- صنف يحصل به علم الأفعال الجميلة ، والأخلاق التي تصدر عنها الأفعال الجميلة، والقدرة على أسبابها، وبه تصير الأشياء الجميلة فنية لنا وهذه تسمي «الصناعة الخلقية» أو علم الأخلاق .

2- وصنف يشتمل على معرفة الأمور التي تحصل الأشياء الجميلة لأهل المدن، والقدرة على تحصيلها لهم وحفظها عليهم، وهذه تسمي « الفلسفة السياسية» أو علم السياسة.

فإذا نظرنا الآن في كتاب « إحصاء العلوم» وجدنا الفارابي يقسمه خمسة فصول تحتوي على ثمانية علوم، هي: علم اللسان، وعلم المنطق، وعلم التعاليم، والعلم الطبيعي، والعلم الإلهي، والعلم المدني، وعلم الفقه، وعلم الكلام.

وإذا تأملنا هذا التقسيم نفسه وجدنا في صميمه تطبيقا لنظرية الفارابي التي ذكرها في التنبيه على سبيل السعادة»: فقد قدم علم اللسان وفروعه وأعقبه بعلم المنطق. وتفسير ذلك ظاهر من كلامه: لأن علم اللسان عند كل أمة أداة لتصحيح ألفاظها وتقويم عباراتها ، وجب تقديمه على سائر العلوم، ثم إن علم اللسان مما لا يستغنى عنه في دراسة « أوائل صناعة المنطق» كما قال الفارابي في بعض كتبه ، «ولأن موضوعات المنطق هي المقولات من حيث تدل عليها الألفاظ، والألفاظ من حيث دالة على المعقولات » ، كما قال في كتاب «الإحصاء» وبعد أن فرغ الفارابي من علم اللسان عرض مباشرة لعلم المنطق، وقد قدمه على سائر العلوم لأنه « يعطي جملة القوانين التي شأنها أن تقوم العقل وتسدد الإنسان نحو طريق الصواب » . وبعبارة أخرى لأن قوانين المنطق قوانين عامة كلية لابد من مراعاتها في

أي علم لعصمة الأذهان من الزلل في الأحكام. وإذن فتقدم المنطق على العلوم الأخرى هو عند الفارابي تقدم بـالذات أو بالحيثية : لأن المنطق في نظره « رئيس الـعلوم» وحكمه نافذ فيها .

وبعد ذلك قسم الفارابي العلوم قسمين كبيرين :

1- علوم نظرية وهي التي تكلم عليـها في الفصلين الثالـث والرابع، وجعلها مشـتملة على العلوم الرياضية بأنواعها وأجزائها .

2- وعلوم عملية وقد تكلم عليها في الفصل الخامس، وذكر منها العلم المدني (أي الأخلاق والسياسة) وأضاف إليه علم الفقه وعلم الكلام .

وإذن فالمطابقة ظاهرة بين المذهب العام للفارابي فـي ترتيب العلوم كما بينه في كتابه «التنبيه على سبيل السعادة» وبين الترتيب الذي اتبعه بالفعل في كتاب «الإحصاء».

لقد كان للفارابي أثر كـبير في وضع مؤلفات وموسوعات علمـية عربية، فمن ذلك «رسائل إخوان الصفـا» التي ظهرت في منتصف القرن الرابع الهجرى (العـاشر المسيحي)، وكتاب «مفاتيح العلوم» للخوارزمي (المتوفي سنة 387 هـ - 997 م)، وكتاب «الشفاء» لابن سينا (المتـوفي سنة 428 هـــ - 1037 م)، ورسالة «إرشـاد القاصـد إلى أسني المقـاصد» للبخاري الأكفاني (المتوفي سنة 749 هـ - 1248 م)، وابن خلدون المتـوفي سنة 808 هـ في مقدمته المشهـورة لكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، «ومفتاح السعـادة ومصباح السيادة» لطاشكبرى زاده (المـتوفي سنة 968 هـ - 1560 م)، وكشف الظنون عـن أسامي الكتب والفنون» لمصطفى عبد الله الشهيـر بحاجي خليفة وبكاتب جلبي (المتوفي سنة 1068 هـ - 1658 م)، «واتخـذ العلوم» لصديق حـسن خان (المتـوفي سنة 1207 هــ - 1898 م)، وكشـاف اصطلاحات الفنون للمولوي الـتهانوي الهندي، وهؤلاء جـميعـا تأثروا بالفارابي وخاصة في كتابيه السابق الإشارة إليهما وخاصة في مجال تقسيم العلوم وترتيبها .

4- إخوان الصفاء 373 هـ :

في النصف الثـاني من القرن الرابع الهجـري العاشـر الميلادي 372 هــ (983 م)، ظهرت جماعة سياسية دينية ذات نزعات شيـعية متطرفة ، وربما كانت إسماعيلية على وجه

أصح . وأعضاء هذه الجماعة التي اتخذت البصرة مقرًا لها كانوا يطلقون على أنفسهم «إخوان الصفاء» لأن غاية مقاصدهم إنما كانت السعي إلى سعادة نفوسهم الخالدة، متضافرين فيما بينهم، وبغير ذلك من الطرق، وخاصة العلوم التي تطهر النفس. وقد قدمت هذه الجماعة سلسلة من الرسائل رتبت ترتيبا جامعا لشتات العلوم متمشيا مع الأغراض التي قامت من أجلها الجماعة. ويقال عادة إن هذه الرسائل قد جمعت ونشرت في أواسط القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) تقريبا . وهي تبلغ 52 رسالة . والجزء الأول من هذه الرسائل يحتوي على أربع عشرة رسالة تعالج مبادئ الرياضيات والمنطق، بينما يعالج الجزء الثاني الذي يحتوي على سبع عشرة رسالة في العلوم الطبيعية فتبحث فيما بعد الطبيعة، وتتناول الرسائل الإحدى عشرة الأخيرة التصوف والتنجيم والسحر .

فإذا كان هذا هو التقسيم الرباعي للعلوم عند إخوان الصفا فإنهم يعرضون تقسيما آخر ثلاثيا في قولهم « أن العلوم التي يتعاطاها البشر ثلاثة أجناس . فمنها الرياضية ، ومنها الشرعية الوضعية ومنها الفلسفة الحقيقية » .

ويبدو أن المراد بهذا التقسيم هو المقابلة بين العلوم العقلية والنقلية على أساس أن الفلسفة علم عقلي يعول فيه على النظر وفق العقل أما العلوم الشرعية الوضعية فهي علوم نقلية. وقد جعلوا الرياضيات سابقة عليها في قولهم « لكيما يسهل الطريق على المتعلمين إلى طلب الحكمة التي تسمى الفلسفة ».

ولذلك جاء التقسيم الرباعي لاحقا بهذا التقسيم الثلاثي وإن اختلف مفهوم الرياضيات في الحالين. ففي التقسيم الرباعي تصير الرياضيات نوعا من العلوم الفلسفية ، بل أول هذه الأنواع. أما في التقسيم الثلاثي، فالرياضيات يراد بها العلوم الدنيوية «التي وضع أكثرها لطلب المعاش وصلاح أمر الحياة» .

5- ابن النديم ت نهاية القرن الرابع الهجرى تقريباً :

ذكرنا فيما سبق جهود علماء العرب المسلمين في مجال تقسيم العلوم، وهي محاولات تعتمد فى أساسها على المنطق والفلسفة بحيث نستطيع أن نقول إنها فلسفية .

حتى إذا مـا وصلنا إلى محمد بن إسـحق النديم، الوراق، نجده يسجل لنا مـعارف عصره ويتـرك لنا تقسيما لما وصلت إليه يده مـن الكتب العربية المؤلفة والمترجمـة حتى عام 377 هـ.

وما يهمـنا أساسًا في كتاب ابن النديم « الفـهرست» هو ذلك التقسـيم الذي قسم به الكتب العربية حيث قسم كتابه إلى عشر مقالات وكل مقال قسم إلي فئتين أوثلاثة أو أكثر. ونحن إذا تأملنا هذا الجهد الذي تركه لنا ابن النديم نجده تقسيما علميا للإنتاج الفكري الذي خلفه المسلمون الأوائل بجانب كونه وثيقة هامة تسجل هذا الإنتاج .

فالمقالة الأولى :تدور حول وصف لغـات الأمم من العرب والعجم ونعوت أقـلامها وأنواع خطوطها وأشكال كتاباتها .

والمقالة الثانية : النحو والنحويون من بصريين وكوفيين وأخبارهم وأسماء كتبهم.

والمقالة الثـالثة : الآداب والأخبـار والسير، أخـبار الإخبـاريين والرواة والنسابين، وأصحاب السـير والأحداث، وأسمـاء كتبهم. وأخـبار الملوك والكتاب والمترسـلين وعمال الخراج وأصـحاب الدواوين وأسمـاء كتـبهم وأخبـار الندماء والجلساء والمغـنين والمضحكين وأسماء كتبهم .

والمقالة الرابعـة : الشعـر والشعراء ابتـداء من الشعراء الجـاهليين وانتهاء بالشـعراء المعاصرين له وصناع دواوينهم وأسماء رواتهم .

والمقالة الخـامسة : علم الكلام والمتكلمين من معتزلة ومرجئة وشـيعة بفرقها وجبرية وخوارج وزهاد ومتصوفة وأخبارهم وأسماء كتبهم .

والمقالة السادسة :الفقه والفقهاء والمحدثون وأخبارهم وأسماء كتبهم .

والمقالة السابعة : الفلاسفة والفقهاء والمحدثون وأخبارهم وأسماء كتبهم والرياضيون والمنجمون وصناع الآلات وأصحاب الحيل والحركات والأطـباء والمتطببون وأخبارهم وأسماء كتبهم .

والمقالة الثامنة: الأسماء والخرافات والسحـر والشعوذة وأصحاب هذه المهن أن صح أن تسمى مهنا وأخبارهم وأسماء كتبهم .

والمقالة التاسعة: المذاهب والاعتقادات المعاصرة لزمانه من صابئة وثنوية ، ومنانية وديصانية، وخومية ومزدكية وغيرها مع أخبار رجالها وأسماء كتبهم .

والمقالة العاشرة : للكيميائيين والصنعويين من الفلاسفة القدماء والمحدثين وأخبارهم وأسماء كتبهم .

فنحن أمام دائرة معارف علمية أدبية فقهية في مجالات مختلفة كالببليوجرافيا أي فن حصر الكتب والتعريف لها ولمؤلفيها ، والتراجم ، والعلوم التي غلبت على المجتمع الإسلامي حتي نهاية عام 377 هـ وهي الفترة التي حددها ابن النديم نهاية لحصره كما ذكر في مقدمته، رغم أن كثيرًا من الباحثين يقررون أنه توجد تراجم لعلماء ترجع إلى ما بعد هذه الفترة ويذهبون بناء على ذلك على اعتبار أن ابن النديم توفي بعد هذه الفترة أي بعد عام 377هـ ، وكذلك اعتبار آخر محتمل أيضا وهو إمكانية إضافة بيانات عن طريق المؤلف.

ومهما يكن فإن ما يعنينا حول فهرست ابن النديم أنه تصنيف ببليوجرافي لمعارف عصره، هذه المعارف التي دونت في القرون السابقة لزمانه سواء كانت مؤلفة أو مترجمة، ولولا ابن النديم، ما علمنا عن تراثنا في هذه الفترة شيئًا على وجه الإطلاق .

وابن النديم عالم ثقة، رائد لكل من جاء بعده على مختلف مدارسهم، مبدع على اختصاره، مفصل على إيجازه جماع ثقة للأخبار ، معرف بارع بالأعلام والعلماء ، عالم بالكتب وتصنيفها .

6- الخوارزمي ت 387 هـ :

إن الجهد الذي قام به الخوارزمي، أبي عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الخوارزمي (المتوفي سنة 387 هـ - 997 م)، يعتبر إضافة جديدة إلى التصنيفات التي عرضنا لها، فهو ميز بين العلوم العربية الصرفة والعلوم الأجنبية وذلك واضح عنده في كتابه « مفاتيح العلوم»؛ إذ رتب مادته وفقا لتصنيف مسبق للمعرفة البشرية .

فقد جعل الخوارزمي كتابه الذي لا يزيد عن خمسمائة صفحة على مقالتين: الأولى في العلوم الشرعية وما يقترن بها مـن العلوم العربية، والثانية في علوم العجم من اليونانيين وغيرهـم من الأمم، الأولى في ستة أبواب وتحتـوي على علوم الشريعة وما يتـصل بها من العلوم العربية (الفقه والكلام والنحو والكتابة والشعر والعروض والأخبار) والثانية في تسعة أبواب، وتتناول علوم العجم من اليونانيين وغيرهم من الأمم (الفلسفة والمنطق والطب وعلم العدد والهندسة وعلم النجـوم والموسيقى والحيل والكيمـياء) ويكون الخوارزمي بذلك أول من حاول التمـييز بين علوم العرب وعلوم اليـونان ، كما أنه أول من أضاف من الفـلاسفة العرب إلى تقسيم المعرفة علمي الطب والكيمياء .

ولم يكن الخوارزمي يقـصد بكتابه تقسـيما للمعـرفة، فهو كـما يقول في مقـدمته: «دعتني نفسي إلى تصنيف كتاب يكون جامعـا لمفاتيح العلوم وأوائل الصناعات، متضمنا ما بين كل طبقة من العلماء من المواصفات والاصطلاحات التي خلت منها أو من جلها الكتب الحـاضرة لعلم اللغـة، حتي أن اللغـوي المبرز فـي الأدب، إذا تأمل كتـابا من الكتب التي صنفت في أبواب العلم والحكمة، ولم يكن قد شاهد صورا من الصناعة، لم يفهم شيئا منه وكان كالأمي الأعتم عند نظره فيه ».

فهو كتاب لغة في ألفاظ سائر العلوم كما يشاء به صاحبه، ولو أنه يكتب على ظاهر كتابه أنه مدخل للعلوم والفنون جـامع لأوائلها ومصطلحاتها ، ولكنه يعود فيـستدرك قائلا إنه شرح الأسماء والتـعاريف للعلوم اللسانية ، والصنائع اليدوية والمواصـفات العامة . . . إلخ، من أجل ذلك فنحن نعتـبر الخوارزمي في كتابه مـفاتيح العلوم صاحب فضل مضـيفا الجديد في مجال تقاسيم أو تصانيف العلوم والمعارف في الإسلام رغم أنه كتاب لغة وشارح لألفاظها .

7- ابن سينا ت 428 هـ :

ممن تأثر بتقسـيم الفارابي لعلوم عصره - ابن سينا - في رسالتـه « في أقسام العلوم العقلية» وهي أدخل في موضوعاتها من كتابه « الشفاء » الذي جعله موسوعة تتناول العلوم جميعا .

ويكفي أن نذكر هنا أن طاش كبرى زاده المتوفي سنة 968 هـ حين تحدث عن تصنيف العلوم لم يذكر من السابقين عليه إلا ابن سينا في رسالته السالفة الذكر وذلك في قوله «وصنف ابن سينا في العلم رسالة لطيفة عظيمة المنفع في هذا الباب ».

وقد كانت عبارة طاش زاده بصدد تعريفه لعلم تقاسيم العلوم الذي أسميناه علم التصنيف، وسنعرض لهذا التعريف في حينه .

والشيخ الرئيس ابن سينا يؤلف في الشعر ينظمه بالفارسية والعربية، وهو يكتب في الطب والفلسفة والموسيقى والحساب والهندسة والهيئة والفلك حتى تتجاوز مصنفاته المئتين، فإن هو قسم المعرفة بعد ذلك إلى مختلف أقسامها فإنما هو يفعل ذلك فعل خبير متمرس .

ومن خلال رسائل ابن سينا وكتبه المختلفة التي تعبر عن فكره استطاع الباحثون التوصل إلى فلسفته في تقسيم العلوم، فهو يقسمها إلى قسمين رئيسيين : نظرية وعملية:

النظرية :وتشمل المنطق والعلم الطبيعي والعلم الرياضي والعلم الإلهي والعلم الكلي .

العملية : وتشمل علم الأخلاق وتدبير المنزل وتدبير المدنية والنبي والمقصود بالنبي الذي يسن الشرائع العامة التي تقنن تدبير المنزل وتدبير المدنية معًا .

وفي شيء من التفصيل يعود ابن سينا إلى كل من هذه الأجناس فيقسمها إلى أقسام أصغر، فهو يقسم المنطق إلى أقسامه التسعة التي سبق القول عنها، وهو إذ يفعل لا يضيف شيئا جديدا إلى ما نقله الفارابي عن أرسطو، وهو يعترف بفضل الفارابي عليه ليس هنا فقط ولكن في غير ذلك من المواضع، فهو يقول إن كتاب أرسطو فيما بعد الطبيعة استعصى عليه حتى أنه قرأه أربعين مرة وحفظه غيبا دون أن يفهمه حتى وقع له صدفة كتاب الفارابي «أغراض ما بعد الطبيعة لأرسطو» ولما قرأه انكشف له ما كان مستغلقا .

8- الغزالي ت 505 هـ :

أدرك فلاسفة المسلمين إذن أهمية تقسيم المعرفة كمدخل للمعرفة ذاتها، وكانوا يعنون ببيان ذلك فيما يكتبون ، بل إن الذين لم يصنفوا المعارف في بحث قائم بذاته كانوا يصرون

على أن يعلم الناس من حولهم أنهم قبل أن يتحدثوا في الفلسفة قد أتقنوا الدخول من هذا المدخل العريض .

والغزالي يقسم العلوم إلى قسمين، علم المكاشفة وعلم المعاملة، وأما علم المعاملة فيبحث في الأعمال أي فيما ينبغي على المرء أن يفعله ليكون سلوكه موافقا لروح الشريعة ، وقد ألف في ذلك كتابه «إحياء علوم الدين».

وأما علم الكلام، فقد حدده الغزالي تحديدا دقيقا وافيا في كتابه « الاقتصاد في الاعتقاد» .

وأبو حامد الغزالي فوق ذلك يقسم علوم الفلاسفة إلي أقسام ستة رئيسية هي: الرياضية ، والمنطقيات، والطبيعيات ، والإلهيات ، والسياسيات، والخلقية .

9- ابن الأكفاني ت 749 هـ :

والأكفاني هو شمس الدين محمد بن إبراهيم بن ساعد السنجاري الأكفاني (المتوفي سنة 749 هـ - 1348 م)، وهو مصري، ومعروف بابن الأكفاني. ورسالته : « إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد» فقد ذكر بها طائفة كبيرة من العلوم .

وهو طبيب، رياضي، حليم، ناظم، ولد بسنجار ونشأ بها وسكن القاهرة، وزاول صناعة الطب، وتوفى بها .

وأساس التصنيف عند الأكفاني ، هو التصنيف إلى علوم آلية وغير آلية، فتصنيف الأكفاني للعلوم يمكن أن نعرفه من ثلاثة رؤوس لموضوعات هي : القول في حصر العلوم أولاً، والعلوم الحكمية النظرية ثانيًا ، والعلوم الحكمية العملية ثالثًا ، وما يهمنا هو الرأس الأول لأن ما ورد تحت الرأسين الأخيرين هو ما وجدناه عند أرسطو وكذلك عند الفارابي.

بل نجد الأكفاني ينقل عبارات بنصها من الفارابي في «إحصاء العلوم» يقول الأكفاني في حصر العلوم «كل علم إما أن يكون مقصودا لذاته، أو لا يكون مقصودا بذاته بل آلة لغيره ».

ومعـنـي ذلك أن العلوم إما غـير آليـة أو آلية لأنهـا إما أن لا تكون في أنفـسهـا آلة لتحـصيل شيء آخـر ، بل كانت مقـصودة لذاتهـا وبذاتها أو تكون آلة غيـر مقـصودة في أنفسها.

10- ابن خلدون ت 808 هـ :

عقـد ابن خلدون في «مقدمتـه» المشهورة لكتـاب العبر وديوان المبـتدأ والخبر فـصلا مسـتفيـضا في العلوم وأنواعهـا وسائر طرقهـا وأنحائها فـتكلم عن طائفة كبـيرة من علوم الحضارة في عهده، كعلوم القرآن والإلهيات والسحر والكلمات . . . الخ. ويبدو أن أساس تقسـيم العلوم عند ابن خلدون لا يخـتلف كثيـرًا عن أساسـه عند الخوارزمي في «مـفاتيح العلوم».

وبعبـارة أخرى ، إن أساس التـصنيف الذي وجدناه عند الخـوارزمي قد أوحي لابن خلدون بتصنيف العلوم المتداولة في عصره إلى علوم يهتدي إليها الإنسان بطبيعة فكره وهي العلوم الحكمية الفلسفية ، وإلى علوم نقلية وضعية مستندة إلى الخبر عن الواضع الشرعي .

والعلوم الأولي تشترك فيها كل الأمم، أما الثانية فهي مختصة بالملة الإسلامية وأهلها وإن شاركتها من بعيد أمم أخرى وفي أمور مجملة.

والفارق بين الخوارزمي وابن خلدون هو أن العلوم الأجنبيـة عند الخوارزمي أصبحت عند ابن خلدون علوما عـقلية تشترك فيـها كل الأمم . أما العلوم الشرعـية عند الخوارزمي فهي العلوم النقلية عند ابن خلدون، ولا خلاف بين الاثنين في اخـتصاص أمة العرب بها، ثم يذكر ابن خلدون أن « هذه العلوم الشرعية النقليـة قد نفقت أسواقها في هذه الملة بما لا مزيد عليه، وانتهت فيها مدارك الناظرين إلى الغاية التي لا شيء فوقها ».

وما يعنينا في تصنيف ابـن خلدون هو تلك التفرقة بين علوم تشـترك فيهـا الأمة مع غيرها، وعلوم تختص بها دون غيـرها، هذا الأساس يحمل دلائل صدقه حتى الآن. ذلك أن لكل أمة علومها الأصيلة التي تحتاج إلى تصنيف خاص بها .

11- طاش كبرى زاده ت 968 هـ :

يعتبر كتاب أحمد بن مصطفي الشهير بطاش كبرى زاده «مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم» من أكمل التصنيفات العربية .

فهو الذي جعل التصنيف علما مستقلا، إذ يعرفه بقوله «هو علم باحث عن التدرج من أعم الموضوعات إلى أخصها ليحصل بذلك موضوع العلوم المتدرجة تحت ذلك الأعم. ويمكن التدرج فيه من الأخص إلى الأعم كذلك ».

ومعني ذلك أن التعريف من المقدمات إلى النتائج، ومن العموميات إلي الخصوصيات ويقابله منهج آخر صاعد من أسفل إلى أعلى؛ أي من الجزئيات إلى المبدأ أو القانون وهو المنهج الاستقرائى الذي أدركه كذلك طاش زاده، وهو أحدث مناهج التصنيف الحالية .

إذن هما طريقتا التحليل والتركيب أو الاستنباط والاستقراء جمع بينهما طاش زاده في تصنيفه لعلوم عصره، وللتعرف على منهج طاش زاده في التصنيف نضع أمامنا مقدمته في «بيان حصر العلوم في الإجمال» وقد جاء فيها «اعلم أن للأشياء وجودا في أربع مراتب: في الكتابة والعبارة والأذهان والأعيان وكل سابق منها وسيلة إلى اللاحق ».

وقد قسم طاش زاده كتابه إلى سبع شعب وهو تقسيم لعلوم عصره حيث يخبرنا في مقدمته إلى أنه لم يسجل في نظامه إلا العلوم التي كتبت عنها مؤلفات مستقلة وذلك في قوله: «هذه هي الأصول السبعة، ولكل منها أنواع ، ولأنواعها فروع يبلغ الكل على ما اجتهدنا في الفحص والتنقير عنه بحسب موضوعاته وأساميه، وتتبع ما وقع فيه من المصنفات إلي مائة وخمسين نوعًا ».

إذن طاش زاده اعتمد على المؤلفات في تصنيفه وليس على مجرد التقسيم الفلسفي، وكذلك جاء تصنيفه أقرب التصانيف إلي النظام الحديث، من حيث تسجيله لأدق التفاصيل.

ونلحظ أنه كان يبدأ تصنيفه بتعريف العلم، موضوعه وغايته، ثم يعقب ذلك بذكر المصنفات فيه: المختصرة والمتوسطة والمبسوطة، ونستطيع أن تعتبر ذلك مبدأ التفصيل الشديد

والتصنيف الدقيق Close Classification ولا وجه لمقارنة تصنيف طاش زاده بتصنيف أرسطو والفارابي أو غيرهما، وذلك لتقدم المعرفة وتميز فروعها في عصره، بحيث أصبح للمباحث الصغيرة مؤلفات مستقلة، فإذا اعتبرنا طاش زاده أفضل من بحث في تصنيف العلوم من العلماء المتأخرين ودقق فيه وأجاد في تعريفه وتقسيمه كان ذلك حقا لا ينتقصه أخذه الكثير من التعريفات عن الأكفاني، وتستمر الجهود الطيبة في مجال تصنيف العلوم، لنجد بعد طاش زاده حاجي خليفة المتوفي عام 1068هـ، أي بعده بقرن من الزمان يترك لنا كتابه «كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون».

وهذا الكتاب أشبه بمعجم كبير في عناوين الكتب العربية والتركية والفارسية التي تيسر للمؤلف أن يقف عليها، وقد لخص حاجي خليفة في مقدمته «لكشف الظنون» بعض ما ورد في المقدمة الخلدونية وفي «مفتاح السعادة» وغيرهما، وقد سلك في ذلك مسلك طاشكبرى زداه، وإن كان قد تعرض له بالنقد حينا وبالنقل عنه والزيادة عليه حينا آخر.

وقد تكلم مصطفى عبد الله، الشهير بحاجي خليفة وبكاتب جلبي في مقدمة كتابه عن ماهية العلم وموضوعه وغايته وتقسيمه، وعن منشأ العلوم والكتب في البلاد الشرقية، وعن مسائل أخرى متصلة بتاريخ المعارف واللغة العربية وآدابها.

كما ينبغي أن نشير أخيراً إلى كتاب «أبجد العلوم»، لصديق حسن خان المتوفى عام 1207هـ، فقد نقل كذلك عمن سبقوه في هذا الفن كالأكفاني وابن خلدون وغيرهما. ونختتم هذه الجهود بذكر كتاب «كشاف اصطلاحات الفنون» للمولوي التهانوي الهندي وقدجاء في مقدمة الكتاب بيان عن العلوم المدونة مع ذكر موضوعاتها، ونلاحظ هنا أيضاً أن المصنف قد أخذ كثيراً من التعريفات والشروح عمن سبقوه كصاحب «كشف الظنون» وصاحب «إرشاد المقاصد» وصاحب «مفتاح السعادة» وغيرهم.





مكتبة الإسكندرية والفتح الإسلامي



ملخص الدراسة :

احتلت مكتبة الإسكندرية قبل الفتح الإسلامي وبعده دورًا حضاريًا هامًا في تواصل الحضارات، ولكـن المكتبة قد حـرقت ودمرت عام 48 قبل الميـلاد أو عام 391 بعد الميلاد وليس صحيحًا أن العرب المسلمين قاموا بحرقها عندما فتحوا مصر عام 640 م.

لذلك قام الباحث بتـتبع المشكلة في الدراسات المنشورة في المراجع العربيـة وغيرها، ووضع الأدلة التي تثبت براءة المسلمين .

ومن أهم الأدلة التي أضافهـا الباحث هو استمرار مكتبـة دير سانت كاترين في أداء دورها الحضاري، وكذلك الأثر الحضاري لمكتبة الإسكندرية في الحضارة العربية الإسلامية.

ومن أهم النتائج والتوصيات التي يثيرها الباحث :

1- لم يقدم المسلمون على حرق مكتبة الإسكندرية .

2- ضرورة الاهتمام بالوثائق والمخطوطات العربية الإسلامية وتخصيص موضع لها في المكتبة الجديدة بالإسكندرية .

3- ضرورة الاتجاه لدراسة محتويات مكتبة دير سانت كـاترين على اعتبار أنها معاصرة لمكتبة الإسكندرية ، حيث كـانت الأديرة في ذلك الزمان تعتبر مـراكز ثقافيـة للحضارة التي سبقت الإسلام.

4- الاهتمام بتكنولوجيا وسائل الاتصال في الاستفادة من تراث المكتبات القديمة قبل الإسلام وبعده، من خلال شبكات المعلومات القومية .

مشكلة الدراسة :

لعبت مكتبة الإسكندرية دورًا حضاريًا كبيرًا ، استطاع العلماء والباحثون أن يستفيدوا من هذا الدور في تقديم العلوم والحضارة اليونانية للأجيال اللاحقة، فقد كانت المكتبة منارة للعلم والحضارة ، بناها بطليـموس الأول في بدايات القرن الثالث قبل الميلاد بـتشجيع من ديمتريوس «الفاليري» ، ثم دمرها «يوليوس قيصر» حين غزا مصر سنة 48 قبل الميلاد، وفي

رواية دمرها الإمبراطور «ثيودوسيوس» سنة 391 بعد الميلاد، وفي رواية كاذبة دمرها عمرو ابن العاص بعد أن دخلها فاتحا عام 640 ميلادية .

والمشكلة التي أثيرها هنا، هي كيف يتهم المسلمون بحرقها بالرغم من ذلك الدور الحضاري الكبير الذي لعبته المكتبة في الحضارة العربية الإسلامية، مما ينفي تماما التهمة الموجهة إلى المسلمين بحرق ما تبقي منها من مراجع في كافة مجالات العلوم والمعارف .

هدف الدراسة :

تهدف هذه الدراسة إلى إثارة الانتباه إلى ما يلي :

1- نفي التهمة الموجهة إلى المسلمين بحرق مكتبة الإسكندرية .

2- تأكيد الدور الحضاري المتواصل لمكتبة الإسكندرية .

فروض الدراسة :

1- لم يحرق المسلمون مكتبة الإسكندرية عند الفتح العربي لمصر عام 640م.

2- لعبت مكتبة الإسكندرية دورًا حضاريًا في تواصل الحضارات .

أهمية الدراسة :

تتضح أهمية هذا البحث فيما يلي :

1 - يهتم العالم هذه الأيام بإحياء مكتبة الإسكندرية خاصة وأن مصر أرض الحضارات القديمة وتأثيرها واضح في مجال الثقافة العالمية .

2- وإذا كان على الدول الاهتمام بالتنمية الاقتصادية فإنها أيضا تسعى نحو الاهتمام بالتنمية الثقافية .

3- وتاريخ مكتبة الإسكندرية، ودراسة جوانبه المختلفة يدخل ضمن تخصصات متعددة منها، علم الوثائق والمكتبات وعلم البصريات، وعلم الآثار، والحفريات، والتاريخ القديم لشعوب البحر المتوسط، فضلاً عن جملة من اللغات القديمة والحديثة، أهمها اليونانية واللاتينية والقبطية والعبرية والسوريانية والعربية والفرنسية والإنجليزية .

4- تكذيب ما يثيره بعض الباحثين حول حرق المسلمين لمكتبة الإسكندرية مما نشر في الفترة الأخيرة، حيث صدر عام 1987 في إيطاليا كتاب بعنوان : «التاريخ الحقيقي لمكتبة الإسكندرية»، وصاحبه باحث إيطالي متخصص في التاريخ والآداب القديمة ، وهو «لوسيانو كامفورا» ، ونال كتابه هذا الجائزة اللاتينية المخصصة للمؤلفات التي تدور حول الكلاسيكيات، وقد ترجم الكتاب إلى عدة لغات منها الفرنسية، ونشرته دار ديجونكير بالتعاون مع المركز القومي للآداب في فرنسا . وأهم ما جاء في الكتاب هو نهاية المكتبة على يد العرب فيتهمهم بحرقها. وهذا ما نرغب في إزالة هذه التهمة عنهم، وهو مما يضيف أهمية خاصة إلى هذه الدراسة

إجراءات الدراسة :

اتبع في إجراءات الدراسة ما يلي :

1- الرجوع إلى المراجع العربية وغيرها، القديمة منها والمعاصرة، والتي تنفي التهمة الموجهة إلى المسلمين بحرق المكتبة ، وتؤكد دور المسلمين في نقل ما تبقي منها من ثقافات وعلوم .

2- عرض الدراسة على الباحثين في مجال العلوم المتصلة بهذه المكتبة وذلك للحكم على مادتها العلمية .

أقسام الدراسة :

تناولت الدراسة الأقسام التالية :

1- نشأة مكتبة الإسكندرية .

2- الأحداث التي تعرضت لها مكتبة الإسكندرية .

3- مكتبة دير سانت كاترين .

4- أثر مكتبة الإسكندرية في الحضارة العربية الإسلامية .

5- نتائج الدراسة .

أولاً : نشأة مكتبة الإسكندرية والأحداث التى تعرضت لها :

لم يكن لمكتبة الإسكندرية أن تلعب دورها، دون التأثر بالمكتبات الأخرى في الحضارة المصرية القديمة، وبمعنى آخر، فإن مكتبة الإسكندرية ، ليست أولى المكتبات التي عرفتها مصر القديمة، ولكن سبقتها الكثير من المكتبات مثل : المكتبة المقدسة والتي كانت موجودة، داخل ضريح رمسيس الثاني في طيبة (الأقصر)، وقد تحدث عنها «كامفورا» في كتابه المنشور في إيطاليا والسابق ذكره نقلا عن الرحالة اليوناني القديم «هيكاتيوس» الذي زار مصر في عهد بطليموس الأول في أوائل القرن الثالث قبل الميلاد .

وتبدأ قصة نشأة المكتبة في الاسكندرية منذ هروب «ديمتريوس الفاليري» الذي كان حاكمًا لأثينا ولجأ إلى «بطليموس الأول» ، حيث أشار عليه بإنشاء المكتبة والتي صار أمينا لها .

كان ديمتريوس حريصا على بناء وتنمية المجموعات، وقد وضع خطة محكمة في رسم هذا البرنامج بحيث استطاع أن يكوّن مجموعات المكتبة.

فقد كان صاحب الأمر والنهي في أمر المكتبة ، وسار على أن يصادر أي كتاب يوجد في أي سفينة ترسو في الميناء، لكنه مع ذلك كان يأمر بعمل نسخ من الكتب المصادرة لتعطى لأصحابها ، أما الأصول فيحتفظ بها في مكتبة الإسكندرية .

وبهذه الطريقة جمع عشرات الآلاف من الكتب التي ظهرت في البلاد الممتدة من صقلية إلى مقدونيا وآسيا الصغري ومن بلاد المغرب إلي الهند وأفغانستان بلغاتها الأصلية وبترجماتها اليونانية .

ولم يكن دافعه إلى هذا مجرد حب المعرفة وإشباع الفضول إلى اكتشاف الآخرين، وإنما كانت للمكتبة أيضًا أهدافها السياسية، فالبطالمة ورثة الإسكندر الذي كانوا يحلمون مثله بالسيطرة على شعوب العالم القديم، لذلك فقد كان عليهم أن يعرفوا كيف تفكر هذه الشعوب ليتمكنوا من السيطرة عليها[1] .

---

(1) أحمد عبد المعطي حجازي: تاريخ مكتبة الإسكندرية من وجهة نظر إيطالية .
- الأهرام (القاهرة) ص 12 ، 24/8/1988 .
- وهو عرض لكتاب، لوسيانو كامفورا: التاريخ الحقيقي لمكتبة الإسكندرية .

ثانياً – الأحداث التي تعرضت لها مكتبة الإسكندرية :

لقد تعرضت مكتبة الإسكندرية إلى الدمار والحريق الذي أصابها عامي 48 قبل الميلاد و 391 بعد الميلاد وهي ما يعبر عنه الباحثون بالمكتبة الأولى والثانية .

أما ما حدث عام 640 وهو فتح العرب لمصر، وما تناقلته بعض المراجع العربية، فهو أمر لا يصدقه عقل ونحن نناقشه إظهارا للحق والبرهان الصحيح .

والقصة كما أوردها أبو الفرج [1] كما يلي :

« قد كان في ذلك الوقت رجل اشتهر بين المسلمين اسمه (حنا الأجروحي) وكان من أهل الإسكندرية وظاهر من وضعه أنه كان من قسوس القبط، ولكنه أخرج من عمله إذ نسب إليه زيغ في عقيدته، وكان عزله على يد مجمع من الأساقفة منعقد في حصن بابليون، وقد أدرك ذلك الرجل فتح العرب للإسكندرية واتصل بعمرو ، فلقي عنده حظوة لما توسم فيه بصفاء ذهنه وقوة عقله من الذكاء، وعجب مما وجد عنده من غزارة العلم، فلما آنس الرجل من عمرو ذلك الإقبال قال له يوما «لقد رأيت المدينة كلها وختمت على ما فيها من التحف، ولست أطلب إليك شيئًا مما تنتفع به بك شيئًا لا نفع له عندك وهو عندنا نافع».

فقال عمرو : «وماذا تعني بقولك فقال :

«أعني بقولي ما في خزائن الروم من كتب الحكمة» فقال له عمرو: «إن ذلك أمر ليس لي أن أقطع فيه رأيا دون إذن الخليفة». ثم أرسل كتابا إلى عمر يسأله في الأمر فأجابه

(1) طبعة Pococke ص 114، في كتابه مختصر الدول وينقل لنا ، تيلر، الفرد ج في كتابه: فتح العرب لمصر ترجمة محمد فريد أبو حديد . – القاهرة : دار الكتب المصرية 1933 ص 348 - 371 ، فصلا، ورقم "25" بعنوان مكتبة الإسكندرية .

– ولم يكن تيلر فقط، بل سبقه ولحقه كتاب غربيون يناقشون هذه القصة ويظهرون كذبها، كما ناقشها كتاب آخرون عرب في أيامنا الحالية وعلى رأسهم العقاد وحسن إبراهيم حسن وسيدة كاشف، رغم أن كل هذا الجمع من الباحثين لا يؤيدون فكرة إحراق مكتبة الإسكندرية فإننا نجد جورجي زيدان وكامفورا الإيطالي يؤيدانها ، لذلك فإننا نثير هذا الحدث بشيء من التفصيل .

عمر قائلاً : «وأما ما ذكرت من أمر الكتب فإذا كان ما بها يوافق ما جاء في كتاب الله فلا حاجة لنا به وإذا خالفه فلا أرب لنا فيه واحرقها» فلما جاء هذا الكتاب إلي عمرو أمر بالكتب فوزعت على حمامات الإسكندرية لتوقد بها فما زالوا يوقدون بها ستة أشهر».

هذه هي القصة كما جاءت في اللغة العربية وقد كتب أبو الفرج ما كتبه في النصف الثاني من القرن الثالث عشر، ولم يذكر المورد الذي نقل عنه قصته، ثم نقله عنه أبو الفداء في أوائل القرن الرابع عشر، ثم المقريزي، في كتابه الخطط جـ 1 ص 159 بعد ذلك .

إن أول من نسب الحريق إلى عمرو هو عبد اللطيف البغدادي في كتابه : الإفادة والاعتبار ص 28 (629هـ - 1231م) .

وجاء بعده ابن القفطي (646 هـ - 1248م) في كتابه أخيار باخيار الحكماء «لييزج»، (1340 هـ - 1902م) وأبو الفرج المعطى (685 هـ - 1286م) في كتابه مختصر الدول ص 180 اكسفورد 1663[1] .

لقد ناقش «تيلر» في كتابه سابق الذكر ، قصة التهمة الموجهة إلى المسلمين وبرهن على كذبها بما يلي[2] :

1- إن قصة إحراق العرب لها لم تظهر إلا بعد نيف وخمسمائة عام من وقت الحادثة التي تذكرها .

---

(1) ورغم ذلك فلم يرد في تاريخ الأقدمين من العرب كاليعقوبي والبلاذري وليد عبد الحكم والطبري والكندى ولا في تاريخ من جاء بعدهم وأخذ منهم كأبي المحاسن والسيوطي وغيرهم.

- وقد نفى التهمة كما ذكرنا كثيرون من الباحثين العرب المعاصرين مثل سيدة كاشف في كتابها: مصر في فجر الإسلام من الفتح العربي إلى قيام الدولة الطولونية؛ حسن إبراهيم في كتابه تاريخ الإسلام السياسي والثقافي والاجتماعي، حـ1 - القاهرة : مكتبة النهضة المصرية، 1957، ص 241 - 246 والعقاد في كتابه عبقرية عمر؛ وأحمد عبد المعطي حجازي ، تحقيقا بعنوان: تهمة ليس عليها بدليل؛ الأهرام - القاهرة، ص 12 بتاريخ 31 / 8 / 1988 .

- ويستنكر العقاد هذا الحادث ويقرر بأن من يعرف تاريخ ابن الخطاب لا يتردد لحظة في إنكار هذه الرواية ؛ وبالرغم من كل ذلك فإننا نجد جورجي زيدان في كتابه تاريخ التمدن الإسلامي جـ 3 - القاهرة : دار الهلال ، 1958 ، ص 44 - 51 ، يثبت هذه التهمة.

(2) تيلر ، الفرد . ج : فتح العرب لمصر ص 368 - 370 .

2- إننا فحصنا القصة وحللنا ما جاء فيها فألغينا 5 نماطات مستبعدة ينكرها العقل .

3- إن الرجل الذي تذكر القصة أنه كان أكبر عامل فيها مات قبل غزوة العرب بزمن طويل.

4- إن القصة قد تشير إلى واحدة من مكتبتين : الأولى مكتبة المتحف وهذه ضاعت في الحريق الكبير الذي أحدثه قيصر وإن لم تتلف عند ذلك كان ضياعها فيما بعد في وقت لا يقل عن أربعمائة عام قبل فتح العرب .

وأما الثانية وهي مكتبة السرابيوم، فإما أن تكون قد نقلت من المعبد قبل عام 391، وأما أن تكون قد هلكت أو تفرقت كتبها وضاعت، فتكون على أي حال قد اختفت قبل فتح العرب بقرنين ونصف قرن .

5- إن كتّاب القرنين الخامس والسادس لا يذكرون شيئًا عن وجودها وكذلك كتّاب أوائل القرن السابع .

6- إن هذه المكتبة لو كانت لا تزال باقية عندما عقد (قيرس) صلحه مع العرب على تسليمهم الإسكندرية لكان من المؤكد أن تنقل هذه الكتب، وقد أبيح ذلك في شروط الصلح الذي يسمح بنقل المتاع والأموال في مدة الهدنة التي بين عقد الصلح ودخول العرب في المدينة، وقدر ذلك أحد عشر شهرًا .

7- لوصح أن هذه المكتبة قد نقلت أو لو كان العرب قد أتلفوها حقيقة لما أغفل ذكر ذلك كاتب من أهل العلم كان قريب العهد من الفتح مثل (حنا الفقيوسي) ولما مر على ذلك بغير أن يكتب حرفا عنه .

ثم يعلق «تيلر» بقوله : ولا يمكن أن يبقى شك في الأمر بعد ذلك، فإن الأدلة قاطعة وهي تبرر ما ذهب إليه (رينودو) من الشك في قصة أبي الفرج وما ذهب إليه (جبون) من عدم تصديقها. ولا بد لنا أن نقول إن رواية أبي الفرج لا تعدو أن تكون قصة من آقاصيص الخرافة ليس لها أساس في التاريخ .

وأُضيفُ إلى الأدلة التي قدمها تيلر دليلين من أقوى الأدلة وهما:

1- مكتبة دير سانت كاترين العامرة بمجموعاتها من الوثائق والمخطوطات، ولماذا لم يحرقها العرب .

2- أثر مكتبة الإسكندرية وما تبقى منها في الحضارة العربية الإسلامية، وهو ما نناقشه فيما يلي :

ثالثاً : مكتبة دير سانت كاترين بشبه جزيرة سيناء (مصر):

إن الدير ومكتبته من الآثار الهامة للإمبراطور الروماني جستنيان (527 - 565م) وزوجته الإمبراطورة تيودورا ، ولا يزال شاخصا حتي اليوم يروي قصة قرون عديدة خلت.

وتتمتع مكتبة الدير بأهمية بالغة لما تحويه من مجموعات من المخطوطات والوثائق، دونت فيما بين القرن السادس والقرن التاسع عشر الميلادي، ويبلغ عدد المخطوطات 3331 مخطوطة مكتوبة بإحدى عشرة لغة، أما الوثائق فيبلغ عددها 1742 وثيقة منها 1072 وثيقة باللغة العربية، 670 وثيقة باللغة التركية[1] .

فلو أن عمرو بن العاص من المتحمسين لإحراق مكتبة الإسكندرية لأحراق مكتبة دير سانت كاترين وهي أقرب له لأنها في شبه جزيرة سيناء .

فوثائق دير سانت كاترين العامة والخاصة تؤكد حرص المسلمين على حماية ممتلكات رهبان الدير كما تحرص كذلك على تأكيد الأمن ورعايتهم على مدار الحكم الإسلامي[2] . .

---

(1) حول اهتمام العلماء والباحثين بوثائق دير سانت كاترين يمكن الرجوع إلي الدراسة العلمية التي قام الباحث بإعدادها للحصول على درجة الدكتوراه في الآداب - جامعة القاهرة عام 1982، وموضوعها : الوثائق العربية الخاصة في مكتبة دير سانت كاترين : دراسات ونشر .

- ونشر الكثير من الفهارس لمكتبة الدير، ويحتفظ الباحث بمجموعة كاملة فيلمية من محتويات المكتبة من الوثائق التي سبق ذكرها، ويمكن الحصول عليها بعد الاتصال به .

(2) تعتبر هذه الوثائق مجالا خصبا للباحثين والدارسين، وقد أجيزت رسائل كثيرة للماجستير والدكتوراه حول هذه الوثائق في كلية الآداب - جامعة القاهرة - ويستطيع الباحث أن يزود الباحثين عنها بالكثير من المعلومات ونسخ فيلمية في حالة طلبها ومراسلته على العنوان التالي :

- دكتور / عبد التواب شرف الدين - 58 ش عباس العقاد مدينة نصر - المنطقة السادسة - القاهرة، مصر .

ولا زالت المكتبة قائمة في شبه جزيرة سيناء في جمهورية مصر العربية، وتحتاج الكثير من الجهود والدراسات العلمية حول مقتنيات المكتبة وما تضمه من مصادر ومعلومات من القرن السادس الميلادي حتي يومنا هذا .

رابعًا – أثر مكتبة الإسكندرية في الحضارة العربية الإسلامية :

إن التعاليم الإسلامية تحترم الديانات السماوية وإن المسلمين لم يكونوا ليقدموا على هذا العمل، فالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف قد احتويا على الكثير من النصوص التي تحث على العلم والتعلم ، ورعاية الديانات الأخرى، وقد سبق أن بينا أن وثائق مكتبة دير سانت كاترين دليل قوي على أن المسلمين يحافظون على حقوق الرهبان في الدير ويحترمون ممتلكاتهم .

ومهما يكن من الأمر ، فإن الفتح العربي لم يقض على الحياة العلمية في الإسكندرية، ولا سيما في العلوم العقلية، وحسبنا دليلا على النشاط العلمي في الإسكندرية في فجر الإسلام ما ذكره ابن النديم[1] . من أن خالد بن زيد بن معاوية حينما أراد تعلم الكيمياء أمر بإحضار جماعة من فلاسفة اليونانيين الذين كانوا يقيمون في مصر ولهم إلمام بالعربية، وطلب منهم نقل كتب الصنعة (الكيمياء) من اليونانية والقبطية إلى العربية، فكان هذا أول نقل إلى العربية في الإسلام، وذكر ابن أبي أصيبعة أنه كان في الإسكندرية زمن الفتح طبيب اسمه ابن ايجر وكان يدرس بها، وكان عمر بن عبد العزيز يعتمد عليه في صناعة الطب حين كان أميرًا وبعد أن صار خليفة[2] ، كذلك أرسل الخليفة هارون الرشيد في طلب بليطيان أحد علماء الإسكندرية المشهورين لتطبيب جارية له[3] .

وقد احتذى حنين بن إسحق، طبيب بغداد الذي عاش في القرن الثالث الهجري، حذو الإسكندريين في التأليف[4] . لكن يظهر أن مدرسة الإسكندرية أخذ شأنها يقل بعد

---

(1) الفهرست لابن النديم طبعة ليبزج سنة 1871 ص 242.

(2) طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة، القاهرة سنة 1299 هـ جـ1 ص 166 .

(3) المرجع السابق ذكره جـ 2 ص 82 ، 83.

(4) القفطي ص 171 ، 172.

ذلك، فإن الأقباط لم يهتموا اهتمامًا كبيرًا بدراسة الثقافة اليونانية والرومانية، أما العرب والأقباط الذي أسلموا فقد أقبلوا على دراسة العلوم الإسلامية الدينية، ولعل بعض المصريين المسلمين أقبلوا على دراسة الثقافة اليونانية والرومانية ، فيذكر ابن النديم[1] ، أن ذا النون المصري كان من الفلاسفة الذين تكلموا في علم الصنعة (الكيمياء)[2] .

وقد استطاع الباحثون أن يصنفوا أثر مكتبة الإسكندرية في الحضارة العربية الإسلامية[3] حيث كانت هذه المكتبة واجهة حضارية انتقل من خلالها فكر العالم القديم وعلومه إلى العالم العربي والإسلامي الذي حمل مشعل الحضارة مئات السنين، وقد ظهر ذلك على النحو التالي :

1- في مجال العلم ، حفظت مكتبة الإسكندرية مؤلفات العلماء اليونانيين، وحافظت على استقرار البحث العلمي خلال نخبة ممتازة من علماء الإسكندرية في حقول الطب والفلك والهندسة واللغويات، حتى جاء أوان الإسهام العربي الإسلامي في هذه الحقول المعرفية .

2- وفي مجال الطب ، كان الأمر واضحًا في أمرين :

الأمر الأول :انتقال مجالس التعليم الطبي من الإسكندرية إلى بغداد، عبر قرون طويلة استقر خلالها منهج البحث الطبي عند الأطباء العرب والمسلمين على النحو الذي رسمته الإسكندرية من قبل، وقد تتبع المستشرق الألماني ماكس مايرهوف انتقال هذا التعليم الطبي، فكشف خلال دراساته المستفيضة عن التواصل العلمي بين الإسكندرية وبين الحضارة الإسلامية في هذا المجال .

والأمر الثاني : الذي يكشف عن الأثر السكندري في تاريخ الطب العربي الإسلامي، هو تلك المؤلفات التي عرف المسلمون من خلالها تراث ابقراط وجالينوس

(1) ابن النديم : الفهرست ، ص 353.

(2) سيدة كاشف: مصر في فجر الإسلام من الفتح العربي إلى قيام الدولة الطولونية ، ص 335 ، 336.

(3) يوسف زيدان : على طريق إحياء المكتبة: الأثر السكندري في الحضارة العربية الإسلامية: الأهرام (القاهرة - مصر) بتاريخ 10/2/1990 .

فكانت هناك (المجـمـوعة الأبقـراطيـة)وهي مؤلفـات أبقـراط التي لم يكن المسلمـون يسمحون للطبيب بممـارسة مهنته قبل دراستها ، وإلي جانبهـا كانت مؤلفات جالينوس التي تعرف باسم (منتخـبات الإسكندرانيين) وهي التي كانت تلي مجمـوعة أبقراط في الأهمية، ولولا مكتبة الإسكندرية وكبار أطبائها ما كان من الممكن أن يستمر علم الطب قديما ، فقد شـرع الأطباء العرب من المسلمين، بعد ترجمة هذه المؤلـفات إلى العربية، في استكمال جـهود وأبحاث أبقراط وجالينوس الـطبية مع اعترافـهم التام بفضل هذين الطبيبين ، فكانوا يقرنون اسميهـما دوما بلقب (الفاضل) ومن الفاضل أبقراط والفاضل جالينوس، هكذا استمر الطب على يد ابن سينا والرازي وابن النفيس وتلاميذهم .

ولا يفوتنا في هذا المقام أن طبيبـا عربيا قد تولي تدريس الطب في الإسكندرية، قبل ظهـور الإسلام بقليل، وهذا الطبـيب العربي هو ابن ايجر الـكثاني، وهو مما يدل على عمق الاتصال بين تراث الإسكندرية والحضارة العربية الإسلامية في مجال الطب.

3- وفي مجال الفكر والفلسفة : لعبت الإسكندرية دورها الكبير في تقديم الفلسفة اليونانية للعالم الإسلامـي ، وقد عرف المسلمون فلسفـة اليونان من خلال الصيـاغة السكندرية لها، تلك الصـياغة التي امـتزجت فيهـا أفكار أفلاطون وأرسطو بالعديد من التـيارات الدينية والصوفية، فعرف ذلك باسم (الأفلاطونية المحدثة) وهي الفلسفة التي ظهرت في الإسكندرية على يد فيلون وامـونيوس ساكـاس وتلميذه الشهـير : أفلوطين، ولا يمكن للباحث الجاد في مجال الفلسفة وتاريخ الأفكار، أن يتخطى في دراسته دور الإسكندزية في تشكيل الفلسفة الإسلامية، فبدون الإحاطة بهذا الدور تبدو فلسفة الكندي والفارابي وابن سيناء وغيرهـم فلسفة غامضة كل الغموض .

4- لا يزال فكر الإسكندرية ممتـدًا حتى يومنا هذا في الموروث الشعـبي، فهناك الكثـير من مظاهر الفلكلور والاعتقاد الشعبي ترجع في أصولها العميقة إلى الإسكندرية .

5- وإذا تأملنا منهـجنا اليوم في تحـقيق التراث العـربي المخطوط بالمقابلة بين النـسخ الخطية للكتـاب المحـقق، فـلابد لنا من الاعـتـراف بالجـمـيل للأثر السكندري، في مكتـبة

الإسكندرية وعلي يد أمينها (يامبليخوس) تمت أول عملية مقابلة وتحقيق نصوص في التاريخ الإنساني، بهدف استخراج نص دقيق للحمتي : الإلياذة والأوديسة .

من هنا نقول إن مكتبة الإسكندرية كانت مرحلة مهمة لانتقال العلم والمعرفة للعرب والمسلمين، ولذا كان لها هذا الأثر الكبير في الحضارة العربية الإسلامية .

خامسًا – نتائج الدراسة وتوصياتها :

1 - لعبت مكتبة الإسكندرية دورًا حضاريًا هامًا ، استطاع العرب المسلمون الفاتحون أن يستفيدوا منه وينقلوا للعالم فكر اليونان والرومان .

ومن هنا فإننا نؤكد على ضرورة الاهتمام بالمخطوطات والوثائق العربية وغير العربية، وأن يكون لها موضع في المكتبة الجديدة بالإسكندرية فتكون المكتبة في المستقبل كما كانت في الماضي رمزًا لتواصل الحضارات .

2- لم يقدم المسلمون على حرق مكتبة الإسكندرية عندما قاموا بفتح مصر، والدليل على ذلك ما قام به الباحثون من تحديد الأدلة على براءتهم، وأكبر دليل بجانب ذلك كله هو استمرار مكتبة دير سانت كاترين في شبه جزيرة سيناء في مصر حتى يومنا هذا في تأدية رسالتها، ولهذا فإننا نوصي الباحث بالاستمرار في التعرف على محتويات الوثائق العربية وغير العربية وكذلك المخطوطات العربية وغيرها والتي تمتد آثارها من القرن السادس الميلادي حتي يومنا هذا .

3 - ضرورة الاستفادة من تكنولوجيا العصر في نقل وتقويم التراث اليوناني والعربي الإسلامي إلى الباحثين وتقديمه لهم عن طريق تكنولوجيا وسائل الاتصال وما يمكن أن نسميه بشبكات المعلومات القومية والعالمية .

المراجع :

1- بتلر ، الفرد . ج : فتح العرب لمصر / تأليف الفرد ج . بتلـر وترجمة محمد فريد أبو حديد - القاهرة : دار الكتب المصرية ، 1933 - ص 348 - 370.

2- حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي . جـ 1 - ط 4 - القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، 1957 - ص 241 - 246 .

3- جورجي زيدان : تاريخ التـمدن الإسلامي - جـ 3، القاهــرة : دار الهلال ، 1958 ، ص 44 - 51.

4- سيـدة إسماعـيل كاشف : مصـر في فجر الإســلام من الفتح العربي إلي قـيام الدولة الطولونية - القاهرة : دار الفكر العربي ، 1947 ص 330 - 336.

5- عبد التواب شرف الدين: الوثائق العربية فـي مكتبة دير سانت كاترين: دراسات ونشر، رسالة دكتوراه من كلية الآداب - جامعة القاهرة ، 1982.



الفهـــرس

الموضـــــــوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة



تاريخ أوعية المعرفة

هذا الكتاب

البحث فى تاريخ أوعية المعرفة استلزم رصد ودراسة كثير من الألوان الثقافية والأنشطة الحياتية التى تُؤطر لهذا البحث وتثرى روافده المترامية؛ كتقديم الطريقة المثلى للبحث عن الوثائق واستقصاء نشأة الخط العربى والبحث عن جذور التوثيق بدءاً من الرواية الشفوية وانتهاء بالنسخ وما يرتبط به من قواعد وآداب يجب مراعاتها عند اقتناء الكتبُ .

تاريخ أوعية المعرفة تاريخ طويل ومترامى الأطراف، يحمل فيضاً معرفياً عميقاً يؤكد أصالة تراثنا وثراءه العلمى والفكرى ويطرح أملا قومياً فى بعث هذا التراث وإحيائه .

إن هذا الكتاب يصلح كمقرر دراسى فى كليات التربية والآداب ـ قسم المكتبات ولكل من يهتم بهذا الموضوع .

الناشـــر

International Publishing & Dist. House
Cario - Egypt

I.S.B.N : 977-282-041-2